التّوحيدُ الخالصُ الجَليُّ

ونَسْفُ قَواعدِ الشّرْكِ الخَفِيِّ

الجزء الأول

تأليف

سماحة العلامة الدّكتور

الشّيخ عبد الكريم العُقيلي

راجعه وعلّق عليه

الشّيخ عبّاس الزّيداوي

والشّيخ عبد الباقر المنصوري

منشورات

مؤسّسة بضعة المُصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء تُراث أهل البيت عليهم السلام

هويّة الكتاب

الكتاب	التّوحيد الخالص الجليّ ونسف قواعد الشّرك الخفيّ
المؤلّف	العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي
مُراجعة وتعليق	الشّيخ عبّاس الزّيداوي والشّيخ عبد الباقر المنصوري
الإخراج الفني	رغدان المنصوري
النّاشر	مؤسّسة بضعة المصطفىﷺ لإحياء تراث أهل البيتعليهم السلام
المطبعة	
العدد	
الإصدار رقُم	٣٢

http://www.oqaili.com
http://www.oqaili.net
http://www.oqaili.org
info@oqaili.com
E-mail: bthalmustafa@yahoo.com

Tel:00982517725236

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

صدق الله العليّ العظيم

وَرَد عَـن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: "وسَخَّر سُبْحانه لكُلِّ اسْم من هـذه الأسْماء أرْبعةَ أرْكانَ، فذلك اثنا عَشَر رُكْناً، ثُمَّ خَلَقَ لكُلِّ رُكْن مـنْهاَ ثَلاثـينَ اسْماً، فعْلاً مَنْسُوباً إليها، فَهُو الرّحْمنُ، الرّحيمُ، الملكُ، القُـدّوس، الخالـق، البارئ، المُصوّر، الحيّ القيّوم، لا تأخذه سنَةٌ ولا نومٌ، العليم، الخبير، السّميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المُتكبّر، العلـيّ، العظـيم، المُقـتدر القـادر، السّلام، المؤمن، المُهيمن، البارئ، المُنـشئ، الـبديع، الرّفيع، الجليل، الكريم، الرّازق، المُحيي، المُميت، الـباعث، الوارث، فهذه الأسْماء، وَما كانَ من الأسْماء الحُسْنى، حتّى تَـتُمَّ ثلاثة مئة وستّينَ اسْماً، فهيَ نسْبةُ الأسْماء الثّلاثة، وَلهذه الأسْماءُ الثّلاثةُ أرْكانٌ، وحَجَبَ الاسْمَ الواحدَ المَكْنونَ المَخْزونَ بهذهَ الأسْماء الـثّلاثة، وذلـكَ قـولُه تَعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

الإسراء: ١١٠.

الكافي: ١/ ١١٢، باب، حُدوث الأسماء.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

كلمة المؤسّسة

أحمــد الله حمــداً لكي أنال رضاه، وأشكره شكراً يُناسب نعماه، وأشــهد أن لا إلــه إلاّ الله، الــواحد الأحد لا بتأويل عدد، والخالق لا بمعنــى حــركة ونَــصَب، والــسّميع لا بــأداة، والبصير لا بتفريق آلة، والــشّاهد لا بمُماسّــة، والــبائن لا بتراخــي مسافة، والظّاهر لا برؤية، والباطن لا بلطافة...

وأصــلّي وأســلّم علــى هــادي الأمــم، ومُتمّم النّعم، سيّد العرب والعجــم، مُحمّد الأمين، وآل بيته الهُداة المهديين، أسماء الله الحُسنى ودلائلــه العُظمــى، أوّلهــم مولــى المُوحّدين، وقائد الغُرّ المُحجّلين، الإمــام عليّ بن أبي طالب، وآخرهم ناشر العدل المُبين، ومُحيي سنّة ســيّد المُرسلين، الإمام الحُجّة بن الحسن العسكري، أرواحنا وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء...

وبعد

التّعريف بالموسوعة

لا نُـريد أن نـستبق القـارئ الكريم إلى كشف ما تحتويه هذه الموسوعة

العقائديّة الكبيرة، بل نتركه لكي يكون حكماً وحاكماً، بعد أن يتصفّح النّفحات النّورانيّة، والرّشحات الرّبّانيّة العظيمة، التي تحتويها هذه الموسوعة العقائديّة، المُستمدّة من كلام أهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام حيث انتهل منهُم مُؤلّف هذه الموسوعة، سماحة العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّه" عُلومه؛ لكي يؤلّف موسوعته العقائديّة هذه، والتي أسماها "التّوحيد الخالص الجلي، ونسف قواعد الشّرك الخفي" حيث مهّد سماحته لهذه الموسوعة بمُقدّمة مُهمّة، ذكر فيها أُسس ومباني التّوحيد الخالص، على طبق ما جاء عن المعصومين "صلوات الله عليهم" ثمّ جعل سماحته كتاب التّوحيد للشّيخ الصّدوق "رضوان الله عليه" مادّة لشرحه، فشرح الباب الأوّل من هذا الكتاب العظيم، الذي هو يدور في فضل كلمة "لا إله إلاّ الله" ثمّ تدرّج في شرحه إلى الأبواب التي ذكرها الشّيخ الصّدوق " أعلى الله مقامه" في كتابه التّوحيد، وهذا العمل المُبارك، هو حصيلة جُهد مُتواصل من سماحته، دام أكثر من عشر سنوات، شرح فيها أكثر من الألف مُحاضرة، على مجموعة خيّرة من الموالين المُتعطّشين لمعرفة الحقيقة...

عملنا في الموسوعة

بعد أن استلمنا هذه المُحاضرات العقائديّة من سماحة الشّيخ العُقيلي، على شكل أقراص مُسجّلة، عملنا على رسم خُطّة عمل طويلة الأجل؛ لإخراجها وإعدادها إعداداً لائقاً، وطبق مراحل علميّة وفنّيّة، تتلخص بالتّالي:

أوّلاً- طباعة الأقراص المُسجّلة على جهاز الحاسوب.

ثانياً- مُقابلة المطبوع مع الأقراص المُسجّلة.

ثالثاً- تعديل النّصوص من قبل بعض المُحقّقين، وذلك بتغيير بعض العبارات التي تقتضيها الكتابة، واستخراج النّصوص الواردة في المتن، كالآية والحديث أو أقوال الأعلام وغير ذلك.

رابعاً- كتابة المُلاحظات على التّعديل من قبل المسؤول المُشرف وإعادتها إلى المُحقّق، والعمل على طبق المُلاحظات.

خامساً- إرسالها إلى سماحة الشّيخ لكي يطّلع عليها ويبدي مُلاحظاته عليها.

سادساً- العمل على طبق مُلاحظات سماحة الشّيخ.

سابعاً- تقويم النّص علميّاً ولُغويّاً، وإرساله لسماحة الشّيخ لكي يطّلع عليه للمرّة الأخيرة.

ثامناً- مرحلة الإخراج الفنّي قبل الطّباعة.

شُروح التّوحيد

توحيد الصّدوق "رضوان الله عليه" كتاب عظيم، لذا عكف على شرحه كوكبة من عُلمائنا الأعلام "أعلى الله مقامهم" نذكرهم بحسب التّرتيب:

١ـ شرح التّوحيد للقاضي سعيد القمّي، المُتوفى سنة ١١٠٧هـ تارة يُسمّى شرح التّوحيد، وأُخرى بشرح كتاب التّوحيد، ويُنقل أنّ القاضي سعيد القُمّي، هو أوّل من شرح كتاب التّوحيد للصّدوق "رضوان الله عليه".

٢ـ أنيس الوحيد في شرح التّوحيد، للسيّد نعمة الله بن عبد الله التّستري الجزائري، المُتوفّى سنة ١١١٢هـ ألفه سنة ١٠٩٩هـ

٣ـ شرح للأمير مُحمّد علي نائب الصّدارة بقُم المُشرّفة.

٤ــ شــرح باللغــة الفارسـيّة، للمولـى مُحمّـد باقـر بـن مُحمّـد مـؤمن السّبزواري، المدفون بمشهد الرّضا عليه السلام فرغ منه سنة ١٠٩٠هـ

٥ــ شرح التّوحيد الخالص الجليّ ونسف قواعد الشّرك الخفيّ، لسماحة العلامـة الدّكـتور آيـة الله الـشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّه" وهذا الشّرح مـن المـؤمّل أن يكون موسوعة عقائديّة فريدة في نوعها، تحتوي على عدد مـن المُجلّـدات، وهـذا الـذي بـين يديك، هو المُجلّد الأوّل منها، حيث مهّد سماحة العلامة العُقيلي لشرحه هذا بمُقدّمة عقائديّة مُهمّة، ذكر فيها الأسُس والمبانـي العقائديّـة، ثـمّ شـرع فـي شرح توحيد الصّدوق، من الباب الأوّل، في فـضل كلمـة لا إلـه إلاّ الله، وأنهـى المُجلـد الأوّل في هذا الباب، وسوف يكون المُجلّـد الثّانـي من هذه الموسوعة العقائديّة في الباب الثّاني من كتاب التّوحيد، وهـو فـي نفـي التّـشبيه والتّجسيم، وهكذا سوف يتدرّج سماحته في شرح بقيّة الأبواب، حيث من المؤمّل أن يصل إلى عدد كبير من المُجلّدات.

ترجمة حياة الشّيخ الصّدوق

اسمه ونسبه

هـو الشّيخ مُحمّد بن عليّ بن الحُسين بن موسى بن بابويه الصّدوق، أبو جعفر القمّي.

ولادته

ولـد فـي قُـم، ولـم نعلـم على وجه الدّقة سنة ولادته، ولكن يُستفاد من كـتابه (إكمـال الـدّين وإتمام النّعمة) وكتاب (غيبة الشّيخ الطّوسي) المُتوفّى

سنة ٤٦٠ هـ وكتاب (رجال النّجاشي) المُتوفّى سنة ٤٥٠هـ أنّ ولادة الشّيخ الصّدوق كانت في أوّل سفارة أبي القاسم الحُسين بن روح، ثالث السّفراء الأربعة، في الغيبة الصّغرى لمولانا صاحب العصر والزّمان، عجّل الله تعالى فرجه الشّريف.

وُلد ببركة دعاء الإمام الحُجّة عليه السلام

ذكر أبو العبّاس النّجاشي، في ترجمة والد الشّيخ الصّدوق، عليّ بن الحُسين بن موسى (رضي الله عنه) أنّه قدم العراق، واجتمع مع أبي القاسم الحُسين بن روح رحمه الله وسأله مسائل، ثُمّ كاتبه بعد ذلك، على يد عليّ بن جعفر بن الأسود يسأله أن يوصل له رقعة إلى الصّاحب عليه السلام ويسأله فيها الولد، فكتب إليه: "قد دعونا الله لك بذلك، وستُرزق ولدين ذكرين خيّرين". فولد له أبو جعفر، وأبو عبد الله، من أم ولد[١].

وكان الشّيخ الصّدوق رحمه الله يفتخر بولادته ويقول: "أنا ولدتُ بدعوة صاحب الأمر عليه السلام"[٢].

نشأته

نشأ الشّيخ الصّدوق في بيت علم، وتربّى في أحضان فضيلة، فقد كان أبوه عليّ بن الحُسين بن موسى بن بابويه، شيخ القُمّيين في عصره، ومُتقدّمهم وفقيههم وثقتهم.

(١) رجال النّجاشي: ٢٦١.
(٢) خلاصة الأقوال: ١٧٨.

وقد عاش شيخنا الصّدوق في كنف أبيه، وظل رعايته، أكثر من عشرين سنة، ينهل من معارفه، ويستمدّ من فيض علومه، ويقتبس من أخلاقه وآدابه، فلم يمض من عمره إلاّ سنين قلائل حتّى صار من جملة العُلماء والأفاضل، فبرع في العلم وفاق الأقران، فاختلف إلى مجالس الشّيوخ والأعيان، وتزود من العلم ما استطاع، فسمع منهم وروى عنهم ما شاء.

وكان قدس سره في الرّعيل الأوّل من حملة العلم، ومُروّجي المذهب، و الداعين إلى الحنيفيّة البيضاء، بهمّة عالية قعساء، دأب في كسب العلم فتى وكهلاً، وعكف على سماعه ليلاً ونهاراً، وسافر في أخذه حَزَناً وسهلاً، بعزم لا يكهمه الفشل، ونشاط لا يفلّه الكلل.

وقد كانت الفترة التي عاشها شيخنا الصّدوق هي فترة حكم الدّيالمة آل بويه، وأمرائهم المعروفين بحسن خدمتهم لأهل العلم، وتأييدهم لهم، والمُبالغة في إكرامهم وتبجيلهم؛ ممّا له بالغ الأثر في مسيرة شيخنا الصّدوق العلميّة، وتوجهاته وأسفاره، وقد كان أمراء البلاد الإسلاميّة في تلك الفترة، جلّهم من الشّيعة، فإضافة إلى الدّيالمة في إيران ٣٢١ – ٤٤٧هـ هُناك الدّولة العُبيديّة الفاطميّة في شمال أفريقيا ٢٩٦ –٥٦٧هـ والحمدانيّة في العراق وبلاد الشّام ٣٣٣ – ٣٩٤ هـ

رحلاته وأسفاره

لم تكُن همّة الشّيخ الصّدوق مقصورة على الأخذ من مشايخ بلدته قُم فحسب؛ بل تعالت همّته حتّى تحمل عناء السّفر طلباً للعلم، فغادر بيئته وطاف البلاد، ورحل إلى الأمصار، وتتابعت أسفاره في أمّهات الحواضر

العلميّة آنذاك، واجتمع في تلك الرّحلات مع مشيخة العلم والحديث، ممّن كانت تُشدّ إليهم الرّحال؛ لتحمّل الرّواية والعلم، حيثُ سافر إلى الرّي واستر آباد وجرجان ونيشابور ومشهد الرّضاعليه السلام ومرو الروذ، وسرخس وإيلاق وسمرقند وفرغانة، وبلخ من بلاد ما وراء النّهر، ومكّة والمدينة، وهمدان وبغداد والكوفة، حتّى ارتقى في الفضائل ذراها وتمسّك في المحامد بأوثق عراها، وبلغ من العلم مقاماً شدت الجوزاء له نطاقاً، تمشي على ضوء فتاويه فُقهاء الأيّام، وتخضع لآرائه وأنظاره عُلماء الأعصار والأعوام، له من الكُتب والرّسائل بخطّه، ما يكُلّ لسان القلم عن ضبطه، والأعلام كُلّهم قد أطبقوا على إكبار قدره، والمسير على ضياء بدره .

مرجعيته

يتّضح من جُملة الكُتب التي أثبتها النّجاشي في رجاله، من أنّ الشّيخ الصّدوقرحمه الله كان يجيب على مسائل ورسائل، تَرِده من مُختلف الأطراف والبُلدان، ممّا يُدلّل على سعة وامتداد مرجعيّته في الفتيا والأحكام، في حواضر إسلاميّة مُختلفة. قال أبو العبّاس النّجاشي: "وله كُتب كثيرة، منها: "كتاب جوابات المسائل الواردة عليه من واسط، كتاب جوابات المسائل الواردة عليه من قزوين، كتاب جوابات مسائل وردت من مصر، كتاب جوابات مسائل وردت من البصرة، كتاب جوابات مسائل وردت من الكوفة، جواب مسألة وردت عليه من المدائن في الطّلاق، كتاب جواب مسألة نيسابور، كتاب رسالته إلى أبي مُحمّد الفارسي في شهر رمضان،

كتاب الرّسالة الثّانية إلى أهل بغداد في شهر رمضان"[١] حيث كان يجُيب على كُلّ الرّسائل والمسائل الوارد عليه، سواء كانت من الكوفة أو مصر أو قزوين أوغيرها، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يُدلّل على مكانته العلميّة والفقهيّة.

كلمات الأعلام في شأنه

لقد أسهب عُلماء الرّجال وأساطين الفُقهاء، مُنذ عصر الشّيخ الصّدوق رحمه الله حتّى يومنا هذا، بالثّناء عليه بكلام مُفعم بالإجلال والإشادة، بما يدلّ على جلالة قدره، وعظمة شأنه لديهم، وهُنا نُشير إلى شذرات من هذه الكلمات:

- قال النّجاشي المُتوفّى سنة ٤٥٠ هـ في حقّه: "أبو جعفر القُمّي، نزيل الرّي، شيخنا وفقيهنا، ووجه الطّائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة ٣٥٥ هـ وسمع منه شيوخ الطّائفة، وهو حدث السّن، له مُصنّفات كثيرة، لم يَرَ في القُمّيّين مثله في الحفظ وفي كثرة علمه"[٢].

- وقال شيخ الطّائفة المُتوفّى سنة ٤٦٠ هـ في حقّه: "جليل القدر، حفظة، بصير بالفقه والأخبار والرّجال"[٣].

- وقال الخطيب البغدادي المتوفّى سنة ٤٦٣ هـ: "... نزل بغداد، وحدّث بها عن أبيه، وكان من شيوخ الشّيعة ومشهوري الرّافضة، حدّثنا عنه

(١) رجال النّجاشي: ٣٩٢.
(٢) نفس المصدر: ٣٨٩.
(٣) رجال الطّوسي: ٤٣٩.

مُحمّد بن طلحة النّعالي"[١].

- وقال ابن شهرآشوب المتوفّى سنة ٥٨٨ هـ في حقّه: "... مُبارز القُمّيين، له نحو من ثلاثة مئة مُصنّف ..."[٢].

- وقال ابن إدريس المتوفى سنة ٥٩٨ هـ في حقّه: " فإنّه — أي، ابن بابويه - كان ثقة جليل القدر، بصيراً بالأخبار، ناقداً للآثار، عالماً بالرّجال، حفظة، وهو أستاذ شيخنا المُفيد، مُحمّد بن مُحمّد بن النّعمان"[٣].

مشايخه

لقد رحل الشّيخ الصّدوق في طلب العلم لمُختلف ديار الإسلام، واجتمع خلال رحلاته بالعديد من مشيخة العلم والحديث، حيث كان عددهم يربو على المئة والتّسعين، فقرأ عليهم، وسمع منهم، واستجازهم في مُختلف العُلوم والفنون.

تلامذته

لاشكّ أنّ شخصيّة علميّة مثل الشّيخ الصّدوق، سيّما وأنّه عاش في مدينة قُم المُقدّسة، عشّ آل مُحمّدعليهم السلام إضافة إلى أسفاره الكثيرة، والتي أشرنا إلى بعضها، كُلّ ذلك يستدعي أن يتتلمذ على يده ثلّة من المُتعطّشين لنيل المعارف الإلهيّة، فحضر له الكثير من المشايخ وكبار العلماء، أمثال: أبو الحسن أحمد بن مُحمّد الرّهاوي، وأبو مُحمّد أحمد بن مُحمّد

(١) تاريخ بغداد: ٣/ ٨٩.
(٢) معالم العُلماء: ١١١.
(٣) السّرائر: ٢/ ٥٢٩.

المعمري، و جعفر بن أحمد بن عليّ القُمّي، وجعفر بن أحمد المريسي، وأبو عليّ الحسن الشّيباني القُمّي، وغيرهم الكثير.

مُصنّفاته

صنّف الشّيخ الصّدوق في شتّى فُنون العلم، وكان كثير التّأليف، حتّى قيل بلغت مُصنّفاته الثّلاثة مئة مُصنفاً، وقد عدّ الشّيخ الطّوسي منها أربعين كتاباً(١) سواء كان على الصّعيد الفقهي أو العقائدي أو الرّوائي وغير ذلك، ومن أهم هذه الكُتب، هي:

١ـ من لا يحضره الفقيه.

٢ـ التّوحيد.

٢ـ الخصال.

٤ـ علل الشّرائع.

٥ـ إثبات النّص على أمير المؤمنينعليه السلام.

٦ـ إكمال الدّين وإتمام النّعمة.

٧ـ ثواب الأعمال.

٨ـ عُيون أخبار الرّضاعليه السلام.

وغيرها الكثير من التّراث القيّم، الذي أغنى المكتبة الإسلاميّة بشتّى العُلوم والفنون.

وفاته

تُوفّي الشّيخ الصّدوقرحمه الله في الرّي سنة ٣٨١ هـ، وقبره بها، بالقُرب من

(١) الفهرست: ١٥٧.

قبر السيّد عبد العظيم الحسني (رضي الله عنه) وهو مزار يرده النّاس ويتبرّكون به، وقد جدّد عمارة المرقد الشّريف، السّلطان فتح عليّ شاه القاجاري، حدود سنة ١٢٣٨هـ على أثر ما شاع من حُصول كرامة من صاحب المرقد بعد وفاته رحمه الله وقد ذكر تفصيلها الخوانساري في كتابه الرّوضات[١].

ترجمة حياة القاضي سعيد القُمّي[٢]

هو المولى، الفاضل، الحكيم، العارف، المُتشرّف، الأديب الكامل، المُحقّق الصّمداني[٣]، مُحمّد بن مُحمّد مُفيد[٤] وكما يقول عن نفسه: "المدعو

(١) روضات الجنّات: ٦/ ١٣٢.

(٢) ترجمة حياة القاضي أُخذت بتصرّف من المُحقّق الدّكتور نجفقلي حبيبي، في كتاب شرح توحيد الصّدوق، للقاضي سعيد القُمّي، حيث اعتمد على المصادر أدناه، في نقل ترجمته.

١ـ تذكرة نصر آبادي، مُحمّد طاهر نصر آبادي من المعاصرين للقاضي القُمّي، روضات الجنات للسيّد مُحمّد باقر الخوانساري، طرائق الحدائق، ريحانة الأدب، لمُحمّد عليّ المُدرّس التّبريزي، هدية الأحباب، للمُحدّث الشّيخ عبّاس القُمّي، الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة، للشّيخ آقا بُزرك الطّهراني، مُقدّمة السيّد نصر الله تقوي، على كتاب "الأربعين" للقاضي، طبع حجري، مُقدّمة السيّد مُحمّد مشكوة، على كتاب "كليد بهشت" للقاضي أيضاً وهو باللغة الفارسيّة، رياض العُلماء للميرزا عبد الله الأفندي.

(٣) التّعبير من صاحب روضات الجنّات.

(٤) مُقدّمة شرح التّوحيد: ١/ ١٨.

بسعيد الشّريف القُمّي[(١)] ويصف نفسه بالحكيم[(٢)] والقاضي[(٣)] ويتبيّن من تعريفه نفسه، أنّ اسمه مُحمّد، واسم أبيه، الذي لم يعتن بذكره أغلب أصحاب التّراجم، هو مُحمّد مُفيد، أو مُفيد[(٤)] وأنّه مدعو، أو مُلقّب، أو مُشتهر بـ "سعيد" وكأنّ السّعيد صار جُزءاً من اسمه، كما يظهر من تعريفه نفسه، بقوله: مُحمّد سعيد الحكيم، في مُقدّمة أسرار الصنايع، وبعض معاصريه سّماه أيضاً هكذا[(٥)] وأنّه مدعو بـ "الشّريف"[(٦)] و"الحكيم"[(٧)] و"القاضي"[(٨)].

(١) نفس المصدر.
(٢) مُقدّمة رسالة أسرار الصّنايع، مخطوط.
(٣) مُقدّمة شرح التّوحيد: ٢، مخطوط؛ خاتمة رسالة الطّلائع والبوارق، مخطوط؛ خاتمة رسالة إشارة وبشارة، مخطوط.
(٤) مُقدّمة شرح التّوحيد، ج٢، مخطوط، طرائق الحقائق: ٣/ ١٦٢. فقول معاصره نصرآبادي في تذكرته، إنّ اسم أبيه كان مُحمّد باقر، لا وجه له، وماقاله السيّد مشكوة، في مُقدّمته، على كليد بهشت: ٧، إنّ له وجهاً، لا وجه له.
(٥) نصرآبادي في تذكرته: ١٦٧، فإنّه ذكره باسم ميرزا مُحمّد سعيد.
(٦) لم أعرف وجهه، ولم أعثر على ما يدلّ باشتهاره به، في كلمات من تكلّم عنه، وإن اهتم نفسه بذكره، في أغلب آثاره؛ إلاّ أنّنا نقول: لعلّ المُراد، هو ما قاله في مُقدّمة رسالة المقصد الأسنى، مخطوط: "الفقير إلى الله المُتعال في جميع الأحوال، مُحمّد، يُدعى سعيد الشّريف، بنسبة النّبيّ والآل عليهم السلام".
(٧) لعلّ شهرته بالحيكم، أنّه كان طبيباً، والأطباء كانوا يُسمّون بالحكيم في تلك الأيام. ويؤيّد الاحتمال، أنّه أطلقه على نفسه في مُقدّمة رسالة أسرار الصّنائع فقط، وهي من آثار أيام شبابه، وكان حينئذ مُشتغلاً بالطّب، كما نقل صاحب الرّوضات، أنّه كان يُدعى حكيم كوجك، أي، الحكيم الصّغير، قبال أخيه الأكبر، الحكيم ميرزا مُحمّد حُسين، فإنه كان طبيباً أيضاً.
(٨) اشتهاره به؛ لتصديه منصب القضاء الشّرعي، كما سنُشير إليه في النّص.

ويظهر من مقارنة شّتى كلماته في مختلف آثاره أنّه ولد في العاشر من ذي القعده سنة ١٠٤٩هـ[١] وتاريخ وفاته مجهول فبعض أصحاب التراجم لم يتعرض له مثل صاحب هداية الأحباب[٢] وبعضهم، مثل صاحب طرائق الحقائق، قال: "إنّه توفّي بقُم المُشرّفة قريباً من سنة ١١٠٠هـ"[٣] وقال صاحب روضات الجنّات: " إنّي لم أتحقّق إلى الآن من تاريخ وفاته، وكأنّه من أوائل المئة الثّانية، أم أواخر المئة الأولى بعد الألف"[٤] وقال صاحب ريحانة الأدب: "إنّه توفّي سنة ١١٠٣هـ" وزعم السيّد مُحمّد مشكوة في مُقدّمته على كليد بهشت: "إنّه كان حيّاً في ١٤ جمادي الثّانية سنة ١١٠٣هـ"[٥].

وأقول[٦] على ما في خاتمة المجلد الثّالث من شرح التّوحيد: "إنّه كان حيّاً في الثّامن عشر من شهر رمضان المُبارك لسنة ١١٠٧هـ"[٧].

(١) قال في خاتمة رسالة مرقاة الأسرار، مخطوط: "واتّفق الإتمام على يدي مؤلّفه... في وطنه قُم.... بعدما مضى من العُمر خمس وثلاثون سنة، عاشر ذي القعدة، سنة أربع وثمانون من الألف الثّاني من الهجرة". وقال في مُفتتح رسالة شرح حديث الغمامة، مخطوط، أنّه شرع بتأليفه بأصفهان سنة ١٠٩٩هـ حين ما مضى من عمره خمسون سنة، وبلغ إلى إحدى مراقي السّتّين.

(٢) هداية الأحباب: ٢٣٦.

(٣) طرائق الحقائق: ٣/ ١٦٢.

(٤) روضات الجنّات: ٤/ ١٠.

(٥) كليد بهشت: ١١.

(٦) القول للمُحقّق نجفقلي حبيبي.

(٧) على ما في خاتمة نسخة رقم ١٢١٢ع المكتبة الأهليّة في الجُمهوريّة الإسلاميّة، فهرس المكتبة: ٩/ ١٩٧.

وعلى ما جاء في كتاب التّراجم: "ولد بقُم المُقدّسة، وبعد تحصيل المُقدّمات، وبعد ما قرأ على أبيه الطّب في صغر سنّه، هاجر إلى أصفهان، وكان مُتردّداً بين أصفهان وقُم المُشرّفة طوال عُمره الشّريف، في هجرته الأولى لأصفهان، دخل في زُمرة أطباء الشّاه عبّاس الصّفوي الثّاني، كما كان أخوه الحكيم، ميرزا مُحمّد حُسين، وكانا مُعظّمين عند السّلطان، وفي نفس الوقت، تتلمذ على المولى رجب عليّ التّبريزي، وبعد عدّة سنوات، تصدّى لمنصب القضاء من قبل السّلطان، وبعد جُلوس السّلطان، سُليمان الصّفوي سنة ١٠٧٧هـ غضب عليه الشّاه، وأمر بحبسه في قلعة الموت؛ ولكن سلامة نفسه، كانت سبباً لعفوه، فأقام بقُم المُشرّفة، مُشتغلاً بالعبادة والتّدريس والتّصنيف حتّى سنة ١٠٨٩هـ[1] وذهب إلى أصفهان في تلك السّنة، وأقام بها حتّى سنة ١١٠٢هـ[2] ثمّ رجع إلى قُم- وإن لم نعلم تاريخ

(١) يظهر من قوله في خاتمة رسالة النّفحات الإلهيّة، أنّه كان نقلها إلى مجموعة الأربعينيّات، في سابع عشر ربيع الثّاني قريباً من نيروز، سنة تسع وثمانين من الألف، حين توقّفه بأصفهان، كما يظهر من قوله في مفتتح رسالة إشارة وبشارة، مخطوط: "وبعد اعلموا ...أنّي كنت ليلة الجمعة المُباركة، لليلتين خلتا من شهر جمادي الآخرة، لسنة تسع وثمانين وألف من الهجرة ... بوطني ـ قُم المحروسة...". وقال في خاتمة رسالة مرقاة الأسرار، مخطوط: "إنّه فرغ منه بقُم، في العاشر من ذي القعدة، سنة ١٠٨٤هـ" وقال في خاتمة رسالة النّفحات الإلهيّة: "إنّه فرغ منه في مُحرّم الحرام سنة ١٠٨٤هـ" وقال في خاتمة رسالة الأنوار القُدسيّة: "إنّه فرغ من تأليفه في مُحرّم الحرام سنة ١٠٨٥هـ".

(٢) كما يظهر من قوله في مُفتتح رسالة الطّلائع والبوارق، بأنّه أراد أن يُبيّن حقيقة ما ◄

رجوعه- مُتصدياً لمنصب القضاء وشيخ الإسلاميّة بقُم، من قبل الشّاه سُليمان الصّفوي، وكان حيّاً في سنة ١١٠٧هـ"[١].

ولم أعثر على خبر عنه بعد هذا العام، ولم أتحقّق من تاريخ وفاته، وهو مدفون بقُم المُقدّسة؛ فرحمة الله عليه، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

مكانته العلميّة وسيرته العمليّة

كان القاضي سعيد من الجانب العلمي طبيباً[٢] أديباً وشاعراً بالفارسيّة[٣] فقيهاً[٤] حكيماً[٥] عارفاً[٦] مُتضلّعاً في الأخبار والأحاديث، خاصّة المُشكلة

فتح له في الاستفتاح، من عام خمس وتسعين من الألف الثّاني في بلدة أصفهان. وقال في آخرها: "اتّفق النّقل إلى هذه المجموعة يوم الأحد، ثالث شهر صفر...سنة ألف ومئة واثنين".

(١) كما يظهر من قوله في خاتمة المُجلد الثّالث من شرح التّوحيد، وأشرنا إليه آنفاً: "قد اتفق الفراغ.. على يد مُصنفه... في العام الثّاني من تقليد شيخ الإسلاميّة بقُم المحروسة، في ثامن عشر شهر رمضان المُبارك، لسنة سبع ومئة من الألف الثّاني من الهجرة.

(٢) كما جاء في تذكرة نصر آبادي وغيرها.

(٣) كما يظهر من أشعاره المنقولة في كُتب التّذكرة، منها في تذكرة نصر آبادي .

(٤) فقاهته تظهر من تصدّيه لمنصب القضاء الشّرعي.

(٥) كما يظهر من جميع آثاره، وخاصّة بعض رسائله، مثل رسالة مرقاة الأسرار في بيان ربط الحادث بالقديم، ورسالة النّفحات الإلهيّة، وغيرها.

(٦) كما يظهر من آثاره جميعاً، فإنّها انسجمت واتسقت بالحكمة والعرفان.

منها، بالشّرح والتّأويل، تتلمذ في الطّب على أبيه بقُم، وأقبل عليه في صغر السّن، وأيّام الشّباب، وكأنّه تركه بعد حين[(١)].

وتتلمذ في الحكمة، على المولى رجب عليّ التّبريزي، المتوفّى سنة ١٠٨٠هـ بأصفهان[(٢)] وهو من العُلماء المُقرّبين والمُعظّمين عند الشّاه الصّفوي، يزوره الشّاه وخواصّه وأُمراه حيناً بعد حين، وتتلمذ في العُلوم الدّينيّة والحقيقة، على المولى مُحمّد مُحسن الفيض الكاشاني سنة ١٠٩١هـ[(٣)] وأقبل على شرح الأحاديث وتأويلها، حينما بلغ عُمره ثلاثين سنة[(٤)] وقام بها طوال عُمره الشّريف[(٥)] وترك لنا في هذا الباب تُراثاً ضخماً، ويظهر من آثاره، من نقله، واستناده على أقوال كثير من العُلماء[(٦)] ونقدها، سعة

(١) حيث قال المُحقّق نجفقلي، ما نصّه: فإنّا لم نعثر على هذا في آثاره، إلاّ في مُقدّمة رسالة أسرار الصّنايع، وهي من آثار أيّام شبابه.

(٢) مُقدّمة رسالة البُرهان القاطع، وشرح التّوحيد: ١/ ١١٣و٤٣٨.

(٣) شرح التّوحيد: ١/ ٦٣ و٣٠١ و٤٤٩، الأربعين: ١٩١ و٢٠٢ و٢٦٥.

(٤) كما يُشير إليه في مُقدّمة الأربعين.

(٥) كما يظهر من بيانه، في تاريخ تصنيف رسائله.

(٦) أمثال فيثاغورث، وافلاطون، وارسطو، والفارابي، واخوان الصّفا، وابن سينا، والغزالي، والفخر الرّازي، وشيخ الإشراق السّهروردي، ونصير الدّين الطّوسي، ومُحيي الدّين ابن عربي، والسّيّد المُحقّق الدّاماد، وصدر الدّين الشّيرازي، وصاحب الكشاف، وصاحب مجمع البيان، والشّيخ البهائي، والمجلسي، وجمع كثير من المُفسّرين والمُحدّثين وغيرهم.

اطّلاعه، وقوّة فهمه، ومرتبة علمه، واستقلال رأيه[١] أمّا في الجانب العملي، فهو سالك مُتشرّع، وله ميل للتّصوّف والعرفان[٢] كان مؤيّداً بروح القُدس، ومشمولاً بتأيدات غيبيّة[٣] وكما يقول هو عن نفسه، كان مُفاضاً وملهَماً عند الله، في فهم الأسرار المكنونة، والدّقائق الكشفيّة المخزونة، في الآيات والأحاديث[٤] وكان مُقيّداً بتبعيّة أهل البيت عليهم السلام ومُصرّحاً بها في العلم والعمل[٥] فهو، رضي الله عنه، مُتوغّل في التّوحيد، وحُبّ أهل البيت عليهم السلام

(١) فإنّه بقوله- غير مرّة-: "عندي، وأقول" يقوم بيان نظره الخاصّ، ويُصرّح به في مُقدّمة الأربعينيّات، التي كتبها في أواخر عمره الشّريف:"...ثمّ عند عُروجي إلى مرقاة السّنين ...وخُروجي عن مهواة المُقلّدين، إلى بقاع اليقين... وذلك بعد تسياري في بساتين رموز الحُكماء المُتألّهين، وتذكاري لأسرار العُرفاء الكاملين، من الأقدمين والآخرين، وحظيت من قسط كُلّ من تلك الطّوائف بحظ وافر...".

(٢) طرائق الحقائق: ٣/ ١٦٢.

(٣) ريحانة الأدب: ٤/ ٤١٢.

(٤) منها قوله: "هذه جُملة من الأخبار ... قد تيسّر لي بعون الله وتأييده حلّها، وتفرّدت بفضل الله وتوفيقه، في كشف النّقاب عن أستارها، بالنّور الذي اقتبست من مشكاتهم، والكشف الذي حصل لي من مُتابعتهم". (الأربعين: ٣) وقوله: " قد سنح لي ...أظنه من الإلهامات، ...". (الأربعين: ١٢٧) وقوله: "ألهمني الله". (الأربعين: ١٥٢) وقوله:" ومن الأنوار ... أُفيض في روعي...". (الأربعين: ٥٨١) وموارد كثيرة في أكثر آثاره.

(٥) كما يظهر من قوله في أكثر آثاره، غير مرّة، منها، قوله: "المُتمسّك بحبل النّبيّ والوصي" (مُقدّمة شرح التّوحيد: ١، مُقدّمة رسالة الطّلائع والبوارق) وقوله: "المُتمسّك بحبل النّبيّ الأمّي" (مُقدّمة الأنوار القُدسيّة، مُقدّمة رسالة الفوائد ◄

والاقتباس من مشكاتهم، والسّير على سنّتهم وسلوكهم، وتأويل وتشريح مُعضلات كلامهم، وما قالوا فيه من ميله المُفرط إلى التّصوف، فيه تأمّل؛ فإنه رحمه الله، مُتمسّك بحبل النّبيّ والوصي عليهما السلام والمُلتجئ إلى عتبة باب العلم، ولم يتمّسك بالآراء والأهواء، ويرى شرافته إلى النّبيّ والآل عليهم السلام [1].

وممّا يهمّني ذكره، أنّه وإن كان مُعظّماً عند سلاطين زمانه، وتصدّى لمنصب القضاء الشّرعي من قبلهم، ولكن لا نرى في كلماته ما يمدحهم به كما لم نعثر على أثر أهداه إلى أرباب السّلطة، وكأنّه أغمض عينيه عن جميع مُزخرفات الدّنيا، ومظاهر السّلطة، وأرباب القُدرة. [2]

أساتذته

كما أشرنا سابقاً، يُصرّح بأستاذه في الحكمة الإلهيّة، المولى رجب عليّ التّبريزي، وأستاذه في العُلوم الدّينيّة والحقيقة، المولى مُحمّد مُحسن الكاشاني، في غير موطن من آثاره، وما قال بعضهم، أنّه قرأ على المولى

الرّضويّة) وقوله: "المُلتجي إلى عتبة أرباب التّوحيد" (مُقدّمة الأربعينيّات) وقوله: "خادم الشّرع المُبين وراصد عُلوم الأئمة الطّاهرين" (مُقدّمة الأربعين: ٢).

(١) كما أشرنا آنفاً، نقلاً عن كلماته، فانظر قوله: "الفقير إلى الله المُتعال في جميع الأحوال، مُحمّد، يُدعى سعيد الشّريف، بنسبة الآل" (مُقدّمة المقصد الأسنى) وقوله: "المُتجلئ إلى باب العلم" (مُقدّمة شرح التّوحيد:١).

(٢) وأكثر ما في آثاره، في باب اعتنائه بالسّلاطين، قوله، في خاتمة رسالة النّفحة الإلهيّة: "وكان نقله إلى هذه المجموعة... حين توقفي بأصبهان، بدار السّلطنة، في زمن السّلطان الأعظم، شاه سُليمان، خلّد الله مُلكه وسُلطانه".

عبد الرّزاق اللاهيجي (الفياض) فليس بصحيح[١].

تلامذته

يظهر من آثاره، أنّه قرأ عليه أفاضل، كانوا من تلامذته، وإن لم يُصرّح بهم أصحاب التّراجم، منهم: مُحمّد[٢] ويُحتمل أن يكون هو الذي يذكره صاحب الذّريعة، بقوله: "مُحمّد بن حُسين عليّ"، المظنون أنّه حفيد المولى عبدالله التّستري، المُتوفّى سنة ١٠١٢هـ[٣] ومنهم، من اسمه مهدي[٤] واحتمل ضعيفاً، أنّه هو الذي له تعليقات على المُجلد الأوّل، من شرح التّوحيد، يعترض فيها عليه[٥] ومنهم، المولى مُحمّد كريم[٦].

مُصنّفاته

له مُصنّفات كثيرة، أكثرها في شرح الأحاديث المُشكلة؛ كما أنّها باللغة العربيّة، إلاّ كتاب (كليد بهشت، وأسرار الصّنائع) فإنّهما باللغة

(١) منهم صاحب طرائق الحقائق: ٣/ ١٦٢، صاحب روضات الجنات، صاحب رياض العُلماء، صاحب ريحانة الأدب؛ لأنّهم ذكرو، أنّ اللاهيجي توفّي في سنة ١٠٥١هـ ولما كانت ولادة القاضي سعيد القُمّي في ١٠٤٩هـ فهو كان حينئذ ابن سنتين.

(٢) كما يظهر من إجازته له، بعدما قرأ عليه شرح التّوحيد.

(٣) الذّريعة: ١/ ٤١٧، ذيل "الأربعون حديثاً" طبع النّجف سنة ١٣٥٥هـ

(٤) كما يظهر من إجازته له.

(٥) راجع صفحات المجلد الأوّل: ١١٥، ١١٨، ٢٩٤، ٣٨٣، ٤١٩، ٤٢٠، من شرح التّوحيد للقاضي القُمّي.

(٦) الذريعة: ١٣/ ١٥٣، طبع النّجف سنة ١٣٥٥هـ نقلاً عن مُستدرك إجازات بحار الأنوار ومجمع الإجازات.

الفارسيّة، اتّسقت وانسجمت آثاره من الآيات، والأحاديث، وآراء الحُكماء والمُتكلمين، وكلمات المُفسّرين والمُحدّثين، ومواجيد وأذواق العُرفاء والمُحقّقين، وأهل السّلوك، والأشعار الفارسيّة والعربيّة، وله عناية خاصّة بالتّأويل، وكثيراً ما يُصرّح بما أخصّه الله به من الفهم.

ولا يُمكن ذكر ترتيب تاريخي على مُصنّفاته، فإنّه في الأربعين يذكر شرح التّوحيد والبوارق، وبعض آثاره بوجه كلّي، وفي شرح التّوحيد، يُرجع القارئ إلى الأربعين، وكذا في أكثر مُصنّفاته، وكأنّه كان يشرع بتصنيف كتاب، قبل أن ينتهي من آخر، ولنشرع بذكرها[(١)]:

١ـ أسرار الصّنايع في فلسفة بعض العُلوم.

٢ـ كليد بهشت في الحكمة.

٣ـ الأربعين في شرح الأحاديث.

٤ـ شرح توحيد الصّدوق.

٥ـ الأربعينات لكشف أنوار القدسيات. وهي مجموعة من عشر أو إحدى عشرة رسالة، صنّفها مُنفردة، ثمّ نقلها في هذه المجموعة، وكان في نيّته، أن يجمع فيها أربعين رسالة، ولم يف به عمره الشّريف[(٢)] هي:

---

(١) نقلاً عن مُحقّق كتاب شرح التّوحيد للقاضي القُمّي، حيث قال المُحقّق: "جدير بالذّكر، أنّه لا يسعنا تفصيل الكلام في وصف آثاره في هذه المُقدّمة، ونرجو من الله أن يوفّقنا به في مجال آخر".

(٢) كما يُصرّح في مُقدّمة الأربعينيات، بقوله:" فجمعت ذخائر في دفاتر مُتفرّقة... ثمّ رأيت أن أصنع أربعين كنزاً، من صغائر هذه اللئآلي.

١ـ رسالة حقيقة الصّلة، أو مقالة التّوحيد.

٢ـ رسالة إشارة وبشارة، في حقيقة اختلاف الواقع في القراءات السّبع، مخطوط.

٣ـ رسالة الفوائد الرّضويّة في شرح حديث سؤال رأس الجالوت من الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام: "ما الكفر والإيمان؟" وجوابه عليه السلام مخطوط.

٤ـ رسالة مرقاة الأسرار، في بيان ربط الحادث بالقديم، وحُدوث العالم، مخطوط.

٥ـ رسالة النّفحات الإلهيّة والخواطر الإلهاميّة، وهي مُسجّعة المباني، مخطوط.

٦ـ رسالة الأنوار القُدسيّة، في تحقيق الهيولى والصّورة والنّفس، مخطوط.

٧ـ رسالة المقصد الأسنى، في تحقيق ماهيّة الحركة ووجودها، مخطوط.

٨ رسالة الحديقة الورديّة، في السّوانح المعراجيّة، مخطوط.

٩ـ رسالة البُرهان القاطع، والنّور السّاطع، وهي ترجمة أُستاذه المولى رجب عليّ التّبريزي، من اللّغة الفارسيّة إلى العربيّة، مخطوط.

١٠ـ رسالة الطّلائع والبوارق، في تحقيق أنّ لكُلّ حقيقة من الحقائق الإمكانيّة صورة، وأنّ أحسنها الصّورة الإنسانيّة، مخطوط.

١١ـ رسالة شرح حديث الغمامة، من إعجاز أمير المؤمنين عليه السلام مخطوط.

٦ـ أسرار العبادات، مطبوع.

٧ـ تعليقات على اثلوجيا، وهي تفصيل لرسالة حقيقة الصّلاة، مخطوط.

٨ـ روح الصّلاة، وهي تفصيل لرسالة حقيقة الصّلاة، مخطوط.

٩ـ حاشية على شرح الإشارات، غير موجودة.

١٠ـ شرح حديث البساط، مخطوط.

ترجمة حياة الشّيخ المؤلّف

نسب سماحة الشّيخ وموطنه الأصلي

الشّيخ الحاج عبد الكريم ابن المرحوم الحاج شنون ابن الحاج المرحوم عبد الله العُقيلي، يعود أصله إلى عُقيل بن كعب، أحد أبرز العشائر العربيّة التي كانت تسكن البحرين، ثمّ هاجر معظم أفراد العشيرة إلى العراق، حيث سكنوا جنوب العراق والكوفة وبغداد، وبعض أفراد العشيرة سكن في منطقة الفُرات الأوسط، وللعشيرة امتدادات واسعة في عُموم الوطن العربي، كمصر وسوريا ولبنان والكويت والسّعوديّة والبحرين. بل وفي بعض البلدان الإسلامية كالجمهوريّة الإسلامية في إيران في مناطق الجنوب منها، وقد ذُكرت إحصائية لهم، على لسان بعض رؤساء العشيرة، بما يربو على عدّة ملايين، من مختلف مشاربهم ومذاهبهم ومواطن سُكناهم في البلاد.

ولادته

ولد سماحته عام ١٣٧٨هـ ق ١٩٥٩م في بلدة العمارة (معمورة آل مُحمّد صلوات الله عليهم) في جنوب العراق، في بيت عُرف أهله بالولاء لمُحمّد وآله الأطهار عليهم السلام.

علاقته بالقُرآن الكريم

بـدأ حياته العلميّة بتعلّم قراءة القُرآن الكريم، على يد فضيلة الشّيخ عليّ الـشّيخلي، أحـد عُلمـاء الـبلدة في الجامع الكبير، حيث ختمه مرّتين: الأولى علـى قـراءة عاصم، والثّانية على قراءة شُعبة، وقد تتلمذ على يديه الشبّان في بلدته، ومن أبرز هؤلاء: الشّهيد السّعيد، فيصل عبد العزيز النّجار، والأخ عبد السّتار جبّار الحدّاد.

الجانب الآخر من حياة سماحته

مـارسَ سـماحة الـشّيخ مـنذ صـباه نـشاطه الإسـلامي المُـناهض لحـزب الـبعث، وكُـلّ القـوى المعادية للإسلام، وقد أعتقل في سجون حزب البعث الـبائد عـام ١٣٩٩ إلـى ١٤٠١ هـ ق الموافق ١٩٧٧ إلى ١٩٧٩ ميلادي، وكان لبيـته الكـريم، الـذي تربّـى فيه، الأثر البالغ في صقل شخصيّته وتوجيهه نحو المبادئ السّامية للإسلام بصورة عامّة، والتّمسّك بحبل الله المتين مُحمّد وآل مُحمّـد عليهم السلام بـصورة خاصّـة... حـيث أعطـى هـذا البـيت، كغيـره من بيوتات الموالـين لمُحمّـد وآل مُحمّـد عليهم السلام القـرابين، فقـدّم هذا البيت ثلاثة شُهداء، أوّلهـم شـهيد السّجون، ميثم العُقيلي، الذي اُستشهد في سُجون حزب البعث الكافـر عـام ١٤١٠ هــ ق الموافـق ١٩٩٠ مـيلادي، بـتُهمة انـتمائه للحـركة الإسلاميّة، المُناهضة لحزب البعث.

وثانـيهم الـشّهيد عـبد الرّضـا، شـهيد الانتفاضـة الـشّعبانيّة المُـباركة عام ١٤١١هـ ق الموافـق ١٩٩١ مـيلادي، الـذي اُستشهد بين يدي سماحة الشّيخ

في الجامع الكبير، مُخضّباً بدمه، وذلك عندما كان يُقارع البعثيين الظّالمين الخونة.

وثالثهم المُغيّب المُفتقد، شهيد المقابر الجماعيّة، عمّار العُقيلي، الذي أعدمته زُمرة العفالقة، أواخر عام ١٤١١ هـ ق الموافق ١٩٩١ ميلادي، بعد أحداث الانتفاضة الشّعبانية المُباركة، بشهادة الثّقات، ولم يُعرف قبره.

تحصيله الأكاديمي

واصل سماحة الشّيخ تحصيله الدّراسي الأكاديمي في المدارس العامّة، حتّى أنهى دراسته في إعداديّة الصّناعة، ففي المدرسة الابتدائيّة، كانت دراسته في مدرسة الكرامة، ومن أبرز الأستاذة الذين تتلمذ عليهم في هذه المرحلة: الأستاذ المرحوم بهجت علوان، والأستاذ بدر، والأستاذ محمود، والأستاذ المرحوم جبّار، وفي المُتوسطة، كانت دراساته في مُتوسطة المُرتضى، ومن أبرز الأستاذة الذين تتلمذ عليهم في هذه المرحلة: الشّهيد المرحوم فرج عثمان، وغيره، وأمّا إعداديّة الصّناعة، فقد أتمّها في إعداديّة صناعة العمارة، ثّم بعد هجرته وتدرجه في تحصيل العُلوم الحوزويّة، والتي سوف نُشير إليها في الفقرات اللاحقة، فإنّه حصل أيضاً على الشّهادات العُليا في الدّراسات الأكاديميّة، منها: شهادة البكالوريس وشهادة الماجستير وشهادة الدّكتوراه التي حصل عليها من جامعة الحضارة الإسلاميّة العالميّة وذلك عن الرّسالة الموسومة بالفقه الإمامي، وشهادة البروفيسور والتي حصل عليها بامتياز من قبل الجامعة المذكورة أعلاه، وقد صادقت عليها

وزارة الخارجيّة البريطانيّة، وسفارة دولة الكويت في لندن، وأيضاً وزارة الخارجيّة الكويتيّة، علماً أنّ نيل هذه الشّهادة تمّ على أثر عرض هذه الدّراسة الموسوعيّة في التّوحيد الخالص، والتي نالت استحسان المسؤولين في الجامعة، بعد استماعهم للأبحاث المُسجّلة والمدونة في التّوحيد.

هجرته إلى إيران

بعد الضّغوط الكبيرة التي مارستها السّلطات البعثيّة الصّداميّة، على أبناء الشّعب العراقي، وخُصوصاً المُتدينين منهم، وقد أشتدّت هذه الضّغوط كمّاً وكيفاً بعد انتصار الثّورة الإسلاميّة في إيران، حيث قامت السّلطات البعثيّة بمُراقبة سماحة الشّيخ ورفاقه المُتدينين، وأقدمت أكثر من مرّة على إيداع سماحة الشّيخ وبعض رفاقه السّجن، وبعد أن أُفرج عنه آخر مرّة عام ١٩٧٩ ميلادي، عزم سماحة الشّيخ الفرار بدينه، وفعلاً هاجر إلى الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.

تحصيلاته الحوزويّة

منذ الأيّام الأولى لهجرة سماحة الشّيخ إلى الجمهوريّة الإسلاميّة، وبالتّحديد في سنة ١٩٧٩م اتّجهت أنظاره إلى مدينة قُم المُقدّسة، لتبدأ من هُناك حياته العلميّة الجديدة في الحوزة المُباركة، بدراسة العُلوم الحوزويّة المُختلفة، من الفقه والأصول والمنطق والحكمة والنّحو وغيرها، حتّى أتمّ دراسة المُقدّمات والسّطوح العالية فيها. علماً أنّ دراساته في السّطوح

الحوزويّة استغرقت تسع سنوات، تتلمذ فيها على يد كلّ من: المرحوم الشّيخ المدرس الأفغاني، والمرحوم الشّيخ بناه الأشتهاردي، والمرحوم الشّيخ البایاني، والمرحوم السيّد رضا الشّيرازي، والسيّد حسن القزويني، والشّيخ الأنصاري الشّيرازي، ثمّ شرع في دراسات البحث الخارج على يد كلّ من: الشّيخ الوحيد الخراساني، والشّيخ فاضل الهرندي، والسيّد كاظم الحائري، والسيّد محمود الهاشمي، والتي استغرقت عشر سنوات، قرّر خلالها أبحاث أساتذته، وقد واكبه في هذه الفترة ثلّة من أهل العلم، الذين باحثهم كُلّ دروس الخارج، في علمي الفقه والأصول، وهُم: السيّد عدنان الزّاملي، والشّيخ غالب القطيفي، والشّيخ يحيى الطّائي، والشّيخ عليّ عبيان الأهوازي، وفي عام ١٤١٦ هـ ق – ١٩٩٦م أنهى سماحة الشّيخ "دام توفيقه" تحصيلاته الأصوليّة والفقهيّة على أساتذته أعلاه، وخُصوصاً أُستاذه المُعظّم، آية الله العُظمى الشّيخ الوحيد الخراساني "دام ظلّه" وله تقريرات تربو على ثلاث الآف صفحة تقريباً، كتبها أثناء تلقيه أبحاث الفقه والأصول، علماً أنّ سماحته قد كتب دورة أصوليّة بحلّة وقشيبة جديدة، خرج منها إلى النّور المجلد الأوّل، في بحث الألفاظ والحُكم الشّرعي، وسيتلوه بإذن الله المُتعال، المُجلد الثّاني، والذي أشرف على نهايته، وفي الفقه أيضاً كتب سماحته دورة فقهيّة، تحت عنوان "دراسات في الفقه الإمامي" تعليقاً على متن العُروة الوثقى، صدر منها المُجلد الأوّل، تحت عنوان "الاجتهاد والتّقليد" وسوف يُنجز عن قريب، إن شاء الله تعالى، المجلد الثّاني في كتاب الصّوم...

كلمات العُلماء الأعلام بحقّه

كانت لسماحة العلامة العُقيلي "دامت توفيقاته" مُناقشات علميّة مع الكثير من أعلام الطّائفة، في موارد من الفقه والأصول والعقائد والرّجال والدّراية، وغيرها، الأمر الذي حدا ببعضهم إلى تسطير آرائهم فيه، وفي نتاجاته العلميّة، نذكر شذرات وضّاءة من ذلك.

كلمة آية الله العُظمى السّيد مُحمّد كاظم الحُسيني المرعشي قدس سره

بسم الله الرّحمن الرّحيم

والصّلاة والسّلام على سيّد الأنبياء والمُرسلين مُحمّد وآله الطّيبين الطّاهرين

وبعد، فإنّ جناب السّماحة العلامة، حُجّة الإسلام والمُسلمين، الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دامت بركاته العالية" من العُلماء الذي صرف عُمره الشّريف في تحصيل العُلوم الدّينيّة، وهو ممّن فاق على أقرانه، وجاهد وجدّ، حتّى أناله الله رتبة الاجتهاد، فإنّ العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فهو "دام بقائه" مُجتهد مُطلق عادل، وصاحب التّقوى، وممّن يُفتخر به في العلم والعمل، فلله درّه، وعليه أجره، وأوصيه "دام بقائه" بمراعات الاحتياط؛ فإنّها طريق النّجاة، وأرجوه أن لا ينساني من صالح دعواته، كما لا أنساه إن شاء الله.

٢٩ جمادى الأولى سنة ١٤٢٣ المشهد المُقدّسة- السيّد كاظم المرعشي

الختم الشّريف لسماحته

كلمة سماحة آية الله العُظمى السيّد يوسف المدني التّبريزي'دام ظله'

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين، مُحمّد وعترته الطّيبين الطّاهرين، واللّعنة الدّائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدّين.

وبعد، فمن منن الله تعالى علينا، أنّه وفّق وأيّد رجالاً عُلماء وأفاضل، يهتمّون بحفظ المعارف الإسلاميّة، والعُلوم الدّينيّة، وممّن في طليعة هؤلاء، حُجة الإسلام والمُسلمين، الحاج الشّيخ عبد الكريم العُقيلي، فإنّه 'دامت توفيقاته' قد أتعب نفسه مُدّة طويلة، في تحصيل العُلوم الدّينيّة، واكتساب المعارف الإلهيّة، حتّى صار بفضل الله تعالى وحسن توفيقه، من العُلماء الفاضلين، لا زال مؤيّداً بتأييدات ربّ العالمين.

ولقد سرّحت بصري شطراً من تأليفه الشّريف، المُسمّى بـ "الاجتهاد والتّقليد" فسرّني تحقيقه، فلله تعالى درّه فيما كتب وحقّق، اللّهم اشكر سعيه، وثبّت في مضامير العلم قدمه، واجعله علماً للعلم، ومناراً للفضل، انّه الموفّق للصّواب، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

في الرّبيع الثّاني ١٤٢٧هـ

السّيّد يوسف المدني التّبريزي

الختم الشّريف لسماحته

كلمة سماحة آية الله العُظمى الشّيخ مُحمّد عليّ الكرمي"دام ظلّه"

بسمه تعالى

الحمد لله والصّلاة على رسوله الأمجد وآله الأطهار.

وبعد، فقد سرّحت النّظر فيما كتبه العلم النّبيل، شيخنا العزيز، الحاج الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام أفضاله" في مباحث الاجتهاد والتّقليد، فوجدته وافياً بجوانب المسألة، جيّداً نقيّاً، فلله درّه وعليه أجره، وزاد الله تعالى أمثاله، وأسأله تعالى لتكثير توفيقاته، والسّلام عليه وعلى إخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

١٣/ربيع ١٤٢٧/٢ هـ ق

ولسماحة آية الله العُظمى، الشّيخ مُحمّد عليّ الكرمي"دام ظلّه" كلمة أخرى بحقّ سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" وتأليفه الموسوم بـ "الهداية إلى أحكام السّبق والرّماية" أجاز له فيها الاجتهاد، والاستنباط بما يقرره من مسائل الفقه، وإليكم نصّها:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، وصلّى الله على سيدنا مُحمّد وآله الطّيبين الطّاهرين:

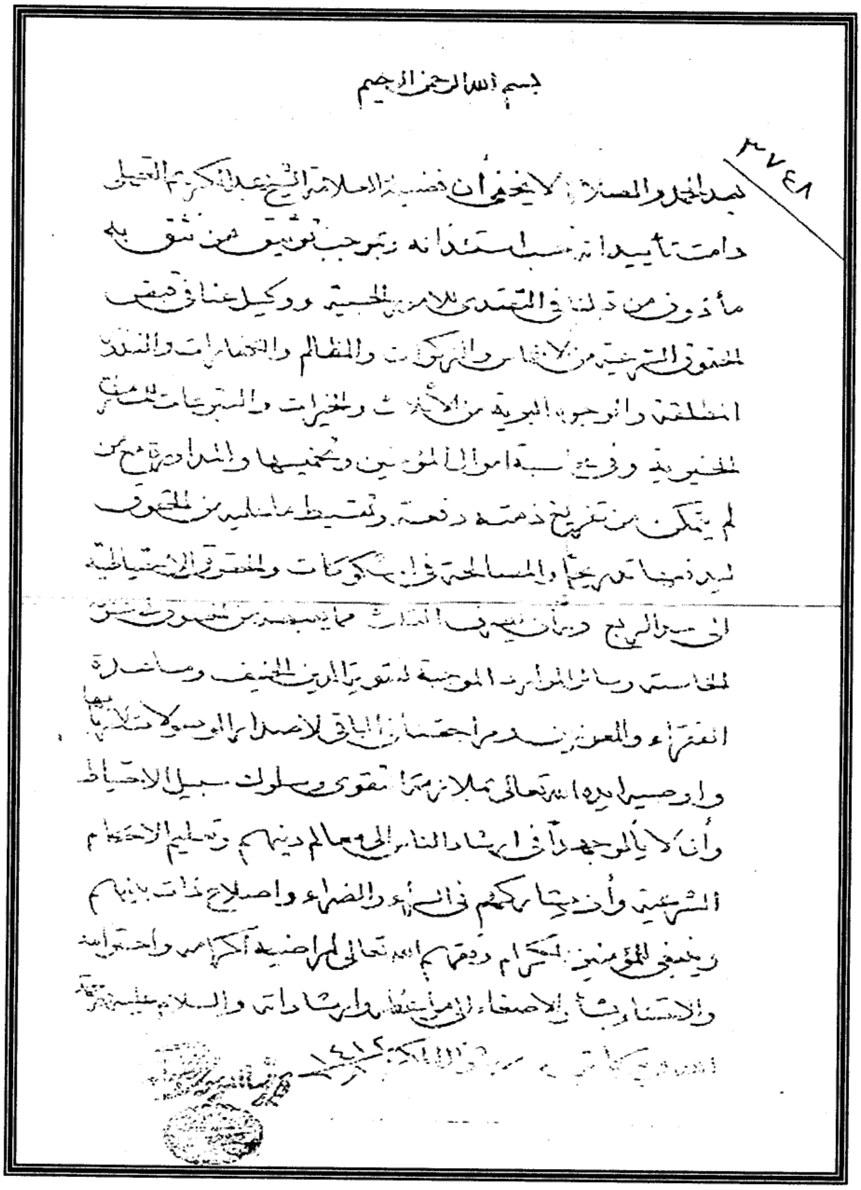
فقد سرّحت النّظر فيما كتب العالم المفضال، الحاج الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دامت بركات وجوده" في أبحاث السّبق والرّماية، وقد وجدته وافياً بالمقصود من البحث، جديراً بالاستفادة، فقد اجتهد في البحث، وأتى بما هو حقّ المطلب، فلله درّه وعليه أجره، وأسأله أن يوفّقه لتحقيق سائر

أبحاث الفقه، واستنباط الأحكام من الأدلّة، وله العمل بما يستنبطه حق الاستنباط، وأدعو له وأسأله الدّعاء في مظان الإجابة.كما إنّي وجدته عالماً بالزّمان وحوادثه، عارفاً بما هو وظيفة العالم في الزّمان، مُتوجهاً ومُلتفتاً إلى سياسة الأعداء، وما هو حقّ السّياسة، فلا زال هو مؤيّداً، إن شاء الله بالأئمة عليهم السلام والسّلام عليه وعلى إخواننا المؤمنين.

الوكالات الشّرعيّة التي حصل عليها سماحته

حصل سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" طيلة فترة دراسته الحوزويّة، على وكالات شرعيّة من مجموعة من المراجع العظام، رحم الله الماضين منهم وحَفِظ الباقين، إنّه جواد كريم، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

آية الله العُظمى السيّد مُحمّد رضا الگلبايگاني قدّس سرّه



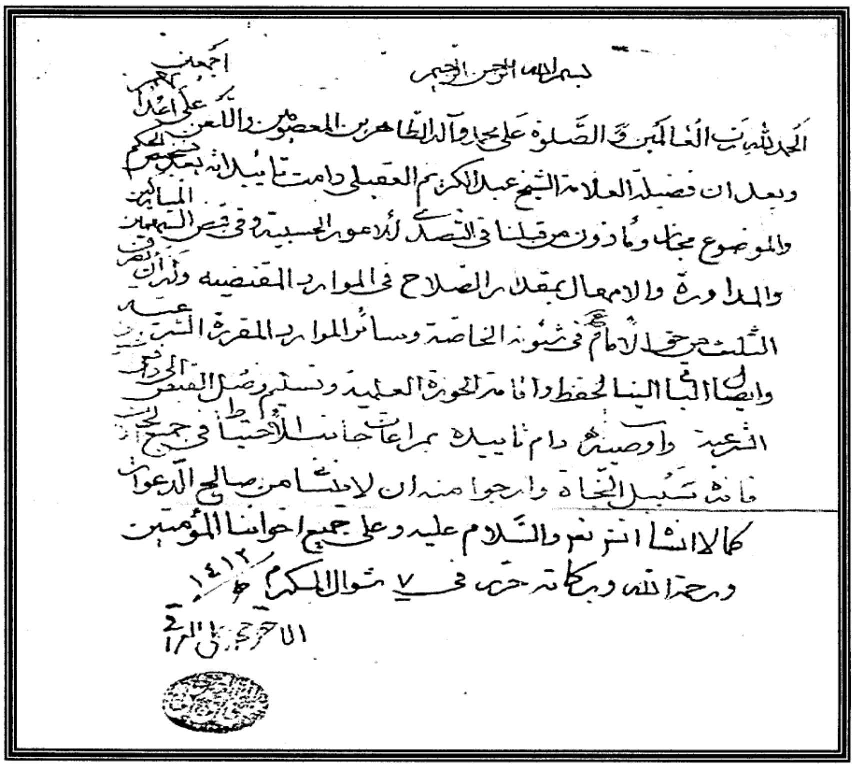
بسم الله الرحمن الرحيم

٣٧٤٨

بعد الحمد والصلاة لا يخفى أن فضيلة العلامة الشيخ [illegible] دامت تأييداته [illegible] ثقة [illegible] مأذون من قبلنا في التصدي للأمور الحسبية ووكيل عنا في قبض الحقوق الشرعية من الأخماس والزكوات والمظالم والكفارات والنذور المطلقة والوجوه البرية من الأثلاث والخيرات والتبرعات [illegible] الخيرية وفي [illegible] أموال المؤمنين وتخميسها والمداورة مع من لم يتمكن من تفريغ ذمته دفعة وتقسيط ما عليه من الحقوق [illegible] والمصالحة في الزكوات والحقوق الاحتياطية [illegible] للخاسة [illegible] الموجبة [illegible] الخفيف [illegible] الفقراء والمعوزين [illegible] وأوصيه أيده الله تعالى بملازمة التقوى وسلوك سبيل الاحتياط وأن لا يألو جهداً في إرشاد الناس إلى معالم دينهم وتعليم الأحكام الشرعية [illegible] الضعفاء وإصلاح ذات بينهم وينبغي للمؤمنين إكرام [illegible] الله تعالى [illegible] إكرامه واحترامه والاستنارة [illegible] الاستضاءة [illegible] وإرشاداته والسلام عليه [illegible]

[illegible]

آية الله العُظمى مُحمّد علي الآراكي قدّس سرّه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين المعصومين واللعن على أعدائهم أجمعين

وبعد ان فضيلة العلامة الشيخ عبد الكريم العقيلي دامت تأييداته بحكم [illegible] الحكم

والموضوع مجاز ومأذون من قبلنا في التصدي للأمور الحسبية وفي قبض السهمين المباركين

والمداورة والإمهال بمقدار الصلاح في الموارد المقتضية وله أن يصرف

الثلث من حق الإمام عجّ في شؤونه الخاصة وسائر الموارد المقررة الشرعية

وايصال الباقي إلينا لحفظ وإدامة الحوزة العلمية ونستلم وصل القبض الرسمي

الشرعية وأوصيه دام تأييده بمراعاة جانب الاحتياط في جميع الجهات

فإنه سبيل النجاة وأرجوا منه أن لا ينسانا من صالح الدعوات

كما لا انساه ان شاء الله والسلام عليه وعلى جميع اخواننا المؤمنين

ورحمة الله وبركاته حرر في ٧ شوال المكرم ١٤١٢ هـ

الأحقر [illegible]

آية الله العُظمى السيّد مهدي المرعشي قدّس سرّه

بسمه تعالى

از دفتر حضرت آية ا... العظمى
آقاى سيد مهدى مرعشى

شماره
تاريخ ١٣٧٠/٤/٢٧
پيوست

به :

موضوع :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين

وبعد فإن العلامة المستند والحجة المعتمد الشيخ عبد الكريم العقيلي دامت إفاضاته قد صرف برهة من عمره الشريف في اكتساب فضائل النفسانية ومراتب التقوى وصفات الحسنة الإنسانية وتحصيل العلوم الشرعية والمعارف الإسلامية والتعمق بالنسبة إلى الأحكام الفقهية وتهذيب القواعد الرجالية وبحمد الله ولمنه فاز المقصود وحاز المطلوب فلله دره وعليه أجره.

وعليه مأذون من قبلنا في التصدي للأمور الحسبية من قبيل التصرف في أمور الصغار والقصر وأخذ الزكوات والمظالم والكفارات والنذور والصدقة والوجوه البرية من الأثلاث والخيرات ومجهول المالك وغير ذلك وصرفها في الموارد المقررة الشرعية وأيضاً مأذون ووكيل من قبلنا في أخذ سهم الإمام عليه آلاف التحية والثناء وأخذ سهم السادات الكرام وأن يصرف نصفه فيما يقتضيه من الحقوق في الشؤون العامة حسب ما يراه من المصالح الشرعية ويرجع إلينا في الباقي والتشييد الحوزات العلمية وأوصيه دام بقائه بملازمة التقوى والاحتياط والوقوف عند الشبهات فإنه خير من الوقوع في الهلكات وأن لا ينساني من صالح الدعوات كما لا أنساه إن شاء الله

والسلام عليه وعلى من اتبع الهدى ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى سيد مهدي [illegible]

١٩ شهر محرم الحرام ١٤١٣

آية الله العُظمى السّيد مُحمّد الحُسيني الشّاهرودي "دامت بركاته"

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

وبعد إنّ فضيلة العلامة الشيخ عبد الكريم العقيلي دامت تأييداته

بعد تشخيص الحكم والموضوع مجاز ومأذون من قبلنا في التصدي للأمور

الحسبية وأخذ سهم الإمام عليه السلام وصرف الثلث منه في مصارفه

الشرعية وإيصال الباقي إلى لحفظ الحوزة العلمية وأخذ القبض منا وإيصاله

إلى صاحب الحق كما له المداورة في المشكوكات وأوصيه بملازمة

التقوى وسلوك طريق الاحتياط فإنه سبيل النجاة والسلام علينا وعلى كافة

إخواننا المؤمنين ورحمة الله تاريخ ١٢ شوال المكرم ١٤١٢

محمد الحسيني الشاهرودي

آية الله العُظمى الشّيخ مُحمّد عليّ الگرامي القُمّي "دامت بركاته"

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله الطاهرين و اللعن الدائم على اعدائهم اجمعين الى قيام يوم الدين

و بعد فان جناب حجة الاسلام و المسلمين عماد الاعلام الحاج الشيخ عبدالكريم العقيلي دامت افاضاته مجاز من قبلنا للتصدى للامور الحسبية المنوطة باذن الفقية الجامع للشرائط مع رعاية الاحتياط فى تشخيص جهاتها الموضوعية الحكمية و مأذون فى أخذ الحقوق الشرعية من الاخماس و الزكوت و الصدقات و الكفارات و النذور المطلقة و مجهول المالك و رد المظالم و له (دام عزه) صرف الثلث فى الموارد المقرره شرعاً و له(دام عزه) ان يتناول عنه بقدر حاجته و مراجعتنا فى الزائد لتقوية الحوزات العلمية و غيرها .و اخذ الوصلات منا و ايصالها الى مؤدي الوجوة الشرعية. كما اوصية بملازمة الاحتياط فى جميع الامور و المعاشرة الحسنة للناس و الخدمه لهم . واصيه باحياء شعائر الدين و المذهب سيما مجالس الامام الحسين (عليه السلام) و التمس منه الدعاء كما ادعوله انشاء الله تعالىٰ و السلام عليه و على اخواننا المؤمنين و رحمة الله و بركاتة

محمد على الگرامى القمى

١٩٨٦/٣/٤



الشّهادات العُليا التي حاز عليها سماحته

شهادة الاجتهاد المُطلق في استنباط الأحكام الشّرعيّة

كانـت لسماحته مُناقشات ومُباحثات هامّة، مع مرجع الطّائفة الكبير، آية الله العُظمى السّيد مُحمّد كاظم الحُسيني المرعشيقُدِّسَ سِرُّه حول مسائل عقائديّة وفقهيّة وأصوليّة، دامت مُدّة طويلة، أشاد فيها سماحة المرجع الكبير بالنّعمة الإلهـيّة والملكـة العلمـيّة، التـي حـاز عليها سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" والتـي بواسـطتها اسـتطاع سـماحته، أن يستنبط الأحكام الإلهيّة من مواردها: كتاب الله الكريم، وسنّة رسوله العظيم وأهل بيته الهادين المهديين "صلوات الله علـيهم أجمعـين" ومـا يرتبط بذلك من لوازم الاستنباط، ممّا حدا بمرجع الطّائفـة الكبيـر، آيـة الله العُظمى السّيد مُحمّد كاظم الحُسيني المرعشيقُدِّسَ سِرُّه مـنحه علـى ضـوء ذلـك، إجازة الاجتهاد المُطلق، بتاريخ ٢٩ جمادى الأولى عام ١٤٢٣ هـ ق الموافق ٢٠٠٢ ميلادي، وإليك نصّها:

بسمه تعالى

تاريخ ٢٩ جمادى الأولى ١٤٢٢

شماره ....

دفتر حضرت آيت‌ا... العظمى مرعشى

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد فإن جناب السماحة العلامة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الكريم العقيلي دامت بركاته العالية من العلماء الذين صرف عمره الشريف في تحصيل العلوم الدينية وهو ممن فاق على أقرانه وجاهد وجدّ حتى أناله الله رتبة الاجتهاد. فإن العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء فهو دام بقائه مجتهد مطلق عادل وصاحب التقوى وتحت بتجربته من العلم والعمل فلله دره وعليه أجره وأوصيه دام بقائه بمراعاة الاحتياط فإنها طريق النجاة وأرجوه أن لا ينساني من صالح دعواته كما لا أنساه إن شاء الله.

٢٩ جمادى الأولى سنة ١٤٢٢ المشهد المقدسة - السيد كاظم المرعشي

مشهد مقدس : خيابان خاكى كوچه نوبهار پلاك ١١ تلفن ٢٢٢٦١٥٩ / ٢٢٢٨١٨١

شهادة الدّكتوراه

نــال ســماحته في العام الدّراسي ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ ميلادي، شهادة دكـتوراه دولــة، مــن جامعة الحضارة الإسلاميّة المفتوحة، كُلّيّة الفقه والمــذاهب، في تخصّص الفقه الجعفري وأصوله، بدرجة إمتياز، عن رسالة الدّكتوراه الموسومة "الاجتهاد والتّقليد في الفقه الإمامي" إليكم نصّها:

The Islamic Civilization Open University
Founded by: Prof. Dr. Mokhlis Ahmad Al jeddah
E-mail: alhadarah_icou@hotmail.com
www.icouonline.net

جامعة الحضارة الإسلاميّة المفتوحة
أسسها ووضع منهجها الأستاذ الدكتور مخلص أحمد الجدة
P.O.Box : 561 Dorval Ave. Suite 110,
Monterel, QC. Canada H9S-5H6

بسم الله الرحمن الرحيم

أللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين ورضي الله عن صفوة صحابته والتابعين

شهادة العالميّة دكتوراه دولة

بتوفيق من الله تعالى وبناءً على التوصية 456/ع/27 والصادرة عن

كليّة الفقه والمذاهب

تمنح جامعة الحضارة الإسلاميّة المفتوحة

الطالب: عبد الكريم شنون عبد الله العكيلي

المولود في ميسان – العراق 1959 الميلاديّ

شهادة العالميّة (دكتوراه دولة)

في تخصّص: (الفقه الجعفري وأصوله) وبدرجة: (إمتياز)

عن رسالة الدكتوراه الموسومة: (الإجتهاد والتقليد في الفقه الإمامي)

للعام الدراسي الميلاديّ 2008 - 2009

تعتبر هذه الشهادة وثيقة محكّمة علميّاً وقد حرّرت

بتأريخ 2009/1/12 الميلاديّ الموافق 1430/1/15 الهجريّ.

أ.د. سمير الصفار	أ.د. الأب سهيل قاشا	أ.د. الشيخ مخلص أحمد الجدة
سكرتير مجلس الأمناء	الأمين العام	رئيس جامعة الحضارة الإسلامية المفتوحة

مكتب رئاسة بيروت: +9613979284 تيلفكس: +9611 350 310 - مكتب جونية: +9619638606 - مكتب بغداد: +9647901900809 فاكس: +9647901902603 - مكتب دبي: +9 715 05347222
مكتب جدة: +9662 6686000 - مكتب لندن: +447720055796 - مكتب برلين: +49172 924 1911 - مكتب هولندا: +317031778000 - مكتب السويد: +46737166064
مكتب النرويج: +472 1684175 - مكتب الدانمارك: +4538 101011 - مكتب كندا: +1514 8391917 - مكتب استراليا: +61298850787

شهادة بروفيسور

نــال ســماحته في العام الدّراسي ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ ميلادي، شهادة بروفيــسور دكــتوراه دولــة، من جامعة الحضارة الإسلاميّة المفتوحة، كُلّــيّة الفلــسفة والأديــان، في تخصّص الفلسفة وعلم الكلام، بدرجة إمتــياز، وبــرتبة بروفيسور، عن الرّسالة الموسومة "التّوحيد في تُراث أهل البيت عليهم السلام" إليكم نصّها:

جامعة الحضارة الإسلاميّة المفتوحة
أسسها ووضع مناهجها الأستاذ الدكتور مخلص أحمد الجدّة
P.O.Box : 301 Dorval Ave. Suite 110,
Montereal, QC. Canada H9S-3H6

The Islamic Civilization Open University
Founded by; Prof. Dr. Mokhlis Ahmad Al jeddah
E-mail: alhadarah_icou@hotmail.com
www.icouonline.net

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين ورضي الله عن صفوة صحابته والتابعين

شهادة بروفيسور دكتوراه دولة

بتوفيق من الله تعالى وبناءً على التوصية 456/ع/27 والصادرة عن

كليّة الفلسفة والأديان

تمنح جامعة الحضارة الإسلاميّة المفتوحة

الدكتور عبد الكريم شنون عبد الله العكيلي

المولود في ميسان - العراق 1959 الميلاديّ

شهادة العالِميّة (دكتوراه دولة)

في تخصّص: (الفلسفة وعلم الكلام) وبدرجة: (إمتياز) وبرتبة: (بروفيسور)

عن الرسالة الموسومة: (التوحيد في تراث أهل البيت (عليهم السلام))

للعام الدراسي الميلاديّ 2008 - 2009

تعتبر هذه الشهادة وثيقة محكّمة علميّاً وقد حرّرت

بتاريخ 2009/1/12 الميلاديّ الموافق 1430/1/15 الهجريّ.

أ.د. سمير الصفار
سكرتير مجلس الأمناء

أ.د. الأب سهيل قاشا
الأمين العام

مخلص
أ.د. الشيخ مخلص أحمد الجدة
رئيس جامعة الحضارة الإسلاميّة المفتوحة

مكاتب الرئاسة: بيروت: +9613979284/ تليفاكس: +9611 350 310 / هاتف: +9611 350 311 - مكتب بغداد: +9647901900809/ فاكس:+9647901902603 - مكتب دبي: +9715 05347222
مكتب جدة : +9662 6686000 - مكتب لندن: +447720055796 - مكتب برلين : +49172 924 1911 - مكتب هولندا : +317031778000 - مكتب السويد: +46737166064
مكتب النرويج: +472 1684175 - مكتب الدنمارك : + 4538 101011 - مكتب كندا: +1514 8391917 - مكتب استراليا: + 61298850787

الأبحاث الاستدلاليّة لسماحة الشّيخ

بعد أن أكمل سماحة العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّه" الدّراسة الحوزويّة المعهودة، مارس سماحته النّشاط التّدريسي، وذلك بإلقاء المُحاضرات في أبحاث القُرآن الكريم، تفسيراً وتدبّراً، وكذلك الأبحاث العقائديّة، بأسلوب علمي مُتميّز، وبحكمة وحنكة فائقتين، وفي عام ٢٠٠١ ميلادي، اختار سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" نُخبة من طلبته الأفاضل؛ لكي يلقي عليهم أبحاثاً فقهيّة وأصوليّة عالية، أي ما يُصطلح عليه في الحوزة العلميّة ببحث الخارج، ومن هذه الدّراسات والأبحاث:

* رسالة الأسرار المكنونة في معنى – طه ويس – في القُرآن الكريم

أثبث سماحة العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّه" في هذه الرّسالة الشّريفة، بأنّ للقُرآن ظاهراً وباطناً، وللبطن بطن إلى سبعين، وكُلّ واحد منها لا تسعه البحار، وإن كانت مداداً، والأشجار وإن كانت أقلاماً، والإنس والجنّ حسّاباً وكتّاباً...

* رسالة مُختصرة في المُراد من الشّاهد والشّهيد

هذه الرّسالة القيّمة، كتبها سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" جواباً على سؤال من بعض الطّلبة في حوزة السّيدة زينبعليها السلام حيث أجاد سماحته بسوق الأدلّة والبراهين العقليّة والنّقليّة، على أنّ المُراد من الشّاهد والشّهيد، هُم مُحمّد وآل مُحمّد "صلوات الله عليهم".

*** رســالة هامّة في إثبات ضرورة وجود الإمام المعصوم في كلّ زمان ومكان**

هذه رسالة، بل سرّ من أسرار آل مُحمّد "صلوات الله عليهم" في ضرورة وجود الإمام المعصوم في كُلّ زمان ومكان، ولولا ذلك لساخت المجرّة الوجوديّة بأكملها، وتفانت عن الوجود والموجود...

وقد أجاد سماحة العلامة العقُيلي "دام ظلّه" لإظهار بعض كوامنها، والتّصديق بها والإذعان لها، يحتاج إلى قلب مُنشرح بالإيمان، فالعلم نور يقذفه الله بقلب من يشاء.

*** رسالة في علّة خوف الإمام الحُجّة عجّل الله تعالى فرجه**

هذه الرّسالة هي محور من المحاور العقائديّة الهامّة، والتي يبتني عليها ركن من أركان المذهب الشّريف، وقد أثبت سماحة العلامة العقُيلي "دام ظلّه" باسلوب علمي متين، بأنّ خوف الإمام عجّل الله تعالى فرجه هو بعينه الشّجاعة التي كان يمارسها جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فأنار للأنام الحقّ الواضح الجلي، بعد أن أزال عنه الباطل المُلتبس الخفي، حيث بحث سماحته في هذه الرّسالة جهتين:

الجهة الأولى: في علّة خوف الإمام الحُجّة "عجّل الله تعالى فرجه" وبحث في هذه الجهة عدّة أمور.

الأمر الأوّل: في معنى الخوف وأقسامه.

الأمر الثّاني: فيما ورد من آيات وأحاديث بخُصوص خوف الأنبياء عليهم السلام وتفسير ذلك الخوف.

الأمـر الـثّالث: هل أنّ هُناك فرقاً، بين خوف الإمام الحُجّة المُنتظر "عجّل الله تعالى فرجه" وخوف الأنبياء عليهم السلام؟

الأمر الرّابع: في الرّوايات الواردة في علّة خوف الإمام.

الجهة الثّانية: في المُقايسة بين خوف الإمام الحُجّة وخوف غيره.

*** القول الوجيز فيما أُفيد، من وقوع الطّلاق المُعلّق**

هـذه الرّسـالة كتـبها سماحة العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّـه" رداً علـى مـن جـوّز إيقـاع الطّـلاق المُعلّق على تصويت الزّوجة، لمرشّح ما، غير المُحدّد لها من قبل الزّوج.

وقـد سـاق العلامـة العُقيلي في هذه الرّسالة الشّريفة، الأدلّة الرّصينة، من الـرّوايات الـشّريفة والأقـوال الـسّديدة، علـى عـدم وقـوع الطّـلاق المُعلّـق، وتهافـت الأقـوال القائلة بالوقوع؛ لأنّ في وقوع الطّلاق هدراً لحُقوق المرأة، والإسـلام لا يقرّ ذلك، وقال سماحته مانصّه: لا يخفى على المُطّلع النّبيه، بأنّ العـالم قـد أصـبح الـيوم بمـثابة قرية، يطّلع أهل المشرق على ما يحدث عند أهـل المغـرب، وبالعكس، فهل يُمكن تجاهل دور المرأة، التي هي في واقع الأمر إنسان كامل، يهمّه وبشكل مُباشر تقرير مصالح الأمّة، ومصيرها؟! غاية الأمـر: أنّ كُـلّ هـذا مرهون بحفظ الضّوابط الشّرعيّة، من التّعفّف، والحشمة وعدم الانسياق وراء الوساوس، والالقاءات الشّيطانيّة.

*** رسـالة وجيـزة فـي المُـراد من البصمة الوراثيّة، وحُكمها في الشّريعة المُقدّسة**

ديـنـا الحنـيف يتماشـا مع العلـم، بـل الـدّين يُساوق العلم، وهذا هو سرّ

حيويّة وتفاعل البشريّة مع الإسلام، ففي كُلّ قضيّة علميّة، تجد للدين بصمات واضحة وصريحة، ولهذا قالوا لكُلّ واقعة حُكم، أو حسب تعبير القُرآن على لسان المُشركين: ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَال هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ أمّا في بعض الأمور التي يُعبّر عنها بأنّها مُستحدثة، ولا يوجد للدّين تفسير علمي لها، كما يقولون، فهي في الواقع لها حُكم وتفسير ديني، ولكن بعض النّاس لم يتوجه له؛ وذلك لقُصور هؤلاء عن درك ذلك، فهو قُصور في القابل، وليس هذا قُصوراً في الدّين، والعياذ بالله؛ لأنّ الدّين الإسلامي، هو خاتم الرّسالات والأديان السّماويّة...

ففي هذه الرّسالة تناول سماحة العلامة الدّكتور العُقيلي، حُكم البصمة الوراثيّة في الشّريعة المُقدّسة، على الرّغم من أنّها من المسائل المُستحدثة، والتي أكتُشفت عام ١٩٨٤ ميلادي، والتي يرمز إليها "DNA" والذي أكتشفها هو العالم الدّكتور "أليك جيفر يز" عالم الوراثة بجامعة "ليستر" بلندن...

ففي هذا المورد أجاد سماحة العلامة العقُيلي "دام ظلّه" بقوله:

ولبيان هذا الحُكم في هذا المورد، نقول: إنّه يُمكن القول عن البصمة الوراثيّة، أنّها من الأمور الخارجيّة، والموضوعات الوجوديّة، حالها حال بقيّة الموضوعات التي تسهم في بيان الحُكم؛ لأنّ الحُكم فرع على موضوعه، والأحكام هي جعل إلهي، تتبع الموضوعات المُحقّقة، فإذا كان موضوع البصمة الوراثيّة يورث العلم أو الاطمئنان، فأنّه حينئذ يتجه إليه الحُكم بالحلّيّة أو الحُرمة تكليفاً، أو الصّحة والبُطلان في النّسب و غيره وضعاً، ولا تفوتنا الإشارة إلى أنّ اعتمادها فيما لو أفادت العلم أو الاطمئنان

لا على كُلّ حال، مُقتصرين على فرض التّنازع في النّسب، وإلاّ فالقاعدة الشّرعيّة قائمة على إدعاء المُدّعي المُطابق للأمارات الشّرعيّة.

*** رسالة في جريان قاعدة البراءة في الأحكام الوضعيّة**

في هذه الرّسالة حاول سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" أن يُقسّم الأحكام الوضعيّة إلى قسمين:

القسم الأوّل: الأحكام المُنتزعة من الأحكام التُكليفيّة، كالجُزئيّة والشّرطيّة وغيرهما.

القسم الثّاني: الأحكام التي تكون موضوعاً للحُكم التّكليفي، كالزّوجيّة والملكيّة وغيرهما.

فالأحكام الوضعيّة أحكام شرعيّة مجعولة بصورة غير مُباشرة، والارتباط بين الأحكام الوضعيّة والأحكام التّكليفيّة وثيق، إذ لا يوجد حُكم وضعي إلاّ ويوجد إلى جنبه حُكم تكليفي، فالزّوجيّة حُكم شرعي وضعي، توجد إلى جنبه أحكام تكليفيّة، وهي وجوب إنفاق الزّوج على زوجته، ووجوب التّمكين على الزّوجة...

وفي المُحصّلة ذكر سماحة العلامة العقُيلي "دام ظلّه" في هذه الرّسالة: بأنّ كُلّ ما كان صحيحاً في نفسه من العبادات والمُعاملات، إذا كان فيه عذر شرعيّ، كما إذا كان مُكرهاً أو مُضطرّاً وما أشبه، فإنّ الحُكم وأثره يرتفع عنه، سواء كان حُكماً تكليفيّاً، أو حُكماً وضعيّاً، ويكون مورداً لجريان البراءة.

❊ دراسات في الكافي الشّريف

وهي أوّل دراسة من نوعها، قام بها سماحة العلامة العقُيلي "دام ظلّه" لاستنباط قواعد العقيدة الحقّة، من روايات أهل البيتعليهم السلام التي رواها الثّقة، العين، الشّيخ الكُلينيرحمه الله على غرار الأسلوب والطّريقة المُتّبعة في الفقه والأحكام...

❊ دراسات في تفسير وتأويل القُرآن الكريم

سلك سماحة العلامة العقُيلي "دام ظلّه" في هذه الدّراسة، مسلكاً جديداً في فهم كوامن وبواطن الكتاب المجيد، آخذاً بعين الاعتبار، ضرورة الرّكون إلى النّصوص الشّريفة، والتّأمل العميق في معاني بحار أنوار تلك الآيات...

❊ دروس في شرح الزّيارة الجامعة الكبيرة

اتّخذ سماحة العلامة العقُيلي "دام ظلّه" في هذه الدّروس، منهجاً قلّ نظيره في فهم عبارات الإمام الهاديعليه السلام في بيان حقائق القُرآن الكريم، من خلال المقاطع الشّريفة لهذه الزّيارة...

❊ شرح دُعاء البهاء، المعروف بدُعاء السّحر

استفاض في شرح هذا الدّعاء، حيث بيّن حقيقة البهاء، وناقش أنظار الصّوفيّة والفلاسفة، مُفرّقاً بين مقام الذّات ومقام الأسماء والصّفات...

إصدارات سماحته

❊ كرامات الأبرار

أثبت سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" في مؤلّفه البكر هذا، أنّ نُصرة النّبيّ وأهل بيته عليهم السلام أعظم العبادات، وبها تتحقّق الكرامات، من خلال المواقف الرّائعة، والتّضحيات المشهودة، لصفوة من الأنصار والمُحبين والشّخصيات، التي ودّت بقلمها وأدبها وشعرها أهل البيت عليهم السلام...

تمّ الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته عام ١٤١٦هـ ق الموافق ١٩٩٥ ميلادي.

❊ ظلامات فاطمة الزّهراء عليها السلام

لقد أجاد سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" في هذا السّفر القيّم، النّاطق، والمُعبّر، بذكر الأدلّة النّاصعة، والبراهين القاطعة، عمّا لحق بابنة فخر الكائنات، وسيّد الموجودات، فاطمة الزّهراء عليها السلام من حيفٍ وظلمٍ وجور وهظم للحُقوق، خلال سنيات عُمرها الشّريف...

تمّ الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته عام ١٤٢٩ هـ ق الموافق ٢٠٠٨م.

علماً أنّ هذه هي الطّبعة الرّابعة لهذا السّفر الخالد، تقدّمتها ثلاث طبعات، الطّبعة الثّالثة كانت في عام ١٤٢٣ هـ ق الموافق ٢٠٠٢ ميلادي، والطّبعة الثّانية كانت في عام ١٤١٨ هـ ق الموافق ١٩٩٧ ميلادي، والطّبعة الأولى كانت في عام ١٤١٦ هـ ق الموافق ١٩٩٥ ميلادي.

*** لماذا اخترت مذهب الشّيعة مذهب أهل البيت عليهم السلام**

الكتاب فيه فوائد جمّة، نقل فيه مؤلّفه العلامة قاضي القُضاة، الشّيخ مُحمّد مرعي الأمين الأنطاكي، المُتوفّى سنة ١٣٨٣هـ ق كيف أنّ الحقيقة أنارت قلبه، وفتحت الآفاق أمام عقله، بما تحتويه من مفاهيم وقيم ودلالات، فاعتنق على أثر ذلك مذهب الحقّ لأهل البيت عليهم السلام عن نفسٍ مُطمئنّة واعية...

قامَ سماحة المُحقّق العلامة العُقيلي "دام ظلّه" بتحقيق هذا الكتاب المُهم المُفيد، فأفضى على الكتاب جماليّة التّعبير، وأكّد فيه الحجّة والتّقرير...

تم الفراغ من تحقيق هذا الكتاب وطباعته عام ١٤١٧ هـ ق الموافق ١٩٩٦ ميلادي.

*** الملاحم لابن المنادي**

هذا الكتاب هو من المصادر المُهمّة في الملاحم والفتن، فهو أثرٌ ثمين، وأصل قديم، نقلت عنه عُيون الكُتب، وأعتمد عليه كبار المُؤلّفين والمُهتمين، وترجع أهمّيته إلى ما يحتويه من مواضيع مُهمّة، اهتمّ بها عُلماء المُسلمين كافّة، بل غيرهم أيضاً، فمؤلّفه الحافظ، أبو الحُسين، أحمد بن جعفر ابن المنادي البغدادي، المولود سنة ٢٥٦هـ ق...

وقد أجاد سماحة المُحقّق العلامة العُقيلي "دام ظلّه" بتحقيق هذا الكتاب القيّم، وذلك بإرجاع المُتون إلى مصادرها، وتوضيح ما أشكل منها، وتقييم

ما لم يستقم منها، لتصحيفٍ أو لحصول التباس في بعض الرّوايات، وغير ذلك...

تمّ الفراغ من تحقيق هذا الكتاب وطباعته عام ١٤١٨ هـ ق الموافق ١٩٩٧ ميلادي.

*** رسالة في التّفويض للاسكوئي**

قام مؤلّف هذه الرّسالة، الحاج الميرزا موسى الحائري، بطرح الأدلّة على مسألة عقائديّة مُهمّة، ألا وهي مسألة التّفويض للأئمة المعصومين عليهم السلام وأثبت قدس سره ذلك نقلاً وعقلاً، وناقش أيضاً مفهوم الجبر المقابل للتفويض...

وأجاد سماحة المحقّق سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" في تبسيط وتوضيح وإثبات هذه المسائل العقائديّة، وذلك بجلب الأدلّة الإضافيّة على مُراد المؤلّف...

تمّ الفراغ من تحقيق هذه الرّسالة وطباعتها عام ١٤١٩ هـ ق الموافق ١٩٩٨ ميلادي.

*** قصّة الشّيخ الأوحد، للأخ الدكتور حيدر عبد الله الحدّاد**

تناول الدّكتور حيدر عبد الله الحدّاد في هذا الكتاب حياة علم من أعلام شيعة أهل البيت عليهم السلام حيث أبرز الأستاذ الحدّاد شخصيّة الشّيخ الأوحد قدس سره وركّز على الجانب العلمي لهذه الشّخصيّة العظيمة، وقد أشرف على هذا الكتاب سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه"...

تـم الفـراغ مـن تألـيف هـذا الكـتاب وطباعـته عـام ١٤١٩ هـ ق الموافق ١٩٩٨ ميلادي.

*** وظائف الشّيعة لزوّار ومُجاوري فاطمة الشّفيعة**

تـناول سـماحة العلامـة العُقيلـي "دام ظلّـه" في هذا الكتاب كيفيّة زيارة السّيدة المعـصومة، ابـنة الإمـام موسـى بـن جعفرعليهما السلام وبيّن باسلوبٍ جذّاب عظـم شـأنها، ومنـزلتهاعليها السلام وإن معـرفتها غايـة السّائلين والقاصدين، وكذلك مقـام علمهـا وشـفاعتها وضـريحها، وكيف أن بزيارتها ضمان دخول الجنّة، وقد اعتمد سماحة المؤلّف في كلّ ذلك على الرّوايات الثّابتة الصّحيحة...

تـمّ الفـراغ مـن تألـيف هـذا الكـتاب وطباعـته عـام ١٤١٩ هـ ق الموافق ١٩٩٨ ميلادي.

*** القول المُختصر في علامات المهدي المُنتظرعليه السلام**

مؤلّـف هـذا الكـتاب هـو ابـن حجـر الهيتمي، من الأعلام البارزين عند عُلمـاء أبـناء العامّـة، تـناول علامـات ظهور الإمام المهدي المُنتظر "عجل الله تعالـى فـرجه الـشّريف" وقد أجاد سماحة المُحقّق العلامة العُقيلي "دام ظلّه" فـي تتـبع هـذه العلامـات، وفـي محاولـة توثيق وإسناد بعض هذه العلامات، ونقد وتوجيه البعض الآخر منها...

تمّ الفراغ منه وطباعته عام ١٤١٩ هـ ق الموافق ١٩٩٨ ميلادي.

*** دروس في أسرار الصّلاة على مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام**

وهي أبحاث موضوعيّة، استقرأ فيها سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" الرّوايات الشّريفة، الأمر الذي كشف أسراراً بالغة الأهميّة، في عظمة وسرّ الصّلاة على النّبيّ وآله الأطهار عليهم السلام وذلك عن طريق المأثور من الرّوايات والأخبار الواردة في فضل الصّلاة، بل وجوبها...

علماً أنّ هذه الأبحاث قد تم طباعتها في عام ١٤٢٠هـ ق الموافق ١٩٩٩م.

*** الصّوارم القاطعة والحُجج اللامعة في إثبات صحّة الزّيارة الجامعة**

سلك سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" مؤلّف هذا الكتاب، مسلكاً نقليّاً لإثبات صحّة مُفردات هذه الزّيارة الجامعة الشّريفة، فقد أورد حديثاً أو أكثر من مرويّات العامّة، يُطابق لفظ أو معنى كُلّ مقطع من مقاطع هذه الزّيارة الشّريفة، وبهذا أوجد سماحته دليلاً وحُجّة للمُثبت، وصفعة دامغة للمُنكر...

تمّ الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته عام ١٤٢١ هـ ق الموافق ٢٠٠٠ ميلادي.

*** المُنتخب من كتاب الفتن، لنعيم بن حماد**

هذا الكتاب هو من مصادر الملاحم والفتن، بل يُعد من أهمّ المصادر؛ وذلك لقدم تصنيفه، ولاعتماد أغلب من جاء بعده عليه، وبما أنَّ هذا

الكتاب جامعٌ للغثّ والثّمين من الأحاديث في حياة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه وظهوره الشّريف، فقد أجاد سماحة المُحقّق العلامة العُقيلي "دام ظلّه" في انتخاب الأحاديث القويّة من هذا الكتاب، وتحقيقها تحقيقاً علميّاً، وقد أفرد لها كتاباً أسماه "المُنتخب من كتاب الفتن"...

تمّ الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته عام ١٤٢٢ هـ ق الموافق ٢٠٠١ ميلادي.

*** الحقّ هُم آل الرّسول** عليهم السلام

سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" وطبق المنهج القويم الذي تبناه لتهيئة كادر علمي ولائي لمُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام لم يقتصر على طلبة الحوزة العلميّة، بل تبنّى إعداد مجموعة كبيرة من الإخوة والأخوات في الأماكن التي يتواجد فيها، ففي الوقت الذي يرى فيه شرف الخدمة من على منبر الإمام الحُسين عليه السلام" بصفته خطيباً حُسينيّاً من الرّعيل الأوّل، حيث استفاد الكثير من منبره المُبارك، فإنّه يُركّز على إعداد نماذج واعية مُثقفة، تخدم تُراث أهل البيت عليهم السلام بسلاح الكلمة الواعية الهادفة، لذا تجد الكثير من المؤمنين استفادوا من هذا المنهل العذب، واصبحوا من المؤلّفين أو المُحقّقين البارعين، وخير مثال على ذلك الأخت زمزم القطان، مؤلّفة هذا السّفر الخالد، فأشرف سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" عليها بصورة مُباشرة، لذا وفقت المؤلّفة الفاضلة بسوق الأدلّة الرّصينة، العقليّة والنّقليّة، على أنَّ الحقّ يتمثّل بآل الرّسول عليهم السلام...

تمّ الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته عام ١٤٢٢هـ ق الموافق ٢٠٠١ ميلادي.

*** موســوعة علامات ظهور الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشّريف، المُختصّة بالمواقيت والأزمنة**

مؤلّف هـذه الموسوعة المُباركة، الأخ المُحقّق أمجد السّاعاتي، حيث سعى بتخصيص العلامات في الأشهر القمريّة، ابتداءً من شهر مُحرم الحرام، وانتهاء بشهر ذي الحجّة الحرام، تسهيلاً للقارئ المُتتبع لهذه العلامات، وتبياناً للوظيفة اللازمة في مسألة الانتظار، حيث أشرف سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" على هذا الكتاب بإبداء المُلاحظات القيّمة، في هذا الأمر الهام...

تمّ الفراغ من تأليفه وطباعته عام ١٤٢٢هـ ق الموافق ٢٠٠١ ميلادي.

*** سرّ وقعة الطّف للسيّد كاظم الرّشتي**

تناولت هـذه الرّسالة أحداث كربلاء، وما حدث للإمام الحُسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار عليهم السلام وصحبه الأبرار، في هـذه الواقعة الأليمة، وقد أستخدم السيّد الرّشتي قدس سره مؤلّف هـذه الرّسالة الشّريفة، طريق أهل الكشف والعرفان، في كشف اللثام عن أسرار شهادة الإمام عليه السلام وقد اعتمد سماحة المُحقّق العلامة العُقيلي "دام ظلّه" على نسختين خطّيتين، لتحقيق هذه الرّسالة المُهمّة...

تمّ الفراغ من تحقيق هذه الرّسالة وطباعتها عام ١٤٢٢ هـ ق الموافق ٢٠٠١ ميلادي.

*** شذرة عصمتيّة في سرّ من ليلة القدر الفاطميّة**

هذه من الرّشحات النّورانيّة، التي أفاض بها سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" حيث تدبّر في آيات سورة القدر، وأثبت سماحته، بأنَّ المعنى المُراد من ليلة القدر، عند أهل المعرفة والنّظر الدّقيق، هو سيدة نساء العالمين عليها السلام لا الليلة الزّمانيّة الظّاهرة من الآية...

تمّ الفراغ من كتابة هذه الرّشحات وطباعتها عام ١٤٢٢ هـ ق الموافق ٢٠٠١ ميلادي.

*** أسرار الخُطبة الغرّاء لمولاتنا فاطمة الزّهراء عليها السلام**

كشف سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" النّقاب في هذه الأبحاث عن أسرار الخُطبة الغرّاء، الكامنة في كلام أمّ الأئمة الأطهار عليهم السلام لتوضيح أمّهات المسائل العقائديّة، كأسرار معارف الحمد، ونقطة الباء من البسملة، وأسرار الشّهادة بالوحدانيّة، وبحث المشيئة، واستدلّ بالبُرهان المُسمّى "غنى الله المُطلق" وأثبت سماحته بأنَّ كُلّ ما في الكون، هو ملك طلق صرف لآل مُحمّد عليهم السلام وبحث أيضاً في علل التّشريعات الإلهيّة، وفي محور الإمامة، وأبحاث أخرى هامَّة، وناقش على ضوء هذه الثّوابت بعض النّظريات الفلسفية وغيرها، وأثبت صحيحها من سقيمها...

تمّ الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته عام ١٤٢٢ هـ ق الموافق ٢٠٠١ ميلادي.

*** عُيون المعجزات للشّيخ الحُسين بن عبدالوهاب**

مؤلّف هذا الكتاب الشّيخ حسُين بن عبد الوهاب، من أعلام القرن الخامس الهجري، قد ذكر فيه عُيون المعجزات التي صدرت من الأئمة المعصومين عليهم السلام وقد أجاد وأفاد مُحقّقه، فضيلة المرحوم السيّد فلاح الشّريفي في تخريج وتدقيق هذا المصدر القيّم، رغم المرض العضال الذي كان يُرافقه، وقد أخذ منه المرض مأخذه، فأوصى سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" بإتمام الكتاب، وقد باشر سماحته العمل عليه في حياة مُحقّقه، وقد أنجز بعد رحيل المُحقّق رحمه الله بمدّة وجيزة.

حيث تم الفُراغ من تأليفه وطباعته عام ١٤٢٢ هـ ق الموافق ٢٠٠١ ميلادي.

*** قبسات نورانيّة في شرح الزّيارة الجواديّة**

أجاد سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" مؤلّف هذه القبسات، في شرح المضامين الإلهيَّة العالية، والأنوار العلويّة السّاطعة، في زيارة وليّ الله، الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام وذلك بلسان وليّ الله الأعظم، الإمام مُحمّد ابن عليّ بن موسى الجواد عليهم السلام...

تمّ الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته عام ١٤٢٣هـ ق الموافق ٢٠٠٢ ميلادي.

*** أنوار السّالكين**

حاول المؤلّف المحقّق بدر المُبارك، تحديد الطّرق والدّلائل للسّالك

في طريق أهل البيتعليهم السلام وهي محاولة جيدة ومُفيدة، وقد أشرف على كتابة الكتاب، وأرشد مؤلّفه إلى النّقاط المُهمّة في البحث، سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" تشجيعاً منه للأخوة الموالين جميعاً، على مواكبة العصر في الكتابة، بحثاً وتحقيقاً وتأليفاً...

تمّ الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته عام ١٤٢٤هـ ق الموافق ٢٠٠٣ ميلادي.

*** أبحاث في سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب**

أثبت سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" مؤلّف هذه الرّشحات النّورانيّة، صحّة صدور خُطب المولى أمير المؤمنينعليه السلام الموسومة بخُطبة: البيان، الافتخاريّة، الكاهليّة، التّطنجيّة، الرّوحيّة، النّورانيّة، وذلك بعد أن أثبت توافقها مع القُرآن الكريم والعقل السّليم، ويصحّ أن نقول: إنّ سماحته قد أبدع في هذه الأبحاث، حيث إنّه استخدم مبدأً مُهمّاً، جديداً في التّعامل مع الرّوايات والخّطب، الواردة عن المعصومينعليهم السلام وذلك بتحكيم القُرآن الكريم، والعقل السّليم، والوجدان القويم، على صحّة صدورها، وقبول هذه المضامين العالية، وبذلك بيّن في هذه الرّشحات النّورانيّة، بأنّ الأسانيد قرائن...

علماً أنّ هذه الأبحاث قد تم طباعتها في عام ١٤٢٣هـ ق الموافق ٢٠٠٢ ميلادي، وبعد أن نفذت نسخها من المكتبات العامّة ألحّ المؤمنون على طباعتها طباعة ثانية، وفعلاً قد تم طباعتها ثانية عام ١٤٢٤هـ ق الموافق لعام ٢٠٠٣ ميلادي.

*** كريمة السّادة النُّجباء ومدينتها الزّهراء**

يمثّل هذا الكتاب دراسة مُبسّطة عن حياة السيّدة الجليلة، فاطمة المعصومة ابنة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام وقد تطرّق سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" مؤلّف هذا الكتاب إلى فضل زيارتها، الّتي تُعادل الجنَّة، كما أخبر المعصوم عليه السلام بذلك، وكذلك تطرّق إلى نُقطة مُهمّة، ألا وهيَ وجه الشّبه بين هذه السّيدة الجليلة، وجدّتها فاطمة الزّهراء، سيدة نساء العالمين عليها السلام.

تمّ الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته ١٤٢٤ هـ ق الموافق ٢٠٠٣ ميلادي.

*** أسرار الحُروف والأعداد**

الكتاب وإن كان صغيراً في عدد صفحاته ولكنّه كبيرٌ في مضامينه، ومفيدٌ في ما يحتويه من نتائج عمليّة لمن يقرأه ويُطبّقه، والمؤلّف الأستاذ عليّ بو صخر، وإن كانت هذه التّجربة الأولى له في هذا المجال، ولكن عندما تتصفّح الكتاب بتمعّن يظهر لك وكأنّه مُتخصّصٌ في مجاله، والأستاذ بو صخر من الطّلبة الذين أولاهم سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" العناية والاهتمام بصورة مُركّزة، وذلك لأنّ سماحته أحسّ بالجدّ والمُثابرة منه، فأشرف عليه إشرافاً خاصّاً، تجد بصماته واضحة في هذا الكتاب، حيث أفاض عليه مُسحة علميّة عرفانيّة...

تمّ الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته عام ١٤٢٤ هـ ق الموافق لعام ٢٠٠٣ ميلادي.

* **الفيدرالية في العراق حلٌّ أم عقد**

طرح سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" في هذا الكتاب مفهوم الفيدراليّة الحديث، وقارن بينه وبين نظام الولايات في عصر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وركّز على الوثيقة التّأريخيّة، التي كتبها الإمام لواليه على مصر، القائد التّأريخي، مالك الأشتر "رضوان الله عليه" ...

تمّ الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته بعد سُقوط نظام الدّيكتاتوريّة في العراق عام ١٤٢٤هـ ق الموافق ٢٠٠٣ ميلادي.

* **دراسات في الفقه الإمامي**
* **الاجتهاد والتّقليد**

هذه الدّراسات هي حصيلة المُحاضرات التي ألقاها سماحة العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّه" على طلبته في بحث الخارج، طيلة سنوات عديدة، على متن العُروة الوثقى، ونظراً لما تحتويه هذه الدّراسات من آثار علميّة، تُساعد طالب العلم، وخُصوصاً طلبة حوزتنا العلميّة المُباركة، صانها الله تعالى من كُلّ بلاء ومكروه، على كشف الدّقائق العلميّة في كتاب العُروة الوثقى، وهو الكتاب الذي طالما عكف عليه العُلماء في فقه أهل البيت عليهم السلام والباحثون والمُحقّقون والدّارسون، بالبحث والتّدقيق والتّحقيق... لذا شمّر سماحة العلامة العُقيلي عن ساعد الجدّ والاجتهاد، ليبدأ هذه الرّحلة العلميّة المُهمّة في الفقه الإمامي، وفعلاً فقد أنجز بحمد الله تعالى ومنّه المُجلد الأوّل من هذه الدّراسات، والذي يحمل عنوان "الاجتهاد والتّقليد" في عام ١٤٢٦ هـ ق الموافق ٢٠٠٥ ميلادي.

وسوف تستمر هذه الدّراسات الفقهيّة المعمّقة، لكي تشمل وتُغطّي جميع أبواب الفقه الإمامي، مُروراً بكتاب الطّهارة والصّلاة والصّوم إلى الحُدود والتّعزيرات، إن شاء الله تعالى، خدمة للإسلام والمُسلمين، وخُصوصاً طلبة الحوزة العلميّة المُباركة.

*** أبحاث استدلاليّة في كتاب الصّوم**

هذه الأبحاث هي ضمن سلسلة الدّراسات الفقهيّة في الفقه الإمامي، التي يقوم بها سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" والتي نوّهنا إليها أعلاه، فهي دراسات ألقيت على جمع من الطّلبة المُحصّلين الدّارسين والمُثقفين، في أيام شهر رمضان المُبارك، استدلّ سماحته فيها على جُملة من الأحكام الواردة في كتاب الصّوم، وناقش بأسلوب بُرهاني موضوعي، الآراء الفقهيّة، وأنهى أبحاثه بحلّة جديدة مُتميّزة...

علماً، أنّ العمل على ترتيب وإخراج هذه الدّراسات علميّاً وفنيّاً قد أوكل إلى كادر مؤسّسة بضعة المُصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء تُراث أهل البيت عليهم السلام وأنّ العمل مازال مُتواصلاً على ذلك، سائلين المولى عزّ وجلّ أن يُسدّد خُطى أُستاذنا الكبير، سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" ويُوفّق العاملين معه لخدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام.

*** أبحاث استدلاليّة في كتاب زكاة الفطرة**

هذه الأبحاث هي أيضاً ضمن سلسلة الدّراسات الفقهيّة في الفقه

الإمامي لسماحة العلامة العُقيلي ″دام ظلّه″ والتي نوهنا إليها أعلاه، فبيّن سماحته في هذه الأبحاث، المطالب الهامّة في زكاة الفطرة، ومايتعلّق بالمسائل المُستجدّة فيها...

*** الهداية إلى أحكام السّبق والرّماية**

وهي رسالة مُختصرة، حاول فيها سماحة العلامة العُقيلي ″دام ظلّه″ البحث عن أحكام السّبق والرّماية، باسلوب عصري مُتميّز، وبحث فيها عدّة مقامات:

المقام الأوّل: في تعريف السّبق والرّماية لُغة واصطلاحاً، وبيان بعض المُصطلحات والألفاظ المُتداولة والغريبة في السّبق والرّماية.

المقام الثّاني: في حُكم اللعب واللهو في الشّريعة المُقدّسة بشكل عام، أي، أعمّ من كونه من المُسابقات.

المقام الثّالث: في حُكم المُسابقة بلا عوض.

المقام الرّابع: في حُكم المُسابقة مع العوض، أي عقد السّبق والرّماية، وهو البحث المعهود في الكُتب الفقهيّة، لكن مع مُلاحظة الجانب العصري، الذّي هو محلّ الابتلاء في هذه الأزمنة.

ثمّ بحث سماحته في الغرض والفائدة من تشريع السّبق والرّماية، وبيّن مدى اهتمام الإسلام بهذا الجانب، الذّي يُعبّر عن الرّؤية الكاملة والشّاملة، التي تستوعب جميع نواحي الحياة، حيث تحدّث فيها عن أهميّة السّبق والرّماية، بنظر الشّريعة المُقدّسة.

وأيـضا بحـث سـماحته فـي الخاتمة بعض الأمور المُتعلّقة بسباق الهجن ″سباق الإبل″ وهو السّباق المعروف والمشهور في الجزيرة العربية.

تـمّ الفـراغ من تأليف هذه الرّسالة وطباعتها في عام ١٤٢٨هـ ق الموافق ٢٠٠٧ ميلادي.

* دراسات في علم الأصول

في هذه الدّراسات الأصوليّة، والتي تحمل عنوان ″سرّ الوصول إلى علم الأصـول″ تطـرّق سماحة العلامة العُقيلي ″دام ظلّه″ إلى المباني والمسائل في علـم الأصـول، وذلـك باسلوب علمـيّ متين، ومنهجية جديدة، سوف تُفيد الدّارس والمُحقّق إن شاء الله تعالى.

أُنجـز بحمـد الله تعالـى ومـنّه مـن هذه الدّراسات الجزء الأول ″ مباحث الألفاظ والحُكم الشّرعي″ والذي حوى بين دفتيه مُقدّمة أصولية، تطرّق فيها سماحته إلى المراحل الأصوليّة التي مرّ بها علم الأصول، وأثبت بأنّ مؤسّس علـم الأصـول بالمعنـى الحقيقـي للتأسـيس، هـو الإمـام جعفـر بـن مُحمّـد الـصّادقعليه السلام وسـاق علـى ذلـك الأدلّـة العلمـيّة المتيـنة، والشّواهد الوجدانيّة الرّصـينة، مُفـنّداً الـشّبهة التـي يُثيـرها الـبعض، والتي مفادها بأنّ مؤسّس علم الأصـول هـو الـشّافعي، حتّـى حـدا بهـم إلـى القـول، بـأنّ نسبة علم الأصول للـشافعي، كنـسبة علـم المنطق لأرسطو طاليس، فأثبت سماحة المؤلّف ″دام ظلّـه″ بـأنّ هـذا الادّعـاء خالـي من الدّقة والتّحقيق، وتطرّق سماحته في هذه المُقدّمـة أيضاً إلى أشهر عُلماء الأصول في هذه المراحل، ثمّ شرع في ذكر

وتوضيح مباحث الألفاظ ومباحث الحُكم الشّرعي...

تم الفراغ من تأليف هذا الكتاب وطباعته عام ١٤٢٩ هـ ق الموافق ٢٠٠٨ ميلادي.

علماً، أنّ المجلد الثّاني من هذه الدّراسات الأصوليّة، والذي يشرف على إعداده كادر مؤسّسة بضعة المُصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء تُراث أهل البيت عليهم السلام يمر بالمراحل الفنيّة الأخيرة.

الموسوعة العقائديّة

بحث سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" في هذه الموسوعة الأُسس والمباني التي يقوم عليها التّوحيد الجلي، وبها يُنسف الشّرك الخفي، فأثبت سماحته بأنّه لا حدّ ولا رسم، بل لا وهم ولا خيال يُمكن أن يُطال ساحة الذّات المُقدّسة، وأنّ أغلب الأوصاف المُمكنة، التي نسبها البعض لذاته المُقدّسة، إنّما هي في الحقيقة- التي يدعمُها البُرهان والوجدان- أوصاف للحقيقة المُحمّديّة العلويّة المُقدّسة...

علماً، أنّ هذه الموسوعة المُباركة، يشرف على إعدادها كادر مُتخصّص في مؤسّسة بضعة المُصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء تُراث أهل البيت عليهم السلام حيث يقوم هذا الكادر بجمع المُحاضرات التي ألقاها سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" ومن ثمّ طباعتها، ومن ثمّ تُقابل مع الأصل، وبعدئذٍ يُجرى عليها العمل اللازم من قبل مُتخصّصين في التّحقيق، حيث يمرّ العمل بمجموعة من المراحل، نوّهنا إليها في فقرة "عملنا في الموسوعة" وأنّ هذا

الذي بين يديك، هو المُجلّد الأوّل من هذه الموسوعة، وسوف نُباشر بإعداد بقية المُجلّدات وطباعتها تباعاً، إن شاء الله تعالى.

مشاريع سماحته وأنشطته التّبليغيّة والإعلاميّة

مارس سماحة العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّه" الدّور الرّسالي في إبلاغ الحقائق الإلهيّة والتّوحيديّة، والمعارف الحقّة لأهل البيت عليهم السلام في مُختلف بقاع العالم، نذكرها بالتّرتيب:

*** دولة لبنان**

قام سماحته بأوّل نشاط تبليغي عام **١٤٠٣** هـ ق الموافق **١٩٨٣** ميلادي، حيث حلّ فيها داعياً وناشراً لعُلوم أئمة الهُدى عليهم السلام وكان أوّل نزوله في مدينة عليّ النّهري، في البقاع الشّرقي، التي مارس فيها نشاطه العلمي من خلال:

ـ عقد المجالس العديدة في أماكن مُتفرقة من هذه الدّولة، وقام بإلقاء الخُطب في مُناسبات مُتنوعة.

ـ اللقاء بالشّخصيات، ومن مُختلف الأطياف والمذاهب، ثمّ توجّه إلى الجنوب، المُحرّر من لوث الصّهاينة، إلى مدينة صور، وقد التقى العدد الغفير من أهل الاختصاصات والثّقافات المُختلفة، وألقى بعض الخُطب في المدرسة الدّينيّة في هذه المدينة، وكذلك في قرية المعركة والبازوريّة وغيرهما.

رجع إلى لبنان عام ١٤٢٤ هـ ق الموافق ٢٠٠٤ ميلادي، استكمالاً لرحلته التّبليغيّة، وقد ألقى في هذه السّنة العديد من المُحاضرات والخُطب، والتي تزامنت مع ذكرى شهادة الصّديقة الكُبرى، فاطمة الزّهراء عليها السلام وكان الحُضور مشهوداً، من خلال الشّخصيات البرلمانيّة والعلميّة، ولهذا استقرّ رأيه على فتح مركز للشّباب النّاشط، يهتم بتوجيههم نحو علوم وفضائل آل مُحمّد عليهم السلام.

الجمهوريّة السّوريّة

وهي المحطة الثّانية لرحلاته التّبليغيّة، باعتبار مُتاخمتها للحُدود اللبنانيّة، فكان له دور في إلقاء الخُطب، والمُشاركة في المجالس التي تُعقد عند مقام المرقد الطّاهر للسيّدة زينب الكُبرى عليها السلام في دمشق، ومن خلال تجواله في ذلك البلد التقى الكثير من الشّخصيات العلميّة والثّقافيّة، وكان له حوارات مُثمرة، في ترسيخ قواعد التّبليغ، ونشر فضائل أهل البيت عليهم السلام خُصوصاً في أربعين الإمام الحُسين عليه السلام والتي يتوافد إليها جمع غفير من المُحبين، ومن مُختلف بُقاع العالم.

تُركيا

وهي ثالث رحلاته في عالم التّبليغ، وقد شدّ الرّحال إليها عام ١٤٠٥ هـ ق الموافق ١٩٨٥ ميلادي، قاطعاً مراحل السّفر إلى كُلّ من أنقرة واسطنبول، وهناك التقى بعض الشّخصيات المعروفة، مثل سماحة الشّيخ صابر

الهمداني، وتمّ التّنسيق معه لترويج شريعة سيّد المُرسلين، وفضائل الميامين عليهم السلام ثمّ توجه إلى البلاد التي يقطُنها العرب المُسلمون، وهي بلاد "اسكندرون وإنطاكية" حيث التقى فيهما بعدد غفير منهم، وبالخُصوص بعض الفرق، كالعلويّة، وتمّ من خلال المُحاورات والمُناقشات، إقناعهم بضرورة فهم أصول التّوحيد، وركائز الدّين، وقد نقل سماحته هذه الصّورة إلى عُلماء حوزة قُم المُقدّسة، وتداول مع بعضهم على ضرورة جذب الشّباب الأتراك إلى حوزات العلم، لغرض أداء مهام الرّسالة.

جمهورية الصّين الشّعبيّة

كانت هذه البلاد من أبرز سفرات سماحته أهميّة، حيث تكلّلت بتوفيق وعناية من الله تعالى، أواخر عام ١٤٠٥ هـ ق الموافق ١٩٨٥ ميلادي، وذلك بزيارة "بكين" العاصمة الصّينيّة، والتي يتمركز فيها المُسلمون والشّخصيات العلميّة والدّينيّة، وقد كان له لقاءات عديدة مع عُلماء الإسلام الصّينيين، وكذلك زار قبر الشّخصيّة الإسلاميّة المشهور والمعروف بالقزويني، والذي يُعد من أكبر الشّخصيات التي نشرت الإسلام في هذا البلد، وكان لسماحة الشّيخ لقاء مع الأستاذ البروجردي، سفير إيران في الصّين، وقد تمخّض عن هذا اللقاء، دراسة مُهمّة عن أوضاع المُسلمين، خُصوصاً في مدينة ننجشيا، الأمر الذي أدّى إلى زيارة هذه البلدة التي يقطنها مليون وستّمئة ألف مُسلم، موزّعين على أرجاء هذه المدينة وضواحيها، وقد التقى فيها عدداً من المُسلمين، النّاطقين باللغة العربيّة، وقد رافق سماحته في هذه السّفرة بعض

منهم، وقام سماحته بزيارة بعض الشّخصيات الإسلاميّة وغيرها في منازلهم، وكان له حوارات مُهمّة في بيان حقيقة مذهب أهل البيتعليهم السلام والذي كان شبه مجهولاً عندهم، بسبب النّزعة العدائيّة لبعض الفُرق التّكفيريّة، وعلى أثر ذلك، وبعد رجوعه من سفره، أطلع عُلماء قُم المُقدّسة على ضرورة مُعالجة تلك الأوضاع، عن طريق إرسال المُبلغين، وجذب بعض الصّينيين لدراسة العُلوم الدّينيّة والمذهبيّة، ليقوموا بلسان قومهم في إبلاغ الرّسالة الإلهيّة، ويبيّنوا لهم أحقية أهل البيتعليهم السلام وبالفعل فقد تمّ استدعاء عدد من شباب ذلك البلد، وتمّ فتح جامعة دينيّة لتدريسهم، الأمر الذي أدّى إلى نشر مذهب الحقّ في تلك البلاد.

سويسرا

وهي خامس المحطات التّبليغيّة لسماحته، وكانت ما بين عام ١٤٠٦ إلى ١٤٠٨ هـ ق الموافق ١٩٨٦ إلى١٩٨٨ ميلادي، وقد أفرزت هذه الرّحلة التّبليغيّة أموراً بالغة الأهميّة، يُمكن تلخيصها بما يلي:

ـ المُشاركة الفاعلة في المركز الثقافي الإسلامي في جنيف، حيث أقام فيه سماحته سلسلة دُروس، حضرها عدد غفير من الجاليات العربيّة والإسلاميّة والشّخصيات الدّبلوماسيّة.

ـ إحياء المُناسبات وإقامة المجالس في مدينة "لوزان" حيث يُقيم فيها جمع من المُسلمين، ومنهم عدد من اللاجئين العراقيين.

ـ وضع اللمسات الأولى لتأسيس مركز خاصّ، تحت عنوان مركز أهل

البيت عليهم السلام وبمُشاركة فاعلة من الوجيه الحاج عباس كوكل.

ـ إقامة النّدوات العامّة مع أبناء المذاهب الإسلاميّة الأخرى، في الأماكن التي يتواجدون فيها.

ـ اللقاءات الإعلاميّة مع القنوات التي تبث من أوربا، وكذا الصّحف والمجلات وغيرها.

وهُناك مسألة يُفضّل التّنويه إليها، وهي، أنّ الأنظمة الدّكتاتوريّة دائماً كانت تخشى من الشّخصيّات الوطنيّة النّزيهة، وخُصوصاً الدّينيّة منها، لذا تعرض سماحته في هذا البلد لمحاولة اغتيال، خطط لها، وأشرف على تنفيذها مُخابرات النّظام البعثي البائد، وقد قام السّكرتير الثّالث للسّفارة، المدعو عبد الرّزاق بمُباشرتها، وبتوجيه من قِبل المقبور برزان التّكريتي، إلاّ إنّها وبحمد الله باءت بالفشل، وعادت عليهم بالخيبة والحرمان.

الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة

تُعدّ هذه الدّولة من أبرز المحطّات التي أقام فيها سماحة العلامة العُقيلي "دام ظلّه" وانطلق منها مُدّة عقدين كاملين، مارس فيها أنشطة مُتعدّدة في مُحافظاتها ومُدنها وقُراها، وقام بعناية الله تعالى وبتوفيق من أهل بيت النّبوّة عليهم السلام بتأسيس مشاريع هامّة في مدينة قُم المُقدّسة، أخذت موقعها في السّاحة الإسلاميّة، ثقافياً وعلمياً وتربوياً، أبرزها:

ـ مؤسّسة بضعة المُصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء تُراث أهل البيت عليهم السلام التي تأسّست عام ١٤١٦ هـ ق الموافق ١٩٩٦ ميلادي.

ـ مكتبة علميّة، ضمّت الآلاف من الكُتب، وفي مُختلف العُلوم والفنون.

ـ حُسينيّة بضعة المُصطفى صلى الله عليه وآله وهي المشروع الثّاني، الذي أدّى دوره الحُسيني الهادف، لنشر فضائل آل مُحمّد عليهم السلام وبيان مظلوميّتهم، وقد أخذت هذه الحُسينيّة، بناء على توصية مؤسّسها سماحة الشّيخ "دام ظلّه" دوراً بارزاً في بيان مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام وبالخُصوص مظلوميّة الزّهراء عليها السلام...

ـ إنشاء موقع على الإنترنت تحت عنوان:

http://www.oqaili.com

http://www.oqaili.net

http://www.oqaili.org

ويحسن التّنويه إلى أنّ أغلب ما ذكرناه من أمور، تتعلّق بالمؤسّسة والمكتبة والموقع، قام بالتّوكيل من قبل سماحة العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّه" إشرافاً وإدارةً، فضيلة الشّيخ المفضال الأستاذ عباس حميد كريم الزّيداوي "دام عُلاه" وما زال يُمارس دوره الفعّال في إدارة وتنظيم وتوجيه كافّة فُروع المؤسّسة، سواء في إيران أو العراق أو غيرهما من الدّول الأخرى.

دولة الكويت

كانت لهذه الدّولة الأثر البالغ في تتويج أعمال سماحة العلامة العُقيلي التّبليغيّة، والانطلاق من خلالها لرفد مشاريعه التّأسيسيّة والعلميّة والخدميّة،

حيث أقام فيها عقداً من الزّمن، تمخّض من ذلك إنجاز بعض الأمور المُهمّة، منها:

ـ تأسيس حُسينيّة الحُجّة المُطلق "عجّل الله تعالى فرجه الشّريف" الواقعة في منطقة حطّين، عام ١٤٢٠هـ ق الموافق ٢٠٠٠ ميلادي، وقد ساهم مع سماحته في تركيز بناء هذه الحُسينية المُباركة، وتشييد أركانها، حرمه، الأستاذة الحاجّة وداد حُسين العليّ.

ـ حُسينيّة النّور، الواقعة في منطقة الرّميثيّة عام ١٤٢٣هـ ق الموافق ٢٠٠٣ ميلادي، التي شيّد أركانها الأستاذ الحاج عليّ بو صخر، بالتّأكيد والتّأييد والمُشاورة مع سماحة العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّه".

ـ حُسينيّة أصحاب الكساءعليهم السلام الواقعة في منطقة الزّهراء عام ١٤٢٤هـ ق الموافق ٢٠٠٤ ميلادي، والتي شيّدها وبناها الموالي الحاج عليّ الحدّاد، مع بعض الأساتذة والمُحسنين، بالتّأكيد والتّأييد والمُشاورة مع سماحة العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّه".

ـ حُسينيّة المُحسن بن عليّعليه السلام والتي قامت بجهود المُهندس الحاجّ مُنير رمضان، بالتّأكيد والتّأييد والمُشاورة والمُساهمة، من قبل سماحة العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّه".

ـ استكمال الرّسالة التّبليغيّة، وذلك عن طريق إقامة المجالس في العديد من الحُسينيات، منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ حُسينية آل ياسين والجعفريّة والعباسيّة وآل بوحمد وحُسينيّة سيّد مُحمّد وحُسينيّة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشّريف، وغيرها من الحُسينيات المُباركة، المُنتشرة في دولة الكويت.

ـ عقد عدّة لقاءات إعلاميّة في الفضائيّة الكويتيّة، والأنوار، وإذاعة دولة الكويت، والعديد من المجلات والصّحف المحلّيّة.

ـ إقامة الدّروس الفقهيّة والأصوليّة والعقائديّة، في العديد من المجالس.

ـ إنشاء لجنة رعاية الأيتام عام ١٤٢٣ هـ ق الموافق ٢٠٠٣ ميلادي، تحت إدارة الأستاذة سُهام العُقيلي، النّائبة في الجمعية الوطنية المؤقتة المُنتخبة، وهذه اللجنة تُباشر عملها الحثيث على إغاثة عوائل الأيتام، منذ ذلك التّاريخ وإلى يومنا هذا، وسوف تستمر بتوفيق من الله تعالى وعناية أهل البيت عليهم السلام وجهود الخيّرين من شيعة المولى أمير المؤمنين عليه السلام.

ـ التّنسيق مع الهلال الأحمر لإغاثة الشّعب العراقي، بعد سُقوط النّظام البائد عام ١٤٢٣ هـ ق الموافق ٢٠٠٣ ميلادي.

بريطانيا

سافر سماحته في عام ١٤١٨ هـ ق الموافق ١٩٩٨ ميلادي إلى هذه الدّولة، وكان له فيها بعض الأنشطة الهامّة، منها:

ـ التقى سماحته بالعديد من الشّخصيات العلميّة والدّينيّة في لندن، منهم: سماحة السّيد مُحمّد بحر العُلوم، بدعوة من سماحة السّيد حسن بحر العُلوم، وقد أثمرت هذه اللقاءات في تقريب وجهات النّظر، وتفعيل العمل في المؤسّسات في تلك البلاد.

ـ إلقاء الخُطب والمُحاضرات في حُسينيّة الرّسول الأعظم، في منطقة "اديجوارد روود" وحُسينيّة الإمام المهدي "عجل الله تعالى فرجه الشّريف" وخُصوصاً في مُناسبة شهادة فاطمة الزّهراء عليها السلام.

ـ زار المُدن المُهمّة، مثل "ليدز" "وليستر" "ومانشستر" حيث يُقيم فيها عدد من المُسلمين العرب، وبالخُصوص الإخوة الكويتيين، وأقام فيها دروساً وأبحاثاً في مُختلف شؤون العقيدة الحقّة.

ـ عقد الصّلات مع الباحثين والمُحققين، المُقيمين في بريطانيا لتزويده بالمخطوطات والمنشورات الهامّة، من المتحف البريطاني، في أمور الاعتقاد وما يتعلّق بتراث أهل البيت عليهم السلام.

جمهوريّة العراق

بعد تحرير العراق من الطّاغية وحكومة البعث الظّالم، شدّ الرّحال إلى مسقط رأسه، بعد غُربة دامت أكثر من ثلاث وعشرين سنة، وتشرف بزيارة العتبات العاليات في النّجف وكربلاء والكاظمين وسامراء، وقام بحملة توعية دينيّة واسعة، وأسّس لجان عمل لإغاثة الشّعب العراقي المظلوم، وفتح مكاتب تُشرف على هذا العمل في أغلب مُحافظات العراق، تمخّض منها إرسال ما يقرب من ٣٠ شاحنة، مُحمّلة بالأدوية والأغذية، وذلك بالتّعاون مع الهلال الأحمر الكويتي، ومساعدات المُحسنين الخيّرين...

كما شيّد سماحته مركزاً صحيّاً نموذجيّاً في العراق، في مدينة العمارة "معمورة آل مُحمّد عليهم السلام" وذلك بمساهمة إحدى المُتبرعات من دولة الكويت.

ويطمح سماحته بتأسيس جامعة دينية في بلد المقدّسات العراق، تعتني بنشر عُلوم أهل البيت عليهم السلام وذلك بتدريس عُلومهم، وفعلاً قد تمّ بعون الله

تعالى، وببركة مُحمّد وآل مُحمّدعليهم السلام من تأسيس البذرة الأولى لهذا المشروع الخيّر، وذلك بفتح حوزة علميّة للرّجال والنّساء، حوزة بضعة المُصطفى صلى الله عليه وآله للدّراسات الإسلاميّة، تيّمناً وتبرّكاً باسم مولاتنا فاطمة الزّهراءعليها السلام في مدينة العمارة "معمورة آل مُحمّد صلوات الله عليهم" حيث بدأت الحوزة بفتح أبوابها ببدء العام الدّراسي الحوزوي ١٤٢٤ـ ١٤٢٥ هـ ق بتسجيل عيّنات خيّرة من الطّلبة، ضمن شُروط ومُواصفات حدّدتها إدارة الحوزة، وقد أوصى سماحته العاملين معه بالاهتمام بالطّلبة، وتهيئتهم مادّيّاً ومعنويّاً، لكي يكونوا عُلماء روّاداً وسفراء، لنشر عُلوم آل مُحمّدعليهم السلام وقد تكلّلت هذه الجُهود بتخريج أكثر من ٥٠ طالباً، وتتويج جمع منهم بالزّي الخاص لأهل العلم، المُتعارف في الحوزات العلميّة.

الخاتمة

لسماحة العلامة الدّكتور الشّيخ عبد الكريم العُقيلي "دام ظلّه" دراسات وبحوث استدلاليّة في أغلب المجالات التي هي مورد الحاجة للنّاس، فلم يقتصر على طبقة من النّاس أو بحث مُعيّن، بل شملت بُحوثه الاستدلاليّة ودراساته المُعمّقة أغلب الجوانب الضّروريّة، فهو في الوقت الذي تجده يبحث في مسألة عقائديّة مُعمّقة، أو في بحث فقهيّ أو أصوليّ مُهم، تُلاحظه يهتم بالجانب الخدمي والإنساني بنفس الاهتمام، فسماحته إضافة إلى كونه من العُلماء الخُطباء، البارزين في خدمة المنبر الحُسيني، فهو عَلَم من أعلام التّأليف والتّحقيق، وآثاره العلميّة– حيث ذكرنا بعضها، والتي لم

نذكره أكثر ـ تربو على الخمسين، في الفقه والأصول والعقائد والتّأريخ والتّفسير والحديث... وما فيها من عمق في البحث، وتوخي الضّرورة والجودة والإحاطة، وكذا آثاره الخدميّة، والتي نوّهنا إليها في مطاوي سيرته، هي أكبر شاهد، بل هي بُرهان جليّ، على صدق ما ذكرنا عنه في هذه السّيرة المُختصرة، فكُلّ هذا وغيره، جعل الآمال معقودة عليه وعلى أمثاله، إن شاء الله تعالى.

وفي الختام نبتهل إلى الله تعالى أن يوفّق سماحته، والعاملين معه، للمزيد من نشر فضائل وحقائق ومراتب أهل البيت "عليهم السّلام"

إدارة

مؤسّسة بضعة المُصطفى صلّى الله عليه وآله

لإحياء تُراث أهل البيت عليهم السّلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة المؤلّف

الحمد لله الذي تجلّى لخَلْقه بأسمائه الحُسنى، وأراهم قُدرتَه بظُهور صفاته العُليا، حتّى قالَ فيه من لا تحدُّ الألسنُ كماله: "ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله وبعده وفيه"(1) والحمد لله الدالّ على سرّ وحدته كُلّ شيء، والهادي إلى نور عظمته كُلّ فيء، أَحْمدُه حَمْداً مُثْبِتاً منهُ وَإليهِ، حَمْداً نافياً عنهُ كُلّ توهّمٍ لَهُ وفيهِ، حَمْداً لا يَقْوى عليه إلاّ هُو.

وأُصلّي مُسلِّماً على الحقّ الظّاهرِ، والاسْمِ المُسْتأثرِ به في الباطنِ، المُكْتَسي بكسْوة مُحمّديّة، والمُتّشحِ بالحُلّة الإنسيّة، المُتمثّل بالمشيئة الإلهيّة، والأسماء الكُلّيّة، وعلى آله، الحَقائقِ العلْويّة النّازلة بالحضَراتِ العَدديّة، لفاقَة الخَلائقِ الجُزْئيّة.

وبَعدُ...

(1) شرح الأسماء الحُسنى: 1/ 189.

علم التّوحيد

إنّ العُلومَ، منها أمّهاتٌ أصولٌ أصليّةٌ، وفُروعٌ تفصيليّةٌ، وعلمُ التّوحيد أصل أمّهات العُلوم، وأصْلُ كُلّ الحقائق والفنُون، لذا فهُو يَشتركُ مَعها في أنَّ لهُ مَوضوعاً ومَبادئَ ومسائلَ، ويَفترقُ عَنها في جَوهرِ مَطالبه وُروحِ مَسائله.

موضوع علم التّوحيد

فموضوع علم التّوحيد، هو ما يُبحَثُ فيه عن سرّ الأسرار في الإثبات، بقول قُطْب دائرة المَعرفة، أبي عبد الله عليه السلام: "لم أحدّه ولكنّي أُثبتُه"(١) وقول مَظْهر التّوحيد، وآية التّجريد، أبي الحسَن، عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام: "ولا في المَسألة عنهُ جَوابٌ"(٢) وغيرُ ذلكَ ممّا يَتعلّقُ به على نَحو النّفي تارة، والإثبات تارة أُخرى.

مبادئ علم التّوحيد

مبادئ علم التّوحيد، هي الحقائقُ الوجوديّة، اللازمةُ للحقائق الغَيبيّة، والتي تُسمّى بَمقام الأسماء وتَجلّي الصّفات، فمنها: ما تَعيّنَ حُكمُه في العوالم، والقسمُ الآخر ما لم يَتعيّن له حُكمٌ فيها، وهُو الذي أستأثر به في غَيبه، كما أشار النَّبيُّ صلى الله عليه وآله إليه في دُعائه: "أو استأثرتَ به في علْم الغيَب عندَك"(٣) وصرّح به الهُداةُ، في أدعيتهم، كدُعاء أبي عبد الله عليه السلام: "الّلهم!

(١) الكافي: ١/ ٨٤، باب، إطلاق القول بأنّه شيء.
(٢) عُيون أخبار الرّضا: ٢/ ١٣٧.
(٣) الكافي: ٢/ ٥٦١، باب، الدّعاء للكرب والهم والحزن.

إنّـي أسـألُك بكُـلّ اسم هو لك، أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"[١].

مَسائلُ علم التّوحيد

مَسائلُ علم التّوحيد، هي عبارةٌ عمّا يتّضحُ بالحقائقِ الوجوديّة، التي هيَ المبادئُ، مـن مُـتعلّقاتها ومَـراتبها، ومـا يَتعـيّنُ بهـا وبآثارهـا مـن الـنّعوتِ والأوصـاف والأسـماءِ الفـرعيّة، ومـا يُعـرَف بـه صـحيح مـا يَخـتصُّ بهـا من سَقيمه، و صَوابه من خطئه.

وهـذه المـبادئُ والمـسائلُ، مُـتلقّاة مـن مـشكاة الأنـوار الإلهيّة، ومفاتيح الأسـرار الرّبانيّة، مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام فهيَ على سَبيلِ المَقال، الذي يَتميّزُ بـه الحـالُ، وكمـا أشـارَ تلمـيذُ مدرسـةُ الحـقّ، ومُحيّـرُ الخلـق، لـسانُ العلْـمِ المَصبوب، والعلَمِ المنصُوب، هُشامُ بنُ الحَكَم، عندما قالَ لهُ السّرُّ العجيبُ، أبو عبد الله عليه السلام: "مَنْ علّمك هذا؟ قال: هُو شيءٌ أخذتُه منكَ وألفتُه"[٢].

الأَمـر الـذي يَجدُه اللّبيبُ فـي نفسه، مـن الحـقّ الذي لا يُفْتَقرُ فيه إلى سَـبَبٍ خارجـيّ، كالأقْيـسَة ونَحـوها، إلاّ بقـدَرِ الحاجـةِ للآخَـرين، والفاقـةِ للباحثينَ، في العلمِ النّظري فَحسْب.

علم التّوحيد أشرف العُلوم

لمّـا كانَ شرَفُ كُلِّ علْمٍ، إنّما هو بحسب موضوع مَعْلومه ومُتعلّقه، كان

(١) المصدر السّابق.

(٢) الكافي: ١/ ١٧١، باب، الاضطرار إلى الحُجّة.

العلمُ الإلهيُّ عُموماً، والتّوحيدُ بكلا قسْميه خُصوصاً، أشْرَفَها؛ لشرف مُتعلّقه، وهو مقام التّجلّي بالحقّ، الذي اقتضت الحاجةُ فيه إلى مَعْرفة الميزان، وتحصيلِ الضّوابط والأصول، في المُرتكزات الدّراسيّة التّوحيديّة، وتأسيس القواعد العلميّة، شأنُه في ذلك شأنُ العُلومِ النّظريّة، والفُنون الكَسبيّة، في المقامِ النّظري، وإن كان الأمرُ في المقام العمليّ، إطفاءَ نائرة السِّجال، وإخمادَ جذْوة الجدال، وَلا قيلَ، ثَمَّ وَلا قَالَ، إذ ليس هُناك إلاّ الفناء، ولا بُرهانَ له إلاّ هو، فلا كلامَ إلاّ كلامُه، ولا صوتَ إلاّ صوتُه، ولا نورَ إلاّ نورُه، وميزانُ الكلام، هو في الاستلهامِ منْ مُنيفَ كتابِ الله العظيم، وتَجلّي صفات الحقّ المُبين، وظُهورِ أسمائه الحُسنى، لذا ورَد في خطاب يعسوب الدّين، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "تجلّى لها بها، وبها امْتَنعَ عَنْها"(١).

فالانْعطافُ نحوَها؛ لدرْك الإثبات ونفْي الصّفات، هو ميزانُ هذا العلْمِ، وَأصْل القواعد في هذا الفنّ، وبه يَحصُلُ التَّمييزُ بين العُلومِ الشّهوديّة واللّدُنيّة، والتّجلّيات والأحوال والمقامات تارة، وبين الإلقاء والتلّقي الصّحيحِ الإلهيّ، وبين الإلقاء الشّيطانيّ والنّفسانيّ تارة أُخرى.

ولا نُجانبُ الحقيقةَ إذا ما قُلنا: بأنّ هذا المقامَ، فيه مزلّ الأقدامِ، ما لم يُعتصَم بحبلِ الهُداة الكرام، ومُهديّ الأنام، سمعاً وتلقّياً وتفكّراً، بما به صدَعوا، وإليه نطَقوا، منْ نفْيٍ وإثبات، إذ ليس هُناك بينهما منزلة، وسترى صدْقَ ما ذكرْنا، وأنتَ تجولُ في هذه الأجْواءِ والأرْجاء، منْ خلْطٍ وخبْطٍ،

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١١٥، خُطبة، ١٨٥.

بينَ مقام الذّات والأسماء والصّفات، التي خلط فيها جُلُّ أهْلِ الفَلْسفة، وقالوا بأنّ بعض الأسماء أو الصّفات عينُ الذّات، فَهُمْ ما بين هذا وذاك، وَاصفونَ مُخبرون، والقُرآنُ المجيدُ بين أيديهم، يُحذّرُهم ويُنذرُهم، بقوله جَلّ وعلا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللَّه إلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[1] وكذلك يُرشدهم الحقّ المُتعال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[2] ويؤكّد القولَ: ﴿وَلاَ يُحيطُونَ به علْماً﴾[3] ويَنطُقُ حقّاً: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعزَّة عَمَّا يَصفُونَ﴾[4] وأَخيراً وليسَ آخراً: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾[5].

ولو فهموا ما قرَعَ سَمعَهم، من قول ثامن الحُجج الإلهيّة، عليّ الرّضا المُرتضى عليه السلام: "لا معلوم ولا مجهول ولا..."[6] لَوجَدوا اللهَ حاضراً مُنزّهاً، وانكشف لهم السّراب من التّراب، وَعَلمُوا أنّ ما أسَّسوه باطلاً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[7].

قواعد ومباني التّوحيد

ونحنُ في هذا المَسيرِ، إلى مَن إليهِ المَصيرُ، نرى أنّ علينا التّذكير، ومنْ

(١) يُوسف: ١٠٦.
(٢) الشّورى: ١١.
(٣) طه: ١١٠.
(٤) الصّافّات: ١٨٠.
(٥) مريم: ٦٥.
(٦) عُيون أخبار الرّضا: ٢/ ١٥٣.
(٧) الأنعام: ١٣٩.

فخاخِ الخلْط والخبْط والتّكلّمِ في ذاته التّحذير، فنُشير إلى أهمّ قواعد ومباني التّوحيد الجليّ؛ لكي نُنسف قواعد ومباني الشّرك الخفيّ، فنقول:

أوّلاً- إنّ أهمَّ أصْلٍ يُؤصّل، وأُسّ يُؤسّسُ- بل هُو أصل أصول التّوحيد، وركيزةُ التّجريد، وقواعد التّفريد- تنزيهُ الذّات عنْ كُلّ اسْمٍ ورسْمٍ ونعْت وصفة، بل عمّا ذكرنا بالكُليّة؛ وَذلكَ لعدمِ التّناسب والارْتباط والتّعلّق والاقْتضاء والاسْتدعاء، وما إلى ذلكَ، فيما بينَها وبينَ ما سواها بَتاتاً، **والخَوضُ في التّفكّر، أو التّوهّم فيها، فضْلاً عن التّكلُّم والإخْبار عنها، حرفةُ العاجزِ ومهنةُ النّاشزِ، كما سَيأتيكَ بيانُه، فلا تَعْجلْ من قَبْلِ أنْ يُقْضى إليكَ وحيُ أمره.**

ورَد في الخبَر الوارد عن أبي جعفرعليه السلام أنّه قال: "ولا تتكلّموا في الله؛ فإنّ الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلاّ تحيّراً"(١).

وفي رواية عن أمير المؤمنينعليه السلام أنّه قال: "ومن تفكّر في ذات الله تزندق"(٢).

فإنّ ما يتعلّق بالذّات والصّفات، بحر زاخر، لا يصل إلى أطرافه النّظر، ولا يدرك قعره البصر، ولا يجري فيه فكر البشر، فكُلّ سابح في بحار عزّه وجلاله غريق، وكُلّ طالب لأنوار كبريائه وكماله حريق.

ثانياً- نوعُ الدّلالةِ على الذّات، أي الدّلالة الأسمائيّة، فهِيَ دلالةٌ إثباتيّةٌ

(١) الكافي: ١/ ٩٢، باب، النّهي عن الكلام في الكيفيّة.
(٢) المصدر السّابق: ٨/ ٢٢، خُطبة الوسيلة لأمير المؤمنينعليه السلام.

لا غير، طبقاً للسرّ الأوْفى، الوارد على ألسنة أهْلِ العُلى: "لم أحدّه ولكنّي أثبته"[(١)] وما وَردَ على لسان الصَّباحِ، في دُعائه، من قوله عليه الصّلواتُ السرْمَديّاتُ: "يا مَنْ دلَّ على ذاته بذاته، وتَنزَّه عَنْ مُجانَسَةِ مَخْلُوقاته، وجلّ عنْ مُلائَمَة كيْفيّاته"[(٢)] فإنّه يُرادُ به دلالةُ المُحدَث الكاملِ، الذي لا وصفَ ولا نعتَ كذلك في مَورده، على إثْباته ونفْي الصّفات عنهُ، أو يُحمَلُ على أنّهُ لا شيءَ يُقالُ عن ذاتَه، إلاّ بذاته لذاته، والكُلُّ محْوٌ وفناءٌ، حتّى مَقامِ أسمائه وصفاته، إذ يَسْتوي الكُلُّ في هذا الحُكم قطعاً، وإلى ذلكَ صَرّحَ الإمامُ، ومحيّرُ الأنامِ، بقوله: "أوّلُ الدّين معرفتُه، وكمالُ مَعرفته التّصديقُ به، وكمالُ التّصديق به توحيدُه، وكمالُ توحيده الإخلاصُ له، وكمالُ الإخلاص له نَفيُ الصّفات عنه، لشهادة كُلِّ صفة أنّها غيرُ الموصوف، وشهادة كُلِّ موصوف أنّه غيرُ الصّفة، فمَنْ وَصَفَ اللهَ سبحانه فقدْ قرنَهُ، ومَن قرنَهُ فقد ثنّاه، ومَن ثنّاه فقدْ جزّأه، ومَن جزّأه فقدْ جَهلَه، ومَن جَهلَه فقدْ أشارَ إليه، ومَن أشارَ إليه فقدْ حدّه، ومَنْ حدّه فقدْ عدّه، ومَنْ قال فيمَن فقد ضمّنه، ومَن قال علامَ فقدْ أخْلى منه، كائنٌ لا عن حدَث، موجودٌ لا عن عدَم، مع كُلِّ شيء لا بمُقارنة، وغيرُ كُلِّ شيء لا بمُزايلة، فاعلٌ لا بمعنى الحركات والآلة، بصيرٌ إذ لا منظورَ إليه منْ خَلْقه، مُتوحّدٌ إذ لا سكَنَ يَستأنسُ به، ولا يَستوحشُ لفَقده"[(٣)].

(١) المصدر السّابق: ١/ ٨٥، باب، إطلاق القول بأنّه شيء.
(٢) بحار الأنوار: ٨٤/ ٣٣٩.
(٣) نهج البلاغة: ١/ ١٦، خُطبة، ١.

فمـاذا بعْـدَ الحقِّ إلاّ الضّلالُ؟! قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّه بكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[(١)].

ثالثاً– تأكيداً لمَا ذكرْنا، وتأسيساً لما نقولُ أو قُلنا، فإنّه لَم يَردْ في كتابه المَجيد، وَلا على لسان المَحمود الحميد، ولا في كَلمات أهْل الرّشاد والتّسديد، بيانٌ، بأيِّ نحْو منْ أنحائه، سوى الإثبات، فقد ورد في النَّصِّ الجَليِّ، عنْ باقر العلْم العليّ، بقوله عليه السلام: "كُلّما مَيّزْتُموهُ بأوْهامكمْ بأدقِّ مَعانيه، مَخْلوقٌ مثْلكمْ، مَرْدودٌ عَليكمْ"[(٢)] فاحْفَظْ تُحفَظ، وكُنْ من الذّاكرينَ.

رابعاً– بَعْد العَجْز عن التّفكّر والحَديث عن الذّات، ونَعْتها بالصّفات، يتركّزُ من باب التّنْزيه لا النّفي والتّعطيل، الكلامُ عن المَقامات التي لا تَعْطيلَ لَها في كُلّ مَكان، وَهيَ الآخَرُ الذي لا يَجْرأُ أحَدٌ مَساسَها، أو الجَساسَ خلالَ دَيارها، إلاّ بما وَصَفُوا، تَقيُّداً وتَثبُّتاً.

لـيُعلمَ، أنّه قدْ أَحاطَ بكُلّ شيء، ولم يُحَطْ بشيءٍ من علمه، إلاّ بما شاءَ، منْ قَذْف العلْم من مقام الاسْمِ المُباركِ (العَليم) في قَلْبِ مَن يشاء، فتدبّرِ القولَ، ولا تَكنْ من الغَافلينَ.

خامساً– إنَّ مقامَ (هو) مقامٌ اسميٌّ غَيْبيٌّ، اسْتأثرَ به في علْمِ الغَيب، فلَمْ يَظْهَره تَعالى لأحَدٍ من خلقه، وَلَيْسَ في مَوْردِه قولٌ جَليٌّ، ولا أثرٌ خَفيٌّ، إلاّ

(١) التّوبة: ١١٥.

(٢) مشرق الشّمس: ٣٩٨.

هُو، لذا وَرَد عنْ سرِّ الأسْرار عليه السلام قولُه: "يا هُوَ، يا مَنْ لا هُوَ إلاّ هُوَ"(١).

وسَنُوافيكَ بما تَقَرُّ به عينُكَ من بيانٍ، على لسانِ باقرِ العُلومِ عليه السلام عنْ مَقامه، فارْتَقبْ إنّا مُرْتقبُون.

سادساً- يُلْحقُ بالاسْمِ المَكْنونِ المَخْزونِ المُسْتأثرِ به (هو) مَقامُ الأحديّة الصّرْفة، وَهُو أيْضاً ممّا لا اسْمَ ولا رسْمَ، وذَلكَ باعْتبارِ أنّ الأحديّةَ غيرُ قَابلة للتّعدُّد، وَهيَ ليسَت إلاّ هيَ، وما التّعبيرُ عَنها بالأحديّة إلاّ تَصْديقاً لما ذكرْنا، من نَفْي لوَصْفها أو نَعْت لَها، فدقّقْ وتبَصّرْ.

سابعاً- وَبما أنَّ الفَاقةَ للمُمْكنات تَسْتدعي الظُّهورَ والجَلاءَ، ظَهَر لَها مَقامُ (الوَاحد) الذي منْهُ بَرَزَت الأسْماءُ، وتَكَثّرتْ بلحاظ المُتعلّقات من الشّؤون والحَاجات، منْ خَلْق ورزْق وَحيَاة وَممَات، وَما إلى ذَلكَ، طبقاً للنّصِّ الصّريح، الوارد عن أبي عبدِ الله الصّادق عليه السلام حيث قال: "فَجَعلَهُ كَلمةً تامّةً على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبلَ الآخَر، فأظْهَر منها ثلاثةَ أسْماء؛ لفاقة الخَلْق إليها، وحَجَب منها واحداً منها، وَهو الاسْمُ المكْنونُ المخْزونُ"(٢).

ثامناً- فالظّاهرُ من الأسْماء، وفاقاً لما وَرَد عن سرِّ التّوحيد، أبي عبد الله الصّادق عليه السلام أنّه قالَ: "فَهذه الأسْماءُ التي ظَهَرتْ، فالظّاهرُ هُو اللهُ تباركَ وتَعالى"(٣) وَبما أنَّ الاسْمَ الجامعَ للصّفات جميعاً: الكماليّة والجَماليّة

(١) عدّة الدّاعي: ٢٦٣.
(٢) الكافي: ١/ ١١٢، باب، حُدوث الأسماء.
(٣) نفس المصدر.

والجَلالـيّة، هُـوَ اللهُ، فَهَـو المُتحيّـرُ فـيه؛ لأنّـهُ يَقْتَـضي مألوهاً، كَما سَتَرى في الـنَّصِ المُعْتبَـر، الـذي جَـاءَ فـيه: "اللهُ ممّـا هُـوَ مُـشْتَقٌّ؟ فأجَابَـهُ الإمامُ أبو عَبد الله عليه السلام: اللهُ مُـشْتقٌّ مـنْ ألـهَ، وألَـهَ يَقْتَـضي مَألـوهاً، والاسْـمُ غَيرُ المُسمَّى"(١) فانْتَظِرْ إنّا مُنْتَظِرونَ.

تاســعاً- الكَثْـرةُ الأسْمائيّةُ، مُصَرّحٌ بها في الكتاب المَجَيدَ، بقوله تَعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾(٢) وهَيَ بَحَـسَبِ حَقيقَـتها لا تَغايـرَ ولا تَـبايَنَ بَيـنها، وَلكـنَّها بحَـسَبِ الاقْتـضاء وَالاسْـتدْعاء، بلـسان الفَقْـرْ والحَاجَـة، تجلّـت، وسَتَرى عمَّا قَريب، ما يَشُدّ به أزْرَكَ، ويَفُكُّ به أَسْرَكَ، فالصّبر على هاتا أحْجَى، لنَيْلِ القَدَحِ المُعلّى.

عاشــراً- إنَّ للأسْـماء أرْكانـاً أرْبعـةً، وَإنّ للأرْكـان أسْـماءً وأعْـواناً تَقُـومُ بالتّدْبيـر، وإلـى ذَلـكَ أشـار القُـرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَات أَمْراً﴾(٣) وصَـرّحت الـرّواياتُ، كمـا وَرَد عَـن أبـي عـبد الله عليه السلام أنّه قال: "وسَخَّر سُبْحانه لكُـلّ اسْـمٍ مـن هـذه الأسْماء أرْبعةَ أرْكان، فذلك اثنا عَشَر رُكْناً، ثُمَّ خَلَقَ لكُلّ رُكْـنٍ مـنْها ثَلاثـينَ اسْـماً، فعْـلاً مَنْـسُوباً إلـيها، فَهُـو الـرّحْمنُ، الـرّحيمُ، الملـك، القُـدّوس، الخالـق، البارئ، المُصوّر، الحيّ القيّوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبيـر، الـسّميع، البـصير، الحكـيم، العزيـز، الجـبّار، المُتكبّـر، العلـيّ، العظـيم، المُقـتدر القـادر، الـسّلام، المـؤمن، المُهـيمن، الـبارئ، المُنـشئ، الـبديع، الـرّفيع،

(١) الكافي: ١/ ١١٤، باب، معاني الأسماء واشتقاقها.
(٢) الإسراء: ١١٠.
(٣) النّازعات: ٥.

الجليل، الكريم، الرّازق، المُحيي، المُميت، الباعث، الوارث، فهذه الأسْماءُ، وَما كانَ من الأسْماء الحُسْنى، حتّى تَتُمَّ ثلاثة مئة وستّينَ اسْماً، فهيَ نسْبَةُ الأسْماء الثّلاثة، ولهذه الأسْماءُ الثّلاثةُ أرْكانٌ، وحَجَبَ الاسْمَ الواحدَ المَكْنونَ المَخْزونَ بهذه الأسْماء الثّلاثة، وذلكَ قولُه تَعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[(١)،(٢)].

هَذه عَشرةٌ كاملةٌ من الأسْرار الكَامنة، سَطّرْتُها؛ لتَكُونَ العَوْنُ على الوصُول إلى المَقاصد، والبُلوغ إلى تلكَ المَشاهد، وليُعرفَ المَعْبودُ من العَابد، فلا تَقُلْ عَرَفْتُ قبل هذا فَتَرْدَى، وفي دَائرة الحَجْب والبُعْد تَهْوَى.

"يا عليّ، لا يعرفك إلاّ الله وأنا" فكُل من سواهم، مهما بلَغ في العلم والشّرف، فهو لا يُقاس بهم، وإلى هذا أشار سيّد الموحّدين: "نحن أهل البيت، لا يُقاس بنا من النّاس أحد"[(٣)] فاقْتَفي أثَرَ مَن اهْتَدَى، وَبنار الحُبِّ ونُور القُرْب قد اكْتَوَى.

أَسْأَلُ الله تبارك وتعالى أنْ يُوفّقَنا لحقِّ المَعْرفة، وَمعْرفة الحَقِّ، وأنْ يَحْشُرَنا في زُمْرة سَادة الخَلْق، إنّهُ نعْمَ المَوْلى وَنعْمَ النّصيرُ، وَحَسْبُنا اللهُ ونعْمَ الوَكيلُ.

دواعي التّأليف

إنّ من أهمّ العلل الباعثة على تدوين أبحاث هذا الأصل الأصيل والرّكن الرّكين، هو إثارة دفائن العُقول، في معرفة مقام الأسماء، التي

---

(١) الإسراء: ١١٠.
(٢) الكافي: ١/ ١١٢، باب، حُدوث الأسماء.
(٣) عُيون أخبار الرّضا: ١/ ٧١.

انحصر بها– عقلاً ونقلاً– الوصول إلى حقيقة الإثبات للذّات المُقدّسة، عن كُلّ الارتباطات والتّعلّقات، والتّميز بينها وبين مقام الصّفات المُحدثة، ولئلاّ يقع الشّركُ المُبتلى به بين النّاس، بل بين أوساط المُؤمنين، لصريح ما نطق به الحقّ العليم، في كتابه الكريم، بقوله تعالى جَدُّه، وتقدّست أسماؤه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ولما سترى من خلْط وخبْط، وقع فيه الكثير من الباحثين والمؤلّفين، في هذا الأمر العظيم، فحسبوا أنّهم يُحسنون صُنعاً، أو أنّهم عارفون دالّون، فلهذا وغيره، شمّرنا عن ساعد الجدّ والمُجاهدة، لإبطال ما قالوا، وبه وصفوا، وعنه أخْبروا، وبيننا وبينهم مُتون هذه الموسوعة الموضوعيّة الفريدة في بابها، والمُختصّة في مجالها، ولعمر الحقّ! فإنّ في هذه المطالب العقائديّة جنبتين مهمّتين:

الجنبة الأولى– هي لإفحام المُشكّك والمُنكر لمقام النّور الأزلي، والسّر السّرمدي، المُتمثّل بالحقيقة المُحمّديّة العلويّة؛ وذلك بالأدلّة العقليّة والنّقليّة الرّصينة، والتي لا تقبل التّرديد أو التّشكيك.

الجنبة الثّانية– لإنقاذ أيتام آل مُحمّد من براثن الشّرك الخفي: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ وذلك بسوق الشّواهد الولائيّة، على إثبات مقام المشيئة الإلهيّة، المُتمثّلة بالنّجوم الزّاهرة والأنوار السّاطعة، مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[1].

(١) الأنعام: ٥٧.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَة وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١) والله الهادي إلى سواء السّبيل.

شكْرٌ وثناءٌ

ولا يَفوتني هُنا، أن أُقدّمَ جزيلَ شْكري، وخالص ثنائي، ووافرَ امتناني، لكُلّ مَن شاركَ في جمْعِ مطالب هذا الكتاب، ومراجعتها وإضافة ما يَلزم من استدراك، أو كلمات مأثورة عن أهلِ بيتِ العصمة والطّهارة، ومعدن الحكمة والحلم عليهم السلام أو بيانات لبعضِ العارفين، أو ما خطَرَ ببالهم من رشحات أو فيوضات وما إلى ذلك، الأمر الذي يجب فيه عرفان حقّهم وتقدير جَهدهم، وأخصّ بالذّكر منهم الشّيخين الفاضلَين، الأخ الكريم الشّيخ المُحقّق عبّاس الزّيداوي، رئيس مجلس إدارة مؤسّسة بضعة المُصطفى المُباركة، والذي باشر وأشرف على كُلّ المراحل، من التّدقيق والتّحقيق، والشّيخ المُحقّق عبد الباقر المنصوري، الذي بذل كُلّ ما بوسعه من تتبّع ودقّة وتدوين (دام عُلاهما) كما لا يَفوتني أن أُشير إلى التّلامذة المُوقّرين، من الطّلبة والطّالبات، الذين لازموني طيلة فترة التّدريس، ولأربع سنوات، تجَشّموا فيها عناء الحُضور والمُذاكرة، بالسّؤال والاستفهام، وتدوين المطالب، وتحمّلوا بذْلَ ما لديهم؛ من أجْل إخْراج الكتاب إلى النّور، وبما أنّ عددهم يَربو على الثّلاثين، فلا يَسعني ذِكرُهم فرداً فرداً، بل أكتفي بالدّعاء لهم بالمزيد من العطاء، في سبيل ترويج

(١) الأنفال: ٤٢.

الحقائـق الغـرّاء، لسادة الخلق الأولياء، وأنّ ما قدّموه، هو عند مَن لا تَخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السّماء.

١٧ ربيع الأوّل ١٤٣١ هـ ق
المصادف لمولد النور المُحمّدي وحفيده صادق آل مُحمّد
صلوات الله عليهم أجمعين
أَقَلُّ الخَلْقِ عَمَلاً وَأَكْثَرُهُم تَقْصِيراً عبْدُ الكَرِيمِ العُقيلي

التّمهيد

إنّ الغرض من هذه الدّروس، هو بيان روح التّوحيد، على ضوء العقل والنّقل القطعيين[1].

وللوصول إلى التّوحيد الخالص، أي مقام التّوحيد والوحدة، الذي يُعبّر عنه على ألسنة العُرفاء بـ(مقام الفناء) لابدّ لنا من طي المراحل والمنازل الخاصّة بذلك، بحيث لايرى الإنسان في حركاته وسكناته إلاّ الله سبحانه وتعالى، وتجلّياته وصفاته، ومظاهر أمره، وأنواره التي هي حقيقة هذا الوجود، وما عداها فهو سراب، أي، لا وجود للشّيء إلاّ قائماً ومُستنداً في وجوده، وجميع تصرّفاته بذلك الإشعاع الحقّ، وذلك النّور السّاطع؛ سواء كان ذلك الوجود روحانيّاً أو جسمانيّاً[2].

---

(١) نقصد بالعقل: الأدلّة العقليّة القطعيّة التي لا يُخالجها الشّكّ. ونقصد بالنّقل: الرّوايات المُعتبرة، الواردة عن أهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام.

(٢) قال المُلا هادي السّبزواري، في شرح الأسماء الحُسنى: "وأعلى مراتب عدم البُعد، أن يكون العارف، بعد أن صار عالماً عقليّاً مُضاهياً للعالم العيني، يُعرض عمّا سوى الله تعالى، ويقبل بشراشر وجوده عليه تعالى، بحيث يتلاشى وجوده تحت نور وجوده، ويُفنى فيه بالكُلّيّة، بل يُفنى عن فنائه، وهذا مقام الفناء في الله، والفناء عن ◄

المقامات الوجوديّة

ومن خلال هذه المُقدّمة المُختصرة جدّاً، يُمكن لنا تقسيم الوجود، بحسب الواقع وحقيقة الأمر إلى ثلاثة مقامات- خلافاً لما يذهب إليه الفلاسفة[١] الإسلاميّون وغيرهم- وهذه المقامات هي:

المقام الأوّل- مقام الذّات

ونقصد بالذّات، هي التي ليس لها نعت ولا وصف ولا اسم ولا رسم، والتي لا تتمثّل إلاّ بذات الله تبارك وتعالى، التي لا يحدّها حدّ؛ لأنّ المحدود مُفتقر، وحينئذ أنّى له الإحاطة باللا محدود، من حيث الصّفات والنّعوت، ومن الأدلّة على ذلك، بُرهان الغنى الذّاتي لها، الذي معناه، الاستغناء عن كُلّ ألوان وأنماط الصّفات والمخلوقات والموجودات.

وهذا هو سرّ التّوحيد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّه وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٢] وغيرها من الآيات المُباركة، التي سوف يأتي تفصيلها، في طيّات بحثنا هذا، إن شاء الله تعالى.

فتبيّن لنا، أنّ المقام الأوّل، هو مقام الذّات، المُستغني عن كُلّ

الفناء، وهو قُرّة عين العارفين، وغاية مُنى المُحبّين، فإنّه عين الحياة الأبديّة، والدّيمومة السّرمديّة".(شرح الأسماء الحُسنى: ١/ ٢٨).

(١) من تقسيمهم للوجود إلى: واجب الوجود، ومُمكن الوجود، ومُمتنع الوجود. راجع الأسفار للمُلا صدرا، والبداية والنّهاية للعلامة الطّباطبائي.

(٢) فاطر: ١٥.

مـا يتـصوّر ويـتحدّد، سـواء كـان في الخارج أو في الذّهن؛ لأنّهما موطن المخلوقات.

المقام الثّاني- مقام الفعل

ونقـصد بالفعـل، هـو مـا ظهرت به الأشياء وتميّزت، وهو الذي يُعبّر عنه بمقـام المشيئة، أو مقام النّور، أو الذّكر، أو العقل الأوّل، أو الرّوح الأوّل، أو الرّوح المُجرّد، أو الطّبيعة الأولى، أو النّفس الكُلّيّة.

كُلّ هذه الألفاظ لمعنى واحد، كما قال الشّاعر:

عباراتنا شتّى وحُسنك واحد وكُلّ إلى ذاك الجمال يُشير

فلـرُبّما تعـدّدت المُـسمّيات، ولكـن المقصود منها واحد، كما هو الحال في هذا المقام، والذي نُعبّر عنه بـ(مقام الفعل).

المقام الثّالث- مقام الأثر (الخلق)

ونقـصد بـه، الموجـودات التـي تحقّقت في عالم الإمكان، وظهرت من عـالم كـتم العـدم، أي، مـن العدم المُطلق إلى الوجود الظّاهر؛ والتي تشمل: العـرش، والكُرسـي، واللّـوح، والقلـم، والسّماوات والأرض، وغير ذلك، من الـذّرّة وأصـغر، إلـى المجـرّة وأكبـر، كُلّ هذه تُسمّى بالوجود الثّالث، الذي نطلـق علـيه (مقـام الأثر) وذلك لأنّ آثار هذه الموجودات تدلّ عليها، وكما يُقال: "الأثر يدلّ على المُؤثّر".

وهـذه الأقـسام الثّلاثة للوجود، تمّ استنباطها من التّأمّل في روايات أهل البيت عليهم السلام وسوف يتّضح بأنّ هذا التّقسيم، هو التّقسيم الصّحيح.

توضيح الأقسام الثّلاثة

لقد ضرب الله تعالى لنا مثلاً واضحاً في كتابه الكريم، بخُصوص هذه الأقسام الثّلاثة، يُمكن لنا الاستغناء به عن غيره، قال تعالى، على لسان نبيّ الله عيسى بن مريم (على نبيّنا وآله وعليهما السّلام): ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1].

ففي هذا المثال، نجد عمليّة الخلق، التي قام بها نبيّ الله عيسى، مكوّنة من ثلاثة أقسام، هي:

القسم الأوّل– ذات عيسى عليه السلام التي أصدرت الأمر إلى يده للتّحرّك والقيام بالفعل، وبكيفيّة لا نُدركها، كما سيتّضح ذلك عن قريب، إن شاء الله تعالى.

القسم الثّاني– يده التي قامت بالفعل، وهو تحويل هذا الطّين إلى هيئة طير.

القسم الثّالث– الأثر الحاصل نتيجة هذا الفعل، وهو الطّير.

فهذا الأثر الذي هو الطّير، قد حصل بفعل اليد، التي حوّلت الطّين إلى طير، وإنّ اليد، تحرّكت من قبل الأمر الصّادر لها من قِبل الذّات.

وكُلّ إنسان، لو نظر إلى ما يقوم به من فعل، لوجد أنّه مكوّن من هذه الأقسام الثّلاثة، فالقسم الأوّل، هو الذّات، التي لا يُمكن أن تُرى أو توصف أو تُنعت، وليس لها اسم أو رسم، بل نُسمّيها بالذّات، من باب جري الحياة على طبيعتها مع النّاس؛ لجلال مقامها، وعظم شأنها وقُدسيّتها، وقد اختفت

(١) آل عمران: ٤٩.

عـن الظُهور؛ لأنّ الظّهور لا يليق بها؛ لكونه معلولاً لها، والعلّة أعلى رتبة من معلولها، وستسمعُ الكثيرَ في متونِ هذا الكتابِ عن هذا المَقامِ، بما لمْ تسْمعهُ أُذُنٌ، ولمْ تَرهُ عينٌ، فانتظِر فنحن معك من المُنتظِرين.

فهـذا الأثـر الـصّغير، الـذي هـو الإنسان، ينطوي فيه عالم كبير، كما عبر عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

وتــزعم أنّــك جُــرم صــغير وفيك انطوى العالم الأكبر[1]

فكيف بالله تعالى، الذي تجلّت ذاته عن كُلّ الذّوات، وتنزّهت عن كُلّ الأوصـاف والإشارات وغيرهما، كما قال مولى الموحّدين صلوات الله عليه: "فمَنْ وصفه سبحانه فقد قرنه، ومَنْ قرنه فقد ثنّاه..." [2].

وأوّل شـيء أحدثـته هـذه الذّات المُقدّسة، بكيفيّة لا نعلمها، هو الفعل، المُتمـثّل بالحقـيقة النّورانـيّة لمُحمّـد وآل مُحمّد عليهم السلام كما ورد في الرّوايات الشّريفة، عن جابر بن عبد الله، قال: "قُلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أوّل شي خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيّك يا جابر، خلقه الله، ثمّ خلق منه كُلّ خير"[3].

وهـذا الفعـل، الـذي يُعبّـر عنه بلسان الرّوايات هو المشيئة، والتي خُلقت الأشـياء بواسـطتها، كمـا ورد ذلك في الصّحيح المروي، بإسناد الثّبت الجلد الكُلينـي (أعلى الله مقامه) عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "خلق الله

(١) الدّيـوان المنـسوب للإمـام علـيّ عليه السلام: ٥٧، جواهـر المطالـب فـي مـناقب الإمـام عليّ عليه السلام لابن الدّمشقي: ٢/ ١٣٦.
(٢) نهج البلاغة: ١/ ١٥، خُطبة، ١.
(٣) بحار الأنوار: ١٥/ ٢٤، ح٤٣.

المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة"[١].

وكما قال الإمام الحُجّة (عجّل الله فرجه الشّريف): "ونحن صنائع ربّنا، والخلق بعد صنائعنا"[٢].

أدلّة استغناء الذّات المُقدّسة

لا يخفى على أولي الأبصار، وأصحاب المعرفة، الذين نظروا إلى الحقيقة، أنّ الذّات المُقدّسة، لا يُمكن وصفها ولا نعتها ولا تسميتها أو تقسيمها، بل حتّى قولنا: بأنّ الذّات لا توصف ولا... فهو من باب التّقريب للأذهان، لا من باب الحقيقة والواقع؛ لأنّ الذّات لا يُمكن وصفها أو الإحاطة بها، بأيّ نحو من الأنحاء المفروضة، ولرُبّ سائل يسأل: ألم يصف سبحانه وتعالى نفسه؟ فلماذا لا يصحّ لنا أن نصفه؟!

نقول: إنّه سبحانه وصف نفسه، ولم يصف ذاته، وشتّان ما بين الحالتين؛ فإنّ الذّات المُقدّسة بما هي، لا توصف كما أسلفنا، وذلك للأدلّة العقليّة والنّقليّة القطعيّة، ومن أهم تلك الأدلّة:

الدّليل الأوّل- دليل الغنى الذّاتي

الوصف والنّعت والاسم والرّسم شُؤون إضافيّة، أي أُمور تعلّقيّة، يوصف بها الشّيء بلحاظ قيده، ويُسمّى بها ليُخاطب من قِبل الآخرين؛ لافتقاره لها، أمّا إذا كان غنيّاً ذاتاً، فلا حاجة له إلى شيء من ذلك، والله

(١) الكافي: ١/ ١١٠، باب، الإرادة أنّها من صفات الفعل وسائر الأسماء، ح ٤.

(٢) غيبة الطّوسي: ٣٨٥.

سبحانه وتعالى قد ذكر في القُرآن الكريم، أنّه غنيّ عن العالمين، وأنّه لا يوصف، حيث قال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] فنفى سبحانه عنه القول بالولد؛ لكونه كان شائعاً بين الوثنيين، حيث يعدّون الملائكة، أو بعضهم وبعض الجن، وبعض القدّيسين من البشر، أولاد الله سبحانه، وتبعهم النّصارى في قولهم: المسيح ابن الله، وهذا النّوع من الولادة والبنوّة، مبني على اشتمال الابن على شيء من حقيقة اللاهوت وجوهره، وانفصاله منه بنوع من الاشتقاق، فيكون المُسمّى بالابن، إلهاً مولوداً من إله، ولأنّ مقام الخالق غير مقام المخلوق، فلا يُشاركه فيه.

كما أنّه سبحانه نفى تعدّد الآلهة؛ لبينونتها بوجه من الوجوه، بحيث لا تتّحد في معنى إلوهيّتها وربوبيّتها معه، ولما فيها من تفويض التّدبير في الكون، بحيث يستقلّ كُلّ منها في أمره، من غير أن يحتاج فيه إلى شيء غير نفسه، فيترشّح من ذلك أوامر مُتباينة، ولازم ذلك أن يستقل كُلّ من الآلهة بما يرجع إليه من نوع التّدبير، وتنقطع رابطة الاتّحاد والاتّصال، بين أنواع التّدابير الجارية في العالم، فتفسد السّماوات والأرض وما فيهن.

ووحدة النّظام الكوني والتئام أجزائه، واتّصال التّدبير الجاري فيه، يُكذّب التّعدّد.

مثال على ذلك: لو أنّ شخصاً يعيش في صحراء لوحده، لا يُخالط أحداً أبداً، فهل يحتاج إلى أن يجعل له اسماً أو وصفاً؟

(١) المؤمنون: ٩١.

كـلاّ، لأنّ جعـل الاسم أو الوصف، من أجل مُخاطبة صاحبه به، وتمييـزه عن الآخرين؛ لمُشاركته لهم في بعض الأمور ــ إن لم يكُن كُلّها ــ كالخلقة والحياة وغيرهما.

فإذا كان لوحده، استغنى عن ذلك كُلّه؛ لعدم وجود النّظير والشّريك له، والله سبحانه وتعالى لا نظير ولا شريك له، فهو مُستغن بذاته لذاته، حيث يقول: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١) أي، موجد السّماوات والأرض من كتم العدم، على سبيل الإبداع، وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وذلك بخلق الذّكر والأنثى، الذين يتمّ بتزاوجهما أمر التّوالد والتّناسل وتكثّر الأفراد، وهو سبحانه ليس كمثله شيء، وهو السّميع لما يُرفع إليه من مسائل خلقه، وهو البصير لأعمالهم. قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾(٢) فإذا كان هو كذلك، لا محالة يكون مُستغنياً عن العالمين بذاته لذاته.

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى ذلك في بعض أدعيته، عند الفراغ من صلاته، بقوله: "إلهي! هذه صلاتي صلّيتها لا لحاجة منك إليها، ولا رغبة منك فيها"(٣) لأنّ الله عزّ شأنه غير مُفتقر لذلك؛

---

(١) الشّورى: ١١.

(٢) الإسراء: ١١١.

(٣) مُصباح الكفعمي: ٢٠.

كـي يـصير راغـباً، كالمَلـك الـذي يملـك معادن الذّهب والجواهر والأموال الطّائلـة، عـندما تُقدّم له فلساً، فإنّه يسخر من ذلك؛ لعدم احتياجه إليه، ولعدم وجود قيمة لذلك الفلس مُقابل ما يملكه، فكيف بملك الملوك ومالكهم؟!

الدّليل الثّاني- عدم مُجانسته سبحانه لمخلوقاته

إنّ حاجتـنا لتـبادل الأسـماء والـصّفات فيما بيننا، ومجانسة وافتقار بعضنا للبعض الآخـر، هـي التـي دعتـنا إلى أن نُسمّي ونصف بعضنا بعضاً؛ وإلاّ لو كـان كُـلّ مـنّا مُـستغنياً عـن الآخـر، وغيـر مُجـانس لـه، لمـا احتجنا إلى هذه المُسمّيات، وهذه الصّفات.

وبمـا أنّ الله جلّـت قُدرتـه، مُنزّه عن مُجانسة مخلوقاته، ومستغنى عنهم، فهـو واحـد لا شـريك لـه فـي ذاته ولا عديل، وعليه فلا يحتاج إلى اسم ولا وصـف؛ لعـدم افـتقاره إلـى ذلـك، كمـا قـال تعالـى في كتابه العزيز: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١) وقال عزّ من قائل أيضاً: ﴿لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢) وأُنظر قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٣) وقال عزّ من

(١) الشّورى: ١١.
(٢) الأنعام: ١٦٣.
(٣) التّوبة: ٣١.

قائل أيضاً: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[(١)] وقال تعالى أيضاً: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[(٢)] وغيرها من الآيات المُباركات.

وجاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في دُعاء الصّباح، أنّه قال: "يا مَنْ دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مُجانسة مخلوقاته، وجلّ عن مُلائمة كيفيّاته"[(٣)].

فإذا كان سبحانه وتعالى هذا حاله، فهل يُمكن لأحد من خلقه أن يبلغ وصفه كما يستحقه؟!

لقد أوضح الإمام الحُسين عليه السلام هذا في دُعاء عرفه، بقوله: "كيف يُستدلّ عليك بما هو في وجوده مُفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظّهور ما ليس لك، حتّى يكون هو المُظهر لك؟! متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟! ومتى بعُدْت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟!"[(٤)].

إذاً، فعدم مُجانسته سبحانه دليل على استغنائه عن كُلّ شيء، وعدم إمكان وصفه بوصف، أو حدّه بحدّ؛ لأنّه عين الغنى، ومَا سواه عين الفقر، وهُما لا يستويان. قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[(٥)].

(١) التّوبة: ١٢٩.

(٢) الأنبياء: ٢٢.

(٣) بحار الأنوار: ٩١/ ٢٤٣.

(٤) المصدر السّابق: ٩٥/ ٢٢٦.

(٥) هُود: ٢٤.

فالوجود المحض غير الفناء المحض، والغنى المُطلق غير الفقر المُطلق، والفناء لا يبلغ الوجود والبقاء.

الدّليل الثّالث- عجز الغير عن إدراكه ووصفه سبحانه

لابدّ للواصف أن يكون إمّا بمرتبة الموصوف، أو أعلى مرتبة منه، لكي يصفه، وإلاّ لكان عاجزاً عن وصفه؛ لأنّ النّاقص لا يوازي الكامل، والعاجز لا يساوي القادر، كما ورد عن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام حيث قال: "الحمد لله الدّالّ على وجوده بخلقه، وبمُحدث خلقه على أزليّته، وباشتباههم على أن لا شبه له، لا تستلمه المشاعر، ولا تحجبه السّواتر؛ لافتراق الصّانع والمصنوع، والحادّ والمحدود، والرّبّ والمربوب"[1].

فقوله عليه السلام: "لا تستلمه المشاعر" أي، لا تصل إليه الحواس، كما هو الحال في ما بين المخلوقات.

فإنّ ما نتصوّره ونتعقّله فيه سبحانه، ما هو إلاّ من مخلوقاتنا ومصنوعاتنا التي تُقرّب لنا المعنى، فعندما نقول: الله سبحانه وتعالى واحد، لا نُريد بالواحد المعدود، وعندما نقول: الظّاهر، لا نعني به المرئي بالعين المُجرّدة، وإلاّ لو كان كذلك، لصار مخلوقاً مثلنا، ولكن نُريد به، كما قال أمير المؤمنينعليه السلام: "الأحد لا بتأويل عدد، والخالق لا بمعنى حركة ونَصَب، والسّميع لا بأداة، والبصير لا بتفريق آلة، والشّاهد لا بمُماسّة، والبائن لا بتراخي مسافة، والظّاهر لا برؤية،

(١) نهج البلاغة: ٢/ ٤٠، خُطبة، ١٥٢.

والباطن لا بلطافة"[١] لأنّه سبحانه هو الخالق لهذه الأوصاف وهذه الأشياء، والقادر عليها لا المقدور، وهو الرّبّ لها لا المربوب، ولهذا أصبحت خاضعة وراجعة إليه، تقدّس وتعالى عمّا يصفون.

ولهذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "بان من الأشياء، بالقهر لها، والقُدرة عليها، وبانت الأشياء منه، بالخُضوع له، والرّجوع إليه، مَنْ وصفه فقد حدّه، ومَنْ حدّه فقد عدّه، ومَنْ عدّه فقد أبطل أزله، ومَنْ قال كيف فقد استوصفه، ومَنْ قال أين فقد حيّزه، وعالم إذ لا معلوم، وربّ إذ لا مربوب، وقادر إذ لا مقدور"[٢].

فلا يُمكن إدراكه ووصفه سبحانه؛ لعجزنا عن ذلك.

ورد عن أبي هاشم الجعفري، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام أنّه قال: سألته عن الله هل يوصف؟ فقال: "أما تقرأ القُرآن؟! قُلت: بلى. قال: أما تقرأ قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[٣] قُلت: بلى. قال: فتعرفون الأبصار؟ قُلت: بلى. قال: ما هي؟ قُلت: أبصار العُيون، فقال: إنّ أوهام القُلوب أكبر من أبصار العُيون، فهو لا تُدركه الأوهام وهو يُدرك الأوهام"[٤].

وفي موضع آخر يُجيبه الإمام عليه السلام قائلاً: "يا أبا هاشم، أوهام القُلوب أدقّ من أبصار العُيون، أنت قد تُدرك بوهمك السّند والهند والبُلدان التي

---

(١) المصدر السّابق.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

(٤) الكافي: ١/ ٩٩، باب، في إبطال الرّؤيا، ح١٠.

لـم تـدخُلها، ولا تُـدركها ببـصرك، وأوهـام القُلـوب لا تُدركـه، فكـيف أبصار العُيون؟!"(١).

يقـول الإمـام الهـادي عليه السلام في ذلك، مُخاطباً الله سبحانه بقوله: "إلهي! تاهت أوهـام المُتوهّمـين، وقـصر طـرف الطّارفـين، وتلاشـت أوصـاف الواصـفين، واضـمحلّت أقاويـل المُبطلين، عن الدّرك لعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوّك، فأنـت فـي المكـان الـذي لا يتناهـى، ولـم تقـع علـيك عُيون بإشارة ولا عـبارة. هيهات ثمّ هيهات! يا أوّليّ، يا وحدانيّ، يا فردانيّ، شمخت في العلوّ بعزّ الكبر، وارتفعت من وراء كُلّ غورة ونهاية بجبروت الفخر"(٢).

فـإذا كـان الإنسان أو غيره عاجزاً في ذاته، مُفتقراً في نفسه وواقعه، فهل يُمكن له أن يصف، أو يُسمّي تلك الذّات المُقدّسة؟!

كـيف وهـو لـيس فـي طولها، ولا في عرضها، ولا في مرتبتها، بل ذليل حقيـر، كما وصفه خالقه سبحانه، بقوله: ﴿الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْـقَ الإِنْـسَانِ مِـنْ طِـينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾(٣) وكذلك قـوله تعالـى: ﴿أَلَـمْ نَخْلُقْكُـمْ مِـنْ مَـاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُـومٍ﴾(٤) ومعنـى المهـين، هـو الشّيء الحَقير(٥) وهو دليل على عدم المُقايسة بينه وبين الذّات المُقدّسة التي خلقته، فكيف يُمكنه وصفها أو تسميتها؟!

(١) المصدر السّابق: ح١١.
(٢) التّوحيد: ٦٦، ح١٩.
(٣) السّجدة: ٧ ـ ٨.
(٤) المُرسلات: ٢٠ ـ ٢٢.
(٥) راجع النّهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ١/ ٢٨١.

عدم الإحاطة بالذّات المُقدّسة

إنّ ما يُذكر في الكُتب السّماويّة، والصّحف الرّبّانيّة، من أوصاف له سبحانه، ما هي إلاّ بلحاظ مقام الفعل الشّريف، وبمقام لحاظ الحقيقة الأُولى الصّادرة منه، وبلحاظ اليد التي جعلها فوق كُلّ الأيدي، قال تعالى: ﴿إنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّه فَوْقَ أَيْديهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسه وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتيه أَجْراً عَظيماً﴾[١] وكذلك عندما يقول سبحانه: ﴿وَلِلَّه الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّه إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢] فوجه الله ليس كوجهنا، بل هذا الوجه هو الفعل والمَثل الأعلى، والمقام الأسمى، الذي نعني به الحقيقة المُحمّديّة المُثلى.

والدّليل على ذلك ما أشرنا إليه سابقاً، من قول أمير المؤمنين عليه السلام في دُعاء الصّباح، الذي يقول فيه: "يامَنْ دلّ على ذاته بذاته" لأنّه لو لم يكُن كذلك لكان مخلوقاً مصنوعاً، وهذا لا يجوز في حقّه سبحانه.

فلا يستطع أحد أن يقول: يا مَنْ دلّ على ذاته بغيره، أو بصفاته، أو بأسمائه؛ لأنّ ذاته سبحانه غير قابلة للمُقايسة مع غيره، ولاستلزامه النّقص، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وقد أشار إلى هذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "أوّل الدّين معرفته، وكمال معرفته التّصديق به، وكمال التّصديق به توحيده، وكمال توحيده

(١) الفتح: ١٠.
(٢) البقرة: ١١٥.

الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه؛ لشهادة كُلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كُلّ موصوف أنّه غير الصّفة"(١).

إذاً، فهو سبحانه، كما قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام ببعض أدعيته: "الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، يا هو، يا مَنْ هو هو، يا مَنْ ليس هو إلاّ هو، يا هو، يا مَنْ لا هو إلاّ هو"(٢).

وبهذا وبغيره قد ثبت أنّ الذّات المُقدّسة لله تعالى غير قابلة للوصف أوللرّسم، بل لايُمكن الإشارة إليها؛ لتنزّهها عن مُجانسة المخلوقات.

رؤية الله سبحانه وتعالى

يعتقد جُمهور العامّة، من أنّ رؤية الله سبحانه منفيّة في دار الدّنيا، ولكنّها ثابتة في الدّار الآخرة، وإلى ذلك ساقوا جُملة من الرّوايات، منها:

عن جرير بن عبد الله، قال: قال النّبيّ (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم): "إنّكم سترون ربّكم عياناً"(٣).

وهذا في الواقع لا يُمكن المصير إليه؛ لأنّه يستلزم المحال، فهو تجسيم وتشبيه، تعالى الله سبحانه عن ذلك علوّاً كبيراً.

عندما طلب نبيّ الله موسى (على نبيّنا وآله وعليه السّلام) من الله سبحانه وتعالى الرّؤية، جاءه الجواب بالنّفي، حيث قال تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٥، خُطبة: ١.
(٢) مكارم الأخلاق: ٢٤٦.
(٣) صحيح البُخاري: ٨/ ١٧٩.

لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

فقوله سبحانه: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ بمعنى لا تتمكّن من رؤيتي أبداً، ولكن اُنظر إلى هذا الجبل، فإن تمكّن من رؤيتي، فبإمكانك أن تراني أنت أيضاً، فلمّا تجلّى سبحانه بنوره قدرَ سَمِّ الخياط للجبل تلاشى واختفى من أمام موسى- كما سيأتيك بيانُه- فَسقط مغشيّاً عليه، ثمّ أفاق وتراجع عن طلبه؛ لعلمه المُسبق، بأنّه سبحانه لا يجوز عليه الرّؤية، وإنّما سأل ذلك عن جهل قومه، حين ألحّوا عليه بهذا الطّلب.

وقد أوضح ذلك الإمام الرّضا عليه السلام عندما سأله المأمون عن ذلك، حيث قال: "رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي"(٢).

مقام التّجلّي

إنّ هذه الرّؤية التي ظهرت للجبل، ليست هي رؤية ذات الله المُقدّسة، بل هي رؤية مقام النّور والصّفات، أو قُل مقام التّجلّي، كما يُعبّر عنه القُرآن الكريم في الآية المذكورة أعلاه.

وهذا التّجلّي المُعبّر عنه في القُرآن هو تجلّي النّور، أي ظهور نور الله، لا ذاته سبحانه، كما قال الشّيخ الصّدوق (أعلى الله مقامه): "أي،

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) عُيون أخبار الرّضا: ٢/ ١٧٨، ب١٥، جزء من ح١.

ظهر للجبل بآية من آياته، وتلك الآية نور من الأنوار التي خلقها"[(١)].

وهـذا التّفـسير من الشّيخ الصّدوق، مُقتبس من جواب الإمام الرّضاعليه السلام للمأمون العباسي، عندما عرض عليه بعض الأسئلة[(٢)].

فإن قُلتم: هذا تأويل منكم.

قُلنا: نعم، لا بدّ من ذلك؛ لأمرين:

الأمر الأوّل- الرّؤية القلبيّة

ورد عـن أهـل بـيت العـصمة والطّهـارةعليهم السلام وجوب التّأويل؛ وذلك من خـلال الإمعـان فـي أحاديـثهم، حيـث قـال الإمـام الـصّادقعليه السلام: "سُئل أمير المؤمنـينعليه السلام فقـيل لـه: يـا أخـا رسـول الله، هـل رأيت ربّك؟ فقال: وكيف أعبد مَنْ لم أره؟! لم تره العُيون بمُشاهدة العيان، ولكن رأته القُلوب بحقائق الإيمـان، وإذا كـان المؤمن يرى ربّه بمشاهدة البصر، فإن كان مَنْ جاز عليه البـصر والـرّؤية فهـو مخلـوق، ولابـدّ للمخلـوق مـن الخالـق، فقـد جعلته إذاً مُحـدثاً مخلـوقاً، ومَـنْ شـبهه بخلقـه فقـد اتّخـذ مع الله شريكاً، ويلهم أوَ لم يـسمعوا بقـول الله تعالـى: ﴿لا تُدْرِكُـهُ الأَبْـصَارُ وَهُـوَ يُـدْرِكُ الأَبْـصَارَ وَهُـوَ اللَّطِـيفُ الْخَبِيـرُ﴾[(٣)] وقـوله: ﴿لَـنْ تَرَانِـي وَلَكِـنِ انْظُـرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾"[(٤)].

---

(١) التّوحيد: ١١٩.

(٢) راجع عُيون أخبار الرّضا: ٢/ ١٧٤ ـ ١٨٢، ب١٥، ح١.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

(٤) كفاية الأثر: ٢٦٢.

الأمر الثّاني- مُقتضيات العقل

حيث إنّ العقل يحكُم بأنّ الخالق غير المخلوق، وإلاّ لكان سبحانه مُجسّماً ومُشبّهاً بغيره، وهو محال عليه تعالى عن ذلك.

ويؤيّد ما ذكرنا قول الفخر الرّازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(١) ردّاً على قول الذين يقولون بإثبات اليد له سبحانه، حيث قال: "واعلم، أنّ الكلام في إبطال هذا القول مبني على أنّه تعالى ليس بجسم، والدّليل عليه: إنّ الجسم لا ينفك عن الحركة والسّكون، وهما مُحدثان، وما لا ينفك عن المُحدث فهو مُحدث؛ ولأنّ كُلّ جسم فهو مُتناه في المقدار، وكُلّ ما كان مُتناهياً في المقدار فهو مُحدث، ولأنّ كُلّ جسم مؤلّف من الأجزاء، وكُلّ ما كان كذلك كان قابلاً للتّركيب والانحلال، وكلّ ما كان كذلك افتقر إلى ما يُركّبه ويؤلّفه، وكُلّ ما كان كذلك فهو مُحدث، فثبت بهذه الوجوه أنّه يمتنع كونه تعالى جسماً، فيمتنع أن تكون يده عضواً جسمانيّاً"(٢).

ومعنى قوله هذا، أنّنا لابدّ أن نؤوّل كلمة (اليد، والوجه) وغيرهما إلى ما يُناسبها، كالقوّة والنّور وما إلى ذلك.

مظهر صفات الحقّ سبحانه

وبما أنّ الذّات المُقدّسة لا يُمكن معرفة كُنهها، فلابدّ لنا من واسطة

(١) الفتح: ١٠.

(٢) تفسير الرّازي: ١٢/ ٤٢.

تُعرّفنا بتلك الذّات، وتدلّنا عليها، دلالة إثباتيّة لها، نافية عنها كُلّ الحُدود والأوصاف، كما ورد عن محور المعرفة، وقُطب العلم، صادق آل مُحمّد عليه السلام بقوله: "لم أحدّه ولكن أُثبته" فتفهم السرّ...

وهذه الواسطة هي مقام الفعل، أو مقام النّور الأوّل، الذي منه خُلقت الموجودات الأخرى، كما لابدّ لهذا النّور أن يكون المثل الأعلى الجامع لكُلّ الصّفات التي أعطاها سبحانه لبقيّة مخلوقاته، بحيث لا ترى فيه عِوجاً ولا أمتاً.

وهذا المثل الأعلى الجامع لكُلّ الصّفات، يُعبّر تعبيراً تقريبيّاً لا تجسيديّاً، عن جلاله وكماله سبحانه، ومن خلال التّوجه إليه نعرف الحقّ سبحانه وتعالى، وقد تمثّل المثل الأعلى بالنّبيّ المُصطفى صلى الله عليه وآله وبأهل بيته الطّيبين الطّاهرين عليهم السلام كما أوضح ذلك الإمام أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام في إحدى خُطبه في يوم الجمعة، والذي اتّفق فيه مُناسبة عيد الغدير قائلاً، بعد الحمد والثّناء عليه سبحانه: "وأشهد أنّ مُحمّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، استخلصه في القدم، على سائر الأمم، على علم منه، انفرد عن التّشاكل والتّماثل من أبناء الجنس، وانتجبه آمراً وناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه، إذ كان لا تُدركه الأبصار، ولا تحويه الأفكار، ولا تمثّله غوامض الظّنون والأسرار، لا إله إلاّ هو الملك الجبّار، قرن الاعتراف بنبوّته بالاعتراف بإلوهيّته، واختصّه من تكريمه وخلّته، إذ لا يختصّ مَنْ يشوبه التّغيير، ولا يُخالل مَنْ يلحقه التّظنين، وأمر بالصّلاة عليه مزيداً في تكريمه بما لم يلحقه فيه أحد من بريّته، فهو أهل ذلك بخاصّته، وجعله طريقاً للدّاعي إلى

إجابته، فصلّى الله عليه وكرّم وشرّف وعظّم مزيداً لا يلحقه التّنفيد، ولا ينقطع على التّأبيد، وإنّ الله اختصّ لنفسه بعد نبيّهﷺ من بريّته خاصّة، علاّهم بتعليته، وسَما بهم إلى رتبته، وجعلهم الدّعاة بالحقّ إليه، والأدلاّء بالإرشاد عليه؛ لقرن قرن، وزمن زمن، أنشأهم في القِدم قبل كُلّ مذروء ومبروء، أنواراً أنطقها بتحميده، وألهمها بشكره وتمجيده، وجعلها الحُجج على كُلّ مُعترف له بملكة الرّبوبيّة، وسلطان العبوديّة، واستنطق بها الخرسات بأنواع اللّغات؛ بخوعاً له بأنّه فاطر الأرضين والسّماوات، وأشهدهم على خلقه، وولاّهم ما شاء من أمره، وجعلهم تراجمة مشيّته، وألسن إرادته، عبيداً لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون"[(١)].

فبهذا المثل الأعلى، ظهرت صفات الحقّ سبحانه وتعالى لبقيّة مخلوقاته؛ لأنّه هو النّور الأوّل، الذي يستنير به بقيّة الخلق.

فضل النّبيّ والأئمة عليهم السلام

وقد أشار القُرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهداً وَمُبَشّراً وَنَذيراً وَدَاعياً إِلَى اللَّه بِإِذْنه وَسرَاجاً مُنيراً﴾[(٢)] فالنّبيّﷺ سراج مُنير بذاته ومُستنير به غيره، سراج ينير للخلق طريق الحقّ، وهُم يستنيرون به للوصول إلى الحقّ سبحانه، وهذا دليل على عظمة الرّسول الأكرمﷺ عند الله تعالى، وأنّه أفضل خلقه، من الأوّلين والآخرين.

---

(١) المُصباح للكفعمي: ٦٩٦.
(٢) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

ورد في الحديث الشّريف، عن الإمام عليّ بن موسى الرّضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن مُحمّد، عن أبيه مُحمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحُسين، عن أبيه الحُسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي، ولا أكرم عليه منّي. قال عليّ عليه السلام فقُلت: يا رسول الله، فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا عليّ، إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المُرسلين على ملائكته المُقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمُرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمّة من بعدك"(١).

ثمّ يوضّح صلى الله عليه وآله في نفس الحديث الشّريف، بأنّهم هم الذين عرّفوا الملائكة توحيد الله وتسبيحه، وتهليله وتحميده وتمجيده؛ لهذا اختارهم من بين خلقه أنواراً يُستضاء بهم، للوصول إليه سبحانه.

كما خصّهم سبحانه وتعالى بمزايا ودلائل كثيرة، تختلف عن بقية خلقه سبحانه، علماً منه بشأنهم.

دلائل الإمامة

نُقل عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: "إنّ للإمام عشرة دلائل:

أوّلها- إنّه يولد مختوناً.

وثانيها- أوّل ما يقع على الأرض ينظر إلى السّماء، ويشهد الشّهادتين.

وثالثها- على عضده الأيمن مكتوب: وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً، لا مُبدّل لكلماته، وهو السّميع العليم.

(١) علل الشّرائع: ١/ ٥ ـ ٧.

ورابعها- إنّه لا يتمطّى.

وخامسها- إنّه لا يتثائب.

وسادسها- إنّه لا يحتلم أبداً، والشّيطان لا يقربه.

وسابعها- إنّ رائحة نجوه مثل المسك، والأرض تستره بابتلاعه كُلّه.

وثامنها- إنّه لا يكون له ظلّ إذا قام في الشّمس؛ لأنّه نور من النّور، ليس له ظلّ.

وتاسعها- إنّه يختم على الحجر مثل ما كان يفعل آباؤه.

وعاشرها- إنّه يكون مُستجاب الدّعوة"[(١)].

نُقل عن أبي هريرة، أنّه قال: "إنّ رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) قال: هل ترون قبلتي ههنا، فو الله، ما يخفى عليّ خُشوعكم ولا رُكوعكم، إنّي لأراكم من وراء ظهري"[(٢)].

وقد تردّد ابن حجر في هذا الحديث، قائلاً: "وظاهر الحديث، أنّ ذلك يختصّ بحالة الصّلاة، ويُحتمل أن يكون ذلك واقعاً في أحواله جميعاً، وقد نُقل ذلك عن مُجاهد، وحكى تقي بن مُخلد، أنّه (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) كان يُبصر في الظّلمة، كما يُبصر في الضّوء"[(٣)].

وقد ردّه المناوي، بعد أن ذكر قوله، مُضيفاً إلى ذلك أنّه ﷺ لا ظلّ له، حيث قال: "وكلام جمع المُتقدّمين مُصرّح بالعُموم؛ ألا ترى إلى قول

(١) الخرائج والجرائح للرّاوندي: ٢/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠.

(٢) مُسند أحمد: ٢/ ٢٧٥، صحيح مُسلم: ٢/ ٢٧.

(٣) فتح الباري لابن حجر: ١/ ٤٣١.

المطامح وغيرها، إنّه كان يُبصر من خلفه؛ لأنّه كان يرى من كُلّ جهة؛ من حيث كان نوراً كُلّه، وهذا من عظيم مُعجزاته؛ ولهذا كان لا ظلّ له، لأنّ النّور الذي أفيض عليه، منع من حُجب الظّلمة، وقد كان يدعو بسبعة عشر نوراً، فبهذه الأنوار أبصر من كُلّ جهة؛ ولذلك تجلّت له الجنّة في الجدار؛ لفقد الحُجب، وزاد لفظ الظّهر، ولم يكتف بقوله وراء؛ لأنّ وراء يُراد به تارة خلف وتارة أمام، فإذا قُلت: زيد ورائي، صحّ أن يُراد في المكان الذي أواريه أنا بالنّسبة لمَنْ خلفي، فيكون أمامي، أو يُراد في المحلّ الذي هو متوارٍ عنّي، فيكون خلفي.

وقال الحرّاني: وراء: ما لا يناله الحسّ ولا العلم، حيثما كان من المكان، فربّما اجتمع أن يكون الشّيء وراء، من حيث كونه لا يعلم، وأماماً في المكان.

وقال القاضي: وراء: في الأصل مصدر، جُعل ظرفاً يُضاف للفاعل، ويُراد به، ما يُتوارى وهو خلفه. وللمفعول، ويُراد به، ما يواريه وهو قدّامه؛ ولهذا عُدّ من الأضداد"(١).

ويؤيّد ما ذكره المناوي، بأنّه ﷺ لا ظلّ له، ما ذكره الطّبري الشّيعي، في كتابه (المُسترشد) حيث قال: "إنّ أبا جعفر، يعني الطّبري، صاحب كتاب التّاريخ، قال: رأيت الحسن بن عليّ عليه السلام يمشي في أسواق سرّ مَنْ رأى، ولا ظلّ له"(٢).

(١) فيض القدير في شرح الجامع الصّغير للمناوي: ١/ ١٨٩.
(٢) المُسترشد: ٢٩.

السّرّ في أنّهم عليهم السلام لا ظلّ لهم

حيث إنّ سنخ وجودهم يختلف عن سنخ وجود الموجودات الأخرى، وهذا الأمر هو خرق لطبيعة خلق الموجودات؛ حيث خُلق معها ظلّها، كما علّل ذلك السيّد المُستنبط قدس سره في كتابه (القطرة من بحار العترة) بقوله: بأنّ سنخه صلى الله عليه وآله سنخ هيئة أو شكل؛ فهو عين النّور، وبما أنّه عين النّور، فالنّور بما هو نور لا ظلّ له، وإنّما الظّلّ يحدث به لغيره، ثمّ إنّ النّور، يستنير به غيره لا نفسه.

وقد ذكر الشّيخ مُحمّد حُسين الكُمباني الأصفهاني قدس سره في قصيدته التي يمدح بها سيّد الشّهداء عليه السلام بأنّه سبحانه، قد تجلّى في حضرة الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله على أكمل وجه، حيث يقول[1]:

لقد تجلّى أعظم المجالي	في الذّات والصّفات والأفعال
روح الحقيقة المُحمّديّة	عقل العُقول الكُمّل العليّة
فيض مُقدّس عن الشّوائب	مُفيض كُلّ شاهد وغائب
تنفّس الصّبح بنور لم يزل	بل هو عند أهله صبح الأزل
وكيف وهو النّفَس الرّحماني	في نفس كُلّ عارف ربّاني
به قوام الكلمات المُحكمة	به نظام الصّحف المُكرّمة

إلى أن قال:

ونار موسى قبس من نوره	بل كُلّ ما في الكون من ظهوره

(١) شرح إحقاق الحقّ: ٣٣/ ٥٧١.

الحُجّة على الخلق

النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله هو الحُجّة على الخلق، ويتلوه أهل بيته الطّيبون الطّاهرون عليهم السلام الذين خصّهم الله تعالى في كتابه الحكيم، حيث قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾(١) وغيرها من الآيات الكريمة.

وقد عرّف رسول الله صلى الله عليه وآله خُلفاءه بأسمائهم، وإنّ قصّة اللّوح الذي وجده جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه) في يد الزّهراء عليها السلام وفيه أسماؤهم مشهورة (٢).

كما أنّ هُناك روايات كثيرة، أكّد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله على خُلفائه من بعده، من أجل أن لا تزلّ قدم الأمّة بعد ثُبوتها، منها: ما رواه الشّيخ الكُليني (طاب ثراه) بالسّند الصّحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: "الحُجّة قبل الخلْق ومع الخلْق وبعدَ الخلْق"(٣).

الواسطة في الخلق

إنّ النّبيّ المُصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطّاهرين عليهم السلام هُم الواسطة بين الخلق والخالق سبحانه وتعالى، كما هو الحال في المثال السّابق، الذي ضربناه في خلق الطّير، حيث إنّ اليد هي الواسطة بين خلق الطّير، وبين الذّات التي صدر منها أمر الخلق.

---

(١) الأنبياء: ٧٣.

(٢) راجع الكافي: ١/ ٥٢٧، باب، ما جاء في الأئمة الإثني عشر، والنّصّ عليهم، ح٣.

(٣) الكافي: ١/ ١٧٧، باب، أنّ الحُجّة لا تقوم لله إلاّ بإمام .

فاليد هي التي قامت بالفعل، والذّات هي التي أصدرت أمر ذلك الفعل، فنتج من الفعل وأمره أثر في الخارج، هو الطّير.

ومثال أوضح: عندما يُذكر الله تعالى، فاللّسان هو الواسطة بين الذّات التي أصدرت للّسان أمر النّطق، في ذلك الذّكر ففعل، واللفظ الخارج منه، هو الأثر لذلك الفعل.

فالنّبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطّيّبون الطّاهرون عليهم السلام هُم الواسطة بين الذّات المُقدّسة، التي تُصدر الأمر في خلق الشّيء، والأثر الخارجي، الذي هو الشّيء، وهذه الواسطة، هي التي تقوم بعملية المُباشرة للموجودات، وإعدادها وتهيئتها وتربيتها.

وقد أشار القُرآن الكريم إلى ذلك، في سورة النّازعات، بقوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾[1] وقد فُسّرت (الْمُدَبِّرَات) بالملائكة تارة، وبالأفلاك أخرى، كما هو ظاهر تفسير السيّد الطّباطبائي قدس سره حيث قال: "بأنّ الملائكة لا شُغل لهم، إلاّ التّوسّط بينه تعالى وبين خلقه، بإنفاذ أمره فيهم"[2].

نقول: إذا كانت الملائكة وسائط بين الخالق والخلق، فما هو دور مَنْ خُلقت الملائكة، بل الكون كُلّه من نورهم ولأجلهم عليهم السلام؟! ألا يكون من باب أولى، أن يكونوا هم الوسائط بينه سبحانه وبين خلقه؟

جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

(١) النّازعات: ٥.

(٢) راجع تفسير الميزان: ٢٠/ ١٨٢ ـ ١٨٣ تفسير سورة النّازعات، تحت عنوان: الكلام في أنّ الملائكة وسائط في التّدبير.

للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾(١) أنّه قالﷺ: "أوّل ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقُدرة، حتّى وصل إلى جلال العظمة، في ثمانين ألف سنة، ثمّ سجد لله تعظيماً، ففتق منه نور عليّ، فكان نوري مُحيطاً بالعظمة، ونور عليّ مُحيطاً بالقُدرة، ثمّ خلق العرش واللّوح، والشّمس وضوء النّهار، ونور الأبصار والعقل، والمعرفة وأبصار العباد، وأسماعهم وقُلوبهم من نوري، ونوري مُشتق من نوره، فنحن الأوّلون، ونحن الآخرون، ونحن السّابقون، ونحن المُسبّحون، ونحن الشّافعون، ونحن كلمة الله، ونحن خاصّة الله، ونحن أحبّاء الله، ونحن وجه الله، ونحن جنب الله، ونحن يمين الله، ونحن أمناء الله، ونحن خزنة وحي الله، وسدنة غيب الله، ونحن معدن التّنزيل، ومعنى التّأويل، وفي أبياتنا هبط جبرئيل، ونحن محال قُدس الله، ونحن مصابيح الحكمة، ونحن مفاتيح الرّحمة، ونحن ينابيع النّعمة، ونحن شرف الأمّة، ونحن سادة الأئمّة، ونحن نواميس العصر، وأحبار الدّهر، ونحن سادة العباد، ونحن ساسة البلاد، ونحن الكفاة والولاة، والحُماة والسّقاة، والرّعاة وطريق النّجاة، ونحن السّبيل والسّلسبيل، ونحن النّهج القويم والطّريق المُستقيم، مَنْ آمن بنا آمن بالله، ومَنْ ردّ علينا ردّ على الله، ومَنْ شكّ فينا شكّ في الله، ومَنْ عرفنا عرف الله، ومَنْ تولّى عنّا تولّى عن الله، ومَنْ أطاعنا أطاع الله، ونحن الوسيلة إلى الله، والوصلة إلى رضوان الله، ولنا العصمة والخلافة والهداية، وفينا النّبوّة

(١) آل عمران: ١١٠.

والـولاية والإمامـة، ونحـن معـدن الحكمة، وباب الرّحمة، وشجرة العصمة، ونحـن كلمـة التّقوى، والمثل الأعلى، والحُجّة العُظمى، والعُروة الوثقى التي مَنْ تمسّك بها نجا"[١].

وهذه الواسطة هي التي نُعبّر عنها بمقام الفعل، أو مقام المشيئة.

معنى المشيئة ومقامها الشّامخ

وللمشيئة معنيان:

المعنى الأوّل- هي ما يتشيّأ بها الشّيء

أي، يصير بها شيئاً، فهي التي تُخرج الشّيء من العدم إلى الوجود، فهي تُـشَيّأ الـشّيء، فالـشّيء لم يكُن شيئاً في العدم، ولكنّه أصبح شيئاً في الوجود بواسطة المشيئة.

قـال تعالى في سورة الإنسان: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُـنْ شَـيْئاً مَذْكُـوراً﴾[٢] أي، قـد مرّت على الإنسان فترة من الزّمن لم يكُن موجـوداً بالفعـل، فهو حادث يحتاج في وجوده إلى مُحدث يُحدثه، وصانع يصنعه، وخالق يخلقه[٣].

المعنى الثّاني- ما تتجلّى وتكون بها الإشاءة والإرادة

أي، ما يتحقّق بها الشّيء، وتكون الواسطة للإتيان به.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٢ ـ ٢٣، ح٣٨.
(٢) الإنسان: ١.
(٣) تفسير الميزان: ٢٠/ ١٢١.

بمعنى آخر، المشيئة: هي محلّ الإرادة، فكلمة (كُن) في قوله تعالى: ﴿كُن فيكون﴾ تعني المشيئة والإشاءة، فبمشيئته كانت الإرادة، أي، أنّ الإرادة مُتأخّرة عن المشيئة، كما ورد ذلك في الحديث الشّريف، عن المُعلى بن مُحمّد، قال: "سُئل العالمعليه السلام: كيف علم الله؟ قال: عَلِم وشاء وأراد، وقدّر وقضى وأمضى، فأمضى ما قضى، وقضى ما قدّر، وقدّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التّقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، والعلم مُتقدّم على المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتّقدير واقع على القضاء بالإمضاء"(١).

خلق الأشياء بالمشيئة

مقام الفعل في الواقع هو مقام المشيئة، والدّليل على ذلك ما رواه الشّيخ الكُليني (أعلى الله مقامه) بالسّند الصّحيح، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عُمير، عن عمر بن أُذينة، عن الإمام الصّادقعليه السلام قال: "خلق الله المشيئة بنفسها، وخلق الأشياء بالمشيئة"(٢).

أي، كانت الأشياء معدومة فصارت بالمشيئة موجودة، فالمشيئة هي الواسطة والفعل لتحقيق ما يكون له الوجود، وتلبّس بحُلّته.

وقد ورد في الحديث الشّريف، عن صفوان بن يحيى، قال: سألني أبو قرّة المُحدّث، صاحب شبرمة، أن أدخله على أبي الحسن الرّضاعليه السلام فاستأذنه،

---

(١) الكافي: ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩، باب، البداء، ح١٦.

(٢) المصدر السّابق: ١/ ١١٠، باب، الإرادة أنّها من صفات الفعل وسائر الأسماء، ح٤.

فأذن له، فدخل فسأله عن أشياء من الحلال والحرام، والفرائض والأحكام، حتّى بلغ سؤاله إلى التّوحيد، فقال له: "أخبرني جعلني الله فداك! عن كلام الله لموسى، فقال: الله أعلم بأيّ لسان كلّمه؛ بالسّريانيّة أم بالعبرانيّة.

فأخذ أبو قرّة بلسانه، فقال: إنّما أسألك عن هذا اللّسان! فقال أبو الحسن: سُبحان الله عمّا تقول! ومعاذ الله أن يشبه خلقه، أو يتكلّم بمثل ما هم به مُتكلّمون! ولكنّه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، ولا كمثله قائل ولا فاعل.

قال: كيف ذلك؟ قال: كلام الخالق لمخلوق، ليس ككلام المخلوق لمخلوق، ولا يلفظ بشقّ فم ولسان، ولكن يقول له: كن، فكان بمشيته، ما خاطب به موسى عليه السلام من الأمر والنّهي، من غير تردّد في نفس.

فقال أبو قرّة: فما تقول في الكُتب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: التّوراة والإنجيل والزّبور والفُرقان، وكُلّ كتاب أنزل كان كلام الله، أنزله للعالمين نوراً وهُدى، وهي كُلّها مُحدثة، وهي غير الله، حيث يقول: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾[(١)] وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[(٢)] والله أحدث الكُتب كُلّها الذي أنزلها.

فقال أبو قرّة: فهل تُفنى؟ فقال أبو الحسن: أجمع المُسلمون، على أنّ ما سوى الله فان، وما سوى الله فعل الله، والتّوراة والإنجيل والزّبور والفُرقان فعل الله، ألم تسمع النّاس يقولون: ربّ القُرآن، وأنّ القُرآن يقول يوم

(١) طه: ١١٣.
(٢) الأنبياء: ٢.

القيامة: يا ربّ! هذا فُلان، وهو أعرف به منه، قد أظمأت نهاره، وأسهرت ليله، فشفّعني فيه، وكذلك التّوراة والإنجيل والزّبور، وهي كُلّها مُحدثة، مربوبة، أحدثها مَنْ ليس كمثله شيء، هُدى لقوم يعقلون، فمَنْ زعم أنّهنّ لم يزلنَ معه، فقد أظهر، أنّ الله ليس بأوّل قديم ولا واحد، وأنّ الكلام لم يزل معه وليس له بدء، وليس بآله.

قال أبو قرّة: وإنّا روينا أنّ الكُتب كُلّها تجيء يوم القيامة، والنّاس في صعيد واحد، صفوف قيام لربّ العالمين، ينظرون حتّى ترجع فيه؛ لأنّها منه، وهي جزء منه، فإليه تصير.

قال أبو الحسن عليه السلام: فهكذا قالت النّصارى في المسيح، إنّه روحه، جزء منه، ويرجع فيه، وكذلك قالت المجوس في النّار والشّمس، إنّهما جزء منه، ترجع فيه، تعالى ربّنا أن يكون مُتجزّياً، أو مُختلفاً، وإنّما يختلف ويأتلف المُتجزّي؛ لأنّ كُلّ مُتجزّي مُتوهم، والكثرة والقلّة مخلوقة، دالّة على خالق خلقها.

فقال أبو قرّة: فإنّا روينا، أنّ الله قسّم الرّؤية والكلام بين نبيّين؛ فقَسَمَ لموسى عليه السلام الكلام، ولمُحمّد صلى الله عليه وآله الرّؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: فمَنْ المُبلّغ عن الله إلى الثّقلين؛ الجن والإنس، أنّه لا تُدركه الأبصار، ولا يُحيطون به علماً، وليس كمثله شيء. أليس مُحمّد صلى الله عليه وآله؟!

قال: بلى.

قال أبو الحسن: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً، فيخبرهم أنّه

جاء من عند الله، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: أنّه لا تُدركه الأبصار، ولا يُحيطون به علماً، وليس كمثله شيء، ثمّ يقول: أنّا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر، أما تستحيون؟! ما قدرت الزّنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون أتى عن الله بأمر، ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر.

فقال أبو قرّة: إنّه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾(١).

فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى، حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾(٢) يقول: ما كذب فؤاد مُحمّد صلى الله عليه وآله ما رأت عيناه، ثمّ أخبر بما رأت عيناه، فقال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾(٣) فآيات الله غير الله، وقال: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾(٤) فإذا رأته الأبصار، فقد أحاط به العلم، ووقعت المعرفة.

فقال أبو قرّة: فتكذّب بالرّواية؟!

فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الرّواية مُخالفة للقُرآن كذّبتها، وما أجمع المُسلمون عليه، إنّه لا يُحاط به علماً، ولا تُدركه الأبصار، وليس كمثله شيء.

وسأله عن قول الله: ﴿سُبْحَانَ الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى

(١) النّجم: ١٣.
(٢) المصدر السّابق: ١١.
(٣) النّجم: ١٨.
(٤) طه: ١١٠.

﴿الْمَسْجِد الأَقْصَى﴾[١] فقال أبو الحسن عليه السلام: قد أخبر الله تعالى، أنّه أُسرى به، ثمّ أخبر أنّه لمَ أُسري به؟ فقال: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾[٢] فآيات الله غير الله، فقد أعذر، وبيّن لمَ فعل به ذلك، وما رآه؟ وقال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[٣] فأخبر أنّه غير الله.

فقال أبو قرّة: أين الله؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: الأين مكان، وهذه مسألة شاهد عن غايب، فالله تعالى ليس بغائب، ولا يقدمه قادم، وهو بكُلّ مكان موجود، مُدبّر صانع، حافظ، مُمسك السّماوات والأرض.

فقال أبو قرّة: أليس هو فوق السّماء، دون ما سواها؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: هو الله في السّماوات وفي الأرض، وهو الذي في السّماء إله، وفي الأرض إله، وهو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء، وهو معكم أينما كُنتم، وهو الذي استوى إلى السّماء وهي دُخان، وهو الذي استوى إلى السّماء فسوّاهن سبع سماوات، وهو الذي استوى على العرش، قد كان ولا خلق، وهو كما كان، إذ لا خلق، لم ينتقل مع المُنتقلين.

فقال أبو قرّة: فما بالكم إذ دعوتم رفعتم أيديكم إلى السّماء؟!

فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله استعبد خلقه بضُروب من العبادة، ولله مفازع يفزعون إليه ومُستعبد، فاستعبد عباده بالقول، والعلم، والعمل،

(١) الإسراء: ١.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) الجاثية: ٦.

والتّوجّه ونحو ذلك، استعبدهم بتوجيه الصّلاة إلى الكعبة، ووجّه إليها الحجّ والعُمرة، واستعبد خلقه عند الدّعاء والطّلب والتّضرّع ببسط الأيدي ورفعها إلى السّماء؛ لحال الاستكانة وعلامة العُبوديّة والتّذلّل له.

قال أبو قرّة: فمَنْ أقرب إلى الله الملائكة أو أهل الأرض؟

قال أبو الحسن عليه السلام: إن كُنت تقول بالشّبر والذّراع، فإنّ الأشياء كُلّها باب واحد، هي فعله، لا يشتغل ببعضها عن بعض، يُدبّر أعلى الخلق من حيث يُدبّر أسفله، ويُدبّر أوّله من حيث يُدبّر آخره، من غير عناء ولا كُلفة، ولا مُؤنة ولا مُشاورة ولا نصب، وإن كُنت تقول، مَنْ أقرب إليه في الوسيلة، فأطوعهم له، وأنتم تروون أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد، ورويتم أنّ أربعة أملاك التقوا؛ أحدهم من أعلى الخلق، وأحدهم من أسفل الخلق، وأحدهم من شرق الخلق، وأحدهم من غرب الخلق، فسأل بعضهم بعضاً، فكُلّهم قال: من عند الله أرسلني بكذا وكذا، ففي هذا دليل على أنّ ذلك في المنزلة، دون التّشبيه والتّمثيل.

فقال أبو قرّة: أتقرّ أنّ الله محمول؟

فقال أبو الحسن: كُلّ محمول مفعول، ومُضاف إلى غيره محتاج، فالمحمول اسم نقص في اللفظ، والحامل فاعل، وهو فاعل، وهو في اللفظ ممدوح، وكذلك قول القائل: فوق، وتحت، وأعلى، وأسفل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[1] ولم يقُل في شيء من كُتبه أنّه محمول، بل هو الحامل في البر والبحر، والمُمسك للسّماوات والأرض،

(١) الأعراف: ١٨٠.

والمحمول ما سوى الله، ولم نسمع أحداً آمن بالله، وعظّمه قطّ، قال في دعائه: يا محمول؟!.

قال أبو قرّة: أفتكذّب بالرّواية، إنّ الله إذا غضب يعرف غضبه الملائكة الذين يحملون العرش، يجدون ثقله في كواهلهم، فيخرّون سُجّداً، فإذا ذهب الغضب، خفّ، فرجعوا إلى مواقفهم؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى، مُنذ لعن إبليس إلى يومك هذا، وإلى يوم القيامة، فهو غضبان على إبليس وأوليائه، أو عنهم راض؟ فقال: نعم، هو غضبان عليه.

قال: فمتى رضي فخفّ، وهو في صفتك، لم يزل غضباناً عليه وعلى أتباعه؟ ثمّ قال: ويحك! كيف تجترئ أن تصف ربّك بالتّغيّر من حال إلى حال، وأنّه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟! سبحانه لم يزل مع الزّائلين، ولم يتغيّر مع المّتغيّرين.

قال صفوان: فتحيّر أبو قرّة، ولم يحر جواباً، حتّى قام وخرج"[(١)].

هذا الحوار يدور حول التّأكيد على وجود مقام الفعل والمشيئة لتحقّق الأشياء؛ لهذا أوّل ما سأل أبو قرّة عن كلام الله تعالى مع موسى ما هو؟ هل هو كما يتحاور به النّاس بعضهم البعض، أم هو شيء مُختلف؟

فكان جواب الإمام الرّضا عليه السلام استدراجيّاً له؛ لما يعلمه من عدم تحمّله للجواب الواقعي مُباشرة؛ ولهذا قال الإمام عليه السلام في جوابه: الله أعلم بأيّ لسان

(١) الاحتجاج: ٢/ ١٨٤ ـ ١٨٩.

كلّمه؛ بالسّريانيّة أم بالعبرانيّة، ثمّ تتابعت الأسئلة من أبي قرّة، والأجوبة من الإمام عليه السلام مُبيّناً له حقيقة ما توهّمه، ووصفه تعالى بالتّغيّر من حال إلى حال، كما هو حال المخلوقات؛ لهذا وبّخ الإمام الرّضا عليه السلام أبا قرّة بقوله، كما في الرّواية أعلاه: ويحك! كيف تجترئ أن تصف ربّك بالتّغيّر من حال إلى حال، وأنّه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟! سبحانه لم يزل مع الزّائلين، ولم يتغيّر مع المُتغيّرين.

ثمّ إنّه لو كان ما ذكره أبو قرّة، وما افتراه على الله سبحانه وتعالى وعلى أنبيائه عليهم السلام صدقاً، فمَنْ المُبلّغ عن الله تعالى أنّه لا تُدركه الأبصار، وأنّه ليس كمثله شيء، وأنّه سبحانه لا يُحيطون به علماً؟!

ثمّ إنّه يلزم التّناقض في أقوال وأفعال الأنبياء، حيث يدّعون أنّهم رُسله إلى خلقه، ثُمّ يقولون أنّنا رأيناه تعالى، وفي الكُتب التي جاءوا بها، يقولون ليس كمثله شيء، وأنّه سبحانه لا يُرى، فحاشاه سبحانه! أن يكون كذلك، وحاشا رُسله وأنبيائه أن تقول ذلك!

وقد أشار إلى كُلّ ذلك الإمام الرّضا عليه السلام في الرواية أعلاه، حيث قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً، فيخبرهم أنّه جاء من عند الله، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: أنّه لا تُدركه الأبصار، ولا يُحيطون به علماً، وليس كمثله شيء، ثمّ يقول: أنّا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر، أما تستحيون؟! ما قدرت الزّنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون أتى عن الله بأمر، ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر.

فمَنْ يقول بهذا الافتراء على الله تعالى ورسله، فهو إلاّ زنديق كافر

مُلحد، قد استوجب عذاب الله تعالى، والخُلود في الجحيم.

وقد أوضح الإمام الرّضاعليه السلام ذلك، نافياً ما تدّعيه الزّنادقة، وأنّهم غير قادرين على رميّ رسوله الكريمصلى الله عليه وآله بما يفترون، حيث قال: ما قدرت الزّنادقة أن ترميه بهذا.

فإذا كانوا غير قادرين على رميّ رسول اللهصلى الله عليه وآله فمن باب أولى أنّهم غير قادرين على مَنْ خلق رسول الله!.

لذا نرى أبا قُرّة قد عجز وتحيّر، ولم يجد ما يردّ به على الإمامعليه السلام إلاّ أن يقوم من مجلسه ويخرج، وكأنّه ألقم حجراً في فيه.

وهذا العجز من أبي قُرّة، دليل على المعرفة، بل لكُلّ إنسان حاله، كحال أبي قُرّة، في معرفة ذات الله تعالى، هو العجز عن معرفتها.

وقد أشار إلى ذلك الإمام زين العابدينعليه السلام في دعائه، مُناجاة العارفين، حيث قال: "ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك، إلاّ بالعجز عن معرفتك"[1].

إذاً، قد تبيّن من أجوبة الإمام الرّضاعليه السلام لأبي قرّة، وغيرها، بأنّ مقام الذّات غير مقام الفعل.

الوصف بوصفين دليل الفعليّة

عندما يصحّ وصفه سبحانه وتعالى بوصفين مُتضادين في نفسهما، فهذا يدلّ على أنّ هذين الوصفين هُما من صفات الفعل، وليس من صفات الذّات.

(١) الصّحيفة السجّاديّة: ٤١٧، دُعاء ١٩٣.

توضيح ذلك: إنّك تُثبت له سبحانه وتعالى في الوجود: الرّضا والغضب، والحُبّ والبُغض، وهذه صفات فعلٍ؛ لأنّه يصحّ وصفه تعالى بكلا الحالتين، بخلاف العلم والقُدرة فإنّهما من صفات الذّات، ألا ترى أنّك لا تستطيع أن تقول: إنّ الله سبحانه عالم وغير عالم، وقادر وغير قادر!

وهذا ما أوضحه الشّيخ الكُليني (طيّب الله ثراه) في الكافي الشّريف، حيث قال: "إنّ كُلّ شيئين وصفت الله بهما، وكانا جميعاً في الوجود، فذلك صفة فعلٍ"[(١)].

وتفسير هذه الجُملة: بأنّك تُثبت في الوجود ما يُريد وما لا يُريد، وما يرضاه وما يُسخطه، وما يُحبّ وما يُبغض، فلو كانت الإرادة من صفات الذّات مثل العلم والقُدرة، كان ما لا يُريد ناقضاً لتلك الصّفة، ولو كان ما يُحبّ من صفات الذّات، كان ما يُبغض ناقضاً لتلك الصّفة.

ألا ترى أنّا لا نجد في الوجود ما لا يعلم وما لا يقدر عليه؟ وكذلك صفات ذاته الأزليّة، لسنا نصفه بقُدرة وعجز [وعلم وجهل، وسفه وحكمة، وخطأ وعزّ] وذلّة، ويجوز أن يُقال: يُحبّ مَنْ أطاعه، ويُبغض مَنْ عصاه، ويُوالي مَنْ أطاعه، ويُعادي مَنْ عصاه، وإنّه يرضى ويسخط.

ويُقال في الدّعاء: "اللّهمّ! ارضَ عنّي ولا تسخط عليّ، وتولّني ولا تُعادني"[(٢)]. ولا يجوز أن يُقال: يقدر أن يعلم ولا يقدر أن لا يعلم، ويقدر أن يملك ولا يقدر أن لا يملك، ويقدر أن يكون عزيزاً حكيماً، ولا يقدر أن

(١) الكافي: ١/ ١١١، باب، الإرادة أنّها من صفات الفعل.
(٢) المصدر السّابق.

لا يكـون عزيـزاً حكـيماً، ويقـدر أن يكـون جـواداً، ولا يقـدر أن لا يكـون جواداً، ويقدر أن يكون غفوراً، ولا يقدر أن لا يكون غفوراً.

إذاً، يُفهـم مـن كـلام المُحـدّث الكُلينـيﷺ أنّ كُـلّ مـا لا يجوز نسبة ضـدّه إلـيه تعالـى، فهو صفة ذات، مثل الرّبّ، والقديم، والعزيز، والحكيم، والمالـك، والعـالم، والقـادر، فهـذه جميعاً من صفات الذّات. أمّا في الإرادة فيـصحّ نـسبة عدم الإرادة إلى الله عزّ شأنه، فيُقال: أنّ الله لا يُريد كذا، ويُريد كـذا؛ وذلـك لأنّ الإرادة مـن صـفات الفعـل، ولـيست مـن صـفات الـذّات، فـصفات الـذّات تنفـي كُـلّ صـفة ضـدّها، يُقال: حيّ وعالم، وسميع وبصير، وعزيز وحكيم، غني ملك، حليم عدل كريم.

فـالعلم ضـدّه الجهـل، والقُـدرة ضـدّها العجـز، والحـياة ضـدّها الموت، والعـزّة ضـدّها الذّلّـة، والحكمـة ضدّها الخطأ، وضدّ الحلم العجلة والجهل، وضدّ العدل الجور والظُّلم"[1].

فهـذه الـصّفات المُتناقـضة والمُتضادّة في الوجود، غير مُتحقّقة في مقام الـذّات، بـل يكـون تحقّقهـا فـي مقـام الفعـل، وهـو مقـام المخلوق الكامل، والحقيقة الكاملة، نعني بها الرّسول الأعظمﷺ وأهل بيتهعليهم السلام التي تعكس تلك الصّفات لمقام الآثار.

وقد أوضح القُرآن الكريم ذلك في كثير من آياته المُباركة، حيث قال:

(١) الكافي الشّريف: ١/ ١١١ ـ ١١٢، جُملة القول في صفات الذّات وصفات الفعل.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الذين مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الذين صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(٢).

فهذا العلم في الآيتين أعلاه، ليس هو علم مقام الذّات، بل هو علم مقام الفعل، فهو سبحانه يُريد أن يُبيّن ويكشف فيهما لمقام الفعل، وللحقيقة المُحمّديّة ما ينطوي تحت سرائرنا.

وهكذا بقيّة الآيات الأخرى، التي تُشير إلى مثل هذا المعنى، فهي من باب البيان لمقام الفعل، لا لمقام الذّات؛ لأنّ الذّات المُقدّسة، عالمة بما كان وما يكون وما هو كائن، وهي التي خلقت كُلّ شيء في الوجود، فهل مَنْ خلق هذه الأشياء لا يعلم بها؟! هذا ما لا يُعقل!.

وهذا ما ذكره الشّيخ الطّوسيقدس سره ونسبه إلى القيل، عندما تطرّق للآية الأولى أعلاه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ حيث قال: وقيل: معناه، حتّى يعلم أوليائي المُجاهدين منكُم، وأضافه إلى نفسه، تعظيماً لهم وتشريفاً، كما قال: ﴿إِنَّ الذين يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(٣) يعني، يؤذون أولياء الله(٤).

والمقصود بأولياء الله هُنا، هُم أهل بيت النّبوّة والطّهارةعليهم السلام وبالخُصوص

(١) مُحمّد: ٣١.
(٢) العنكبوت: ٢ ـ ٣.
(٣) الأحزاب: ٥٧.
(٤) التّبيان: ٩/ ٣٠٧.

أمير المؤمنين والزّهراء (سلام الله عليهما) كما جاء ذلك في تفسير القُمّي [(١)].

ثمّ إنّه سبحانه وتعالى صرّح في آيات مُباركات، أنّه علاّم الغُيوب، حيث قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيوبِ﴾ [(٢)] وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيوبِ﴾ [(٣)].

علاّم الغُيوب

أشارت الأحاديث الشّريفة، عن أهل بيت النّبوّة، أنّه سبحانه وتعالى علاّم الغُيوب، فقد ورد عن الإمام الصّادقعليه السلام أنّه قال لمعاوية بن عمّار: "إذا اشتريت دابة فقُل: اللّهمّ! إن كانت عظيمة البركة، فاضلة المنفعة، ميمونة النّاصية، فيسّر لي شراءها، وإن كانت غير ذلك، فاصرفني عنها، إلى الذي هو خير لي منها، فإنّك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علاّم الغُيوب، تقول ذلك ثلاث مرّات" [(٤)].

فعلاّم الغُيوب، كيف يصحّ أن يقول على نفسه: حتّى نعلم، أو ليعلمنّ الله، وما إلى ذلك، ألا يكون ذلك تناقضاً في حقّه سبحانه وتعالى؟!

---

(١) راجع تفسير القُمّي: ٢/ ١٩٦.

(٢) المائدة: ١٠٩.

(٣) المصدر السّابق: ١١٦.

(٤) الكافي: ٥/ ١٥٧، باب، من تكره مُعاملته ومُخالطته، ح ٤.

إذاً، فهذا العلم الذي أشرنا إليه سابقاً، ما هو إلاّ لمقام الفعل، كما أوضح ذلك سبحانه بالآية المُباركة، بقوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(١).

أي، يتجلّى ويظهر عملكم أمام مقام الرّسول صلى الله عليه وآله وأمام المؤمنين، الذي من أبرز مصاديقهم، هو أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقد وردت الرّوايات، بأنّ أعمال العباد تُعرض على الأئمّة عليهم السلام كي يطّلعوا عليها، فيكونوا شُهداءَ على النّاس، حيث جاء في الحديث الشّريف، عن مُحمّد بن مُسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ قال: "إنّ لله شاهداً في أرضه، وإنّ أعمال العباد تُعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله"(٢).

وفي رواية أخرى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إنّ الأعمال تُعرض عليَّ في كُلّ خميس، فإذا كان الهلال أكملت، فإذا كان النّصف من شعبان عُرضت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى عليّ، ثمّ يُنسخ في الذّكر الحكيم"(٣).

فتبيّن ممّا تقدّم، بأنّ كُلّ صفة وجوديّة، لها نقيض في الوجود، فهي صفة لمقام الفعل، كالحُبّ والبُغض والرّضا والغضب، وما ليس لها نقيض في الوجود، فهي صفة لمقام الذّات، كالحياة والعلم والقُدرة.

---

(١) التّوبة: ١٠٥.

(٢) تفسير العياشي: ٢/ ١٠٩، ح١٢٦.

(٣) بصائر الدّرجات: ٤٤٤، الباب الرّابع، الأعمال تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ح١.

مُختصّات مقام الفعل

إنّ هُناك مقاماً تتجلّى فيه أفعال مُعيّنة، غير منسوبة إلى الذّات؛ لوجود الفرق بين صفات الذّات وصفات المخلوقات، ولمخلوقيّة الفعل، الذي هو المشيئة، التي هي الحقيقة المُحمّديّة العُليا، التي تتشيّأ بها الأشياء، أي تكون شيئاً، وهذا كُلّه من مُختصّات عالم الفعل، وهو روح التّوحيد الحقّ.

فلا يُنسب إلى الله تعالى الجهل و العجز؛ لأنّ ذلك مُحدث، والمُحدث مُحتاج إلى مَنْ يُحدثه، أي يخلقه، وقد خلق كُلّ هذا بالمشيئة، التي سبق خلقها على خلق مَنْ خُلق بها، وعليه فيكون خلقها لازماً؛ لأنّه لا يُمكن أن يُقال في حقّها: خلق المشيئة، أو لم يخلقها؛ لانتفاء الحكمة من الخلق، وهو الوصول بالإنسان إلى الكمال.

إذاً، فالمشيئة سابقة على كُلّ ما خُلق، وهي واسطة الفيض الإلهي على المُمكنات (مقام الأثر) وقد أشرنا سابقاً، إلى أنّ هذه المشيئة، هي الحقيقة المُحمّديّة العلويّة، التي لافصل ولا انفصال بينهما، فهُما كالحقيقة الواحدة، بل هُما حقيقة واحدة.

ذكر الآلوسي في تفسيره، ما نصّه: "وكونه (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) رحمة للجميع؛ باعتبار أنّه (عليه الصّلاة والسّلام) واسطة الفيض الإلهي على المُمكنات، على حسب القوابل؛ ولذا كان نوره (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) أوّل المخلوقات، ففي الخبر: أوّل ما خلق الله تعالى نور نبيّك يا جابر. وجاء: الله تعالى المُعطي وأنا القاسم"[١].

---

(١) تفسير الآلوسي: ١٧/ ١٠٥.

فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو المُعطي، والرّسول الأكرمﷺ هو القاسم، فمعنى هذا: إنّ الرّسول هو واسطة الفيض بين العبد وربّه.

وقد جاء في الخبر: إنّ رسول اللهﷺ قال: "مَنْ يُرد الله به خيراً يُفقّهه في الدّين، والله المُعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأُمّة، ظاهرين على مَنْ خالفهم، حتّى يأتي أمر الله وهُم ظاهرون"[(١)].

منزلة الرّسول الأعظمﷺ

فمنزلة الرّسول الأعظمﷺ بالنّسبة للعالَم، كمنزلة القلب للبدن، فهو أصل لكُلّ موجود، كما أشار إلى ذلك بقولهﷺ لجابر، عندما سأله عن أوّل الخلق، فقال: "نور نبيّك يا جابر، خلقه الله، ثمّ خلق منه كُلّ خير"[(٢)].

وفي الحديث الذي يليه، قالﷺ: "أوّل ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقّه من جلال عظمته"[(٣)].

وقد أكدّ ذلك الأئمّة الهُداةعليهم السلام بأحاديث كثيرة، منها:

عن جابر بن يزيد، قال: "قال لي أبو جعفرعليه السلام: يا جابر، إنّ الله أوّل ما خلق، خلق مُحمّداًﷺ وعترته الهُداة المُهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قُلت: وما الأشباح؟ قال: ظلّ النّور، أبدان نورانيّة بلا أرواح، وكان

(١) صحيح البُخاري: ٤/ ٤٩، عُمدة القاري: ١٥/ ٣٩، ح٢٤.
(٢) بحار الأنوار: ١٥/ ٢٤، باب، بدء خلقه، وما جرى له بالميثاق، وبدء نوره وظهورهﷺ من لدن آدمعليه السلام ح٤٣.
(٣) المصدر السّابق: ح٤٤.

مؤيّداً بروح واحدة، وهي روح القُدس، فبها كان يعبُد الله هو وعترته؛ ولذلك خلقهم حُلماء، عُلماء، بررة، أصفياء، يعبدون الله بالصّلاة، والصّوم، والسّجود، والتّسبيح، والتّهليل، ويُصلّون الصّلوات، ويحجّون ويصومون"[(١)].

وجاء أيضاً، عن أبي حمزة، قال: سمعت عليّ بن الحُسين عليهما السلام يقول: "إنّ الله خلق مُحمّداً وعليّاً وأحد عشر من ولده، من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يُسبّحون الله ويُقدّسونه، وهم الأئمّة من ولد رسول الله"[(٢)].

كما أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أشار إلى ذلك أيضاً، عندما طلب منه جماعة في المسجد أن يُحدّثهم، وألحّوا عليه بالطّلب، بعد أن أعلمهم أنّهم لا يُطيقون ما يسمعون منه، ثمّ إنّه عليه السلام بعد ما سمعوا منه، وأنكروه، فسّره لهم بأحد مصاديق التّفسير، حيث تقول الرّواية، قالوا له: "حدّثنا يا أمير المؤمنين، فقال لهم: ويحكُم! إنّ كلامي صعب مُستصعَب، لا يعقله إلاّ العالمون.

قالوا: لابدّ من أن تُحدّثنا، قال: قوموا بنا، فدخل الدّار، فقال: أنا الذي علوت فقهرت، أنا الذي أُحيي وأُميت، أنا الأوّل والآخر، والظّاهر و الباطن.

فغضبوا، وقالوا: كفر، وقاموا، فقال عليّ (صلوات الله عليه وآله) للباب: يا باب، استمسك عليهم، فاستمسك عليهم الباب، فقال: ألم أقل لكم إنّ كلامي صعب مُستصعَب، لا يعقله إلاّ العالمون؟ تعالوا أفسّر لكُم.

---

(١) الكافي: ١/ ٤٤٢، باب، بلد النّبي صلى الله عليه وآله ووفاته، ح١٠.

(٢) الكافي: ١/ ٥٣١، باب، فيما جاء في الإثني عشر، والنّص عليهم عليهم السلام ح٦.

أمّا قولي: أنا الذي علوت فقهرت، فأنا الذي علوتكم بهذا السّيف، فقهرتكم، حتّى آمنتم بالله ورسوله.

وأمّا قولي: أنا أُحيي وأُميت. فأنا أُحيي السنّة وأُميت البُدعة.

وأمّا قولي: أنا الأوّل. فأنا أوّل مَنْ آمن بالله وأسلم.

وأمّا قولي: أنا الآخر. فأنا آخر مَنْ سجّى على النّبيّ ثوبه ودفنه.

وأمّا قولي: أنا الظّاهر والباطن: فأنا عندي علم الظّاهر والباطن.

قالوا: فرّجت عنّا، فرّج الله عنك"[1].

ولو تمعّنت بالرّواية قليلاً، لوجدت لها تفسيراً آخر أيضاً، فالمقصود من الأوّل، في كلامه عليه السلام هو الأوّل الأزلي، الذي أوجدته قُدرة الذّات المُقدّسة، وهو مقام الفعل؛ لأنّك لا يُمكن أن تصف الذّات المُقدّسة بالأوّل؛ لمعنى الأوّلية، بأنّها السّابقة لغيرها، والأسبقيّة صفة فعليّة لا ذاتيّة، فلا يُمكن وصفه بها سبحانه.

فيتحصّل لنا: إنّ الأوّليّة والأسبقيّة، هي لمقام الفعل، وهو مقام المشيئة، المُتمثّلة بأهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام.

وخير مثال على ذلك: إنّ النّور لم يظهر لموسى بكُلّه، بل تجلّى وظهر منه شيء، وهذا الشّيء لم يتحمّله الجبل، فضلاً عن موسى؛ لهذا تراه قد صُعق، فكيف إذا ظهر له النّور كُلّه؟! إذاً، لاضمحلّ وتلاشى، بل لايُمكن تصوّر ما يحصل أبداً.

(١) الاختصاص: ١٦٣.

ولـرُبَّ قائـل يقـول: مـا تقولون في الرّوايات التي تقول: أوّل ما خلق الله العقـل، أو أوّل مـا خلـق الله نـوري[١] أو أوّل مـا خلـق الله روحي، أو أوّل ما خلق الله القلم، ألا يكون في هذا تنافي أو تناقض لما ذكرتم؟!

قُلـنا: لا تنافـي ولا تـناقض فـي ذلـك؛ لأنّ المعنـى واحـد، فالحقـيقة المُحمّديّـة، تـارة يُعبّر عنها بالعقل الأوّل، وتارة بالنّور، وأخرى بالرّوح، وإنّ أرواح الأنبياء والأولياء مُستمدّة من تلك الرّوح، والتي منها أفاض الله الخير.

وهـذا مـا يـنقله الحلبـي فـي سيرته، ناسباً إيّاه إلى البعض، قائلاً: "لمّا تعلّقت إرادة الحقّ بإيجاد خلقه، أبـرز الحقـيقة المُحمّديّـة، مـن الأنـوار الصّمديّة، في الحضرة الأحديّة، ثمّ سلخ منها العوالم كُلّها؛ علوها وسفلها"[٢].

كمـا أنّ الرّسول الأكرمﷺ أوضح ذلك في الحديث المذكور أعلاه، لجابـر بـن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه بأنّ نورهﷺ هو أوّل مخلوق، ثمّ خلق الله تعالى منه كُلّ خير.

نعـم، هُـناك تنافي في الظّاهر مع رواية القلم، ويُمكن الإجابة عنه، كما هـو مذكـور فـي كـتاب معـارج النّـبوّة، وكـتاب شـواهد النّـبوّة، نقـلاً عـن المازندرانـي، حيث قـال: "إنّ نقوش العُلوم والكائنات، في اللّوح المحفوظ بتوسّطه، فهو بهذا الاعتبار سُمّي قلماً، فالمعنى في الجميع واحد، والعبارات مُختلفة"[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ١/ ٩٧، ب٧، ح٧.

(٢) السّيرة الحلبيّة: ١/ ٢٤٠.

(٣) شرح أصول الكافي للمازندراني: ١٢/ ١٣.

حُدوث الأسماء

بعد إن انتهى الشّيخ الكُليني (أعلى الله مقامه) من ذكر الرّوايات الشّريفة، التي وردت في مقام صفات الذّات، ومقام صفات الفعل، وذكر الفرق بينهما، تحت عنوان (جُملة القول في صفات الذّات وصفات الفعل) شرع بعنوان جديد، أسماه (باب حُدوث الأسماء) لما له من علاقة وربط مع ما قبله.

وسوف يتّضح ذلك فيما بعد، من خلال الاسترسال بشرح الرّواية الأولى، التي أوردهاقدّسرّه حيث أفاد ما نصّه: "عن إبراهيم بن عُمر، عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً، بالحُروف غير مُتصوّت، وباللّفظ غير مُنطق، وبالشّخص غير مُجسّد، وبالتّشبيه غير موصوف، وباللّون غير مصبوغ، منفيّ عنه الأقطار، مُبعد عنه الحُدود، محجوب عنه حسّ كُلّ مُتوهّم، مُستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء؛ لفاقة الخلق إليها، وحجب منها واحداً، وهو الاسم المكنون المخزون، فهذه الأسماء التي ظهرت، فالظّاهر هو الله تبارك وتعالى، وسخّر سبحانه لكُلّ اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر رُكناً، ثمّ خلق لكُلّ رُكن منها ثلاثين اسماً، فعلاً منسوباً إليها، فهو الرّحمن، الرّحيم، الملك، القدّوس، الخالق، البارئ، المُصوّر، الحيّ، القيّوم، لا تأخذه سِنة ولا نوم، العليم، الخبير، السّميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المُتكبّر، العليّ، العظيم، المُقتدر، القادر، السّلام، المؤمن، المُهيمن [البارئ]، المُنشئ، البديع، الرّفيع، الجليل، الكريم، الرّازق، المُحيي، المُميت، الباعث، الوارث. فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحُسنى، حتّى تتمّ ثلاثة

مئة وستّين اسماً، فهي نسبة لهذه الأسماء الثّلاثة؛ وذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾"[(١)،(٢)].

ففي هذه الرّواية دلالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وتنزّهه عن كُلّ ما يشين في حقّه، حيث جاء فيها: "إنّ الله تعالى خلق اسماً بالحُروف غير مُتصوّت" أي، خلق اسماً بدون أن يخرُج منه سبحانه حرف وصوت؛ لتنزّهه عن ذلك؛ وإلاّ لكان الخالق مخلوقاً، تعالى الله عمّا يقول المُبطلون[(٣)].

حقيقة الأسماء

لو تمعنّا في حقيقة الاسم لوجدنا له معنيين:

المعنى الأوّل- هو المعنى اللّغوي والعُرفي

والمقصود به اللّفظ الدّال على المُسمّى، والمُشتق من السِّمة، بمعنى العلامة، أو من السُّمو بمعنى الرِّفعة، وهذا يستلزم أن يكون غير المُسمّى.

المعنى الثّاني- الأمر العيني

المقصود به الأمر العيني، المأخوذ بوصف من أوصافه، ونعت من نعوته، والذي لولاه لا يُمكن الوصول إلى معرفة الذّات، كالعالم الذي هو اسم من أسماء الله تعالى، الدّالّ على مُسمّاه، والحاكي عنه، والدّالّ على حاله، وهو الذّات المُقدّسة. ولكن لا يخفى، كما بيّنا آنفاً، أنّ دلالة الأسماء

(١) الإسراء: ١١٠.
(٢) الكافي: ١/ ١١٢، باب، حُدوث الأسماء، ح١.
(٣) راجع مرآة العُقول: ٢/ ٢٥.

دلالة إثباتيّة، لا دلالة تحديديّة، ولا وصفيّة، فتنبّه جيّداً!

فتبيّن من هذا: إنّ الاسم يُمكن أن يكون أمراً لفظيّاً، ويُمكن أن يكون أمراً عينيّاً[(١)] والثّاني هو المُتعيّن من الرّواية.

ورد في الرّواية: "وباللّفظ غير مُنطق" أي، غير منطوق باللفظ، كالحُروف؛ لأنّه لو كان كذلك لكان من جنسها، هذا إن قُلنا: "مُنطَق" - بفتح الطّاء - أمّا إذا قُلنا: "مُنطِق" - بكسر الطّاء - فمعناه: إنّ الاسم غير مُنطِق بالحُروف، بل له سنخ نُطق آخر، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الذي أَنْطَقَ كلَّ شَيْءٍ﴾[(٢)] فجُملة: "الذي أنطق كُلّ شيء" إشارة إلى أنّ النّطق ليس مُختصّاً بالأعضاء، بل هو عامّ، شامل لكُلّ شيء، قد أوجب الله له سبباً[(٣)].

"وبالشّخص غير مُجسّد، وبالتّشبيه غير موصوف، وباللّون غير مصبوغ" أي، غير مُلاصق أو مُتشبّع ومُخالط بالجسد، كما هو الحال في الأعيان الخارجيّة، أو الثّوب الرّقيق، الذي يلي جسد المرأة، بحيث تظهر ملامحها منه[(٤)].

ثمّ إنّ المُجسّد، ما أُكملت خلقته البدنيّة، وتشخّصاته الجسميّة، الذي ليس فيه نقص من ذلك، وبالإمكان وصفه وتشبيهه، وإظهار الصّبغة اللّونيّة عليه، والحال أنّ هذا المخلوق غير ما هو مُتعارف من المخلوقات، ذات الصّفات

---

(١) راجع تفسير الميزان: ١/ ١٧.

(٢) فُصّلت: ٢١.

(٣) راجع تفسير الميزان: ١٧/ ٣٨٠.

(٤) راجع لسان العرب: ٣/ ١٢١، مادّة "جسد".

والتّشبيهات، فلا يُمكن وصفه وتشبيهه، أو إظهار الصّبغة اللّونيّة عليه؛ لاستحالة كُلّ ذلك في حقّه.

"منفيّ عنه الأقطار، مُبعد عنه الحُدود، محجوب عنه حسّ كُلّ مُتوهّم، مُستتر غير مستور" بمعنى، أنّه تستحيل عليه الامتدادات الجسميّة، من طول وعرض وارتفاع وقطر، وما إلى ذلك؛ لاستلزامه التّركيب، كما أنّه محجوب عنه حسّ كُلّ مُتوهّم؛ لتعلّق إدراك الحسّ بالأشياء الجسميّة؛ فهو مُستتر بلا ستر عُرفي يستره؛ لأنّ السّتر العُرفي يتعلّق بالأجسام، فهو مستور بذاته، وغير مستور عن ظُهوراته وتجلّياته، بمعنى عدم اطّلاع قوى الإدراك على كُنهه، فهو مستور عن الخلق غير مستور عنه تعالى.

فهذا العالم الظّاهر للعيان، والمكوّن من السّماوات السّبع وغيرها، إنّما ظهر بنور هذا الاسم لا بجلاله؛ لهذا عبّرت الرّواية: "فجعله كلمة تامّة" لعدم تبعيّته لغيره؛ لكماله وتمامه بالذّات، ولكونه أصلاً ومبدأً المخلوقات جميعاً، فهو مُحيط بها من كُلّ جوانبها، لا يخرج شيء عنها وعن نسبتها(١).

الأئمة هُم كلمة الله التّامّة

لو لاحظنا القُرآن الكريم، وتمعنّا في استخدامه لبعض المُفردات، لوجدنا أنّه تارة يُعبّر عن بعض الأنبياء بأنّهم كلمة منه، حيث قال تعالى في حقّ المسيح عيسى بن مريم‰: ﴿وإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ

(١) راجع نور البراهين: ١/ ٤٥٨.

وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[(١)] وأخرى يقول: ﴿فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[(٢)] وهذه الكلمات كما جاء في بعض التّفاسير[(٣)] والرّوايات[(٤)] أنّهم أصحاب الكساء الخمسة، والأئمّة التّسعة من ذريّة الإمام الحُسين عليهم السلام.

وهُناك فرق بين كلمة وكلمة؛ لتماميّة وكماليّة إحداهما على الأُخرى، بلا استنقاص من صاحبتها، بل من باب الكامل والأكمل، والتّام والأتم، والفاضل والأفضل، حيث قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[(٥)].

فالكلمة التّامّة، هُم أهل بيت النّبوّة والطّهارة، ومعدن العلم، ومهبط الوحي، حيث وردت في الأدعية، كما في دُعاء السّمات: "وبشأن الكلمة التّامّة، وبكلماتك التي تفضّلت بها على أهل السّماوات والأرض، وأهل الدّنيا والآخرة"[(٦)].

فقد ورد عن أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام عندما جاءه رسول معاوية، أنّه قال: "إنّ معاوية يزعم أنّه أمير المؤمنين، وأن لا يكون الإمام إماماً حتّى يُحيي الموتى، أو يُنزل من السّماء مطراً، أو يأتي بما يُشاكل

(١) آل عمران: ٤٥.
(٢) البقرة: ٣٧.
(٣) راجع تفسير الميزان: ١/ ١٤٨.
(٤) راجع معاني الأخبار: ١٢٥، باب، معنى الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه، ح١ وح٢.
(٥) البقرة: ٢٥٣.
(٦) مُصباح المُتهجّد: ٤١٨.

ذلك، ممّا يعجز عنه غيره، وفيكُم مَنْ يعلم أنّي الكلمة التّامّة، والآية الباقية، والحُجّة البالغة"(١).

كما أنّه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: "نحن الكلمات التي تلقّى آدم من ربّه، فغفر له"(٢).

وورد أيضاً في أجوبة الإمام الرّضا عليه السلام لأسئلة يحيى بن أكثم: "ونحن كلمات الله التي لا تنفد، ولا تُدرك فضائلنا"(٣).

فتبيّن من الرّوايات، أنّ الكلمة التّامّة، هو الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومنه تفرّعت كلمات تامّات، وهم الأئمّة الطّاهرون المعصومون عليهم السلام.

"فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء؛ لفاقة الخلق إليها، وحجب منها واحداً، وهو الاسم المكنون المخزون".

أي، جعل ذلك الاسم كلمة تامّة؛ لكماله وتمامه بالذّات، وعدم كونه تابعاً لغيره من الأسماء؛ لأنّه أصل ومبدأ لكُلّ الأسماء، وهو الذي يدلّ على كُنه الذّات المُقدّسة، مع الصّفات الكماليّة جميعاً، كما ذكر ذلك العلاّمة المجلسي (أعلى الله مقامه) بقوله: "فالاسم الجامع، هو الاسم الذي يدلّ على كُنه الذّات مع جميع الصّفات الكماليّة، ولمّا كانت أسماؤه تعالى ترجع إلى أربعة؛ لأنّها إمّا أن تدلّ على الذّات، أو الصّفات الثّبوتيّة الكماليّة، أو السّلبيّة التّنزيهيّة، أو

(١) عُيون المُعجزات: ٢٩، ما جرى لأمير المؤمنين عليه السلام مع رسول معاوية.
(٢) الهداية الكُبرى: ١٠١، باب، أمير المؤمنين عليه السلام.
(٣) تُحف العُقول: ٤٧٩، أجوبته عليه السلام ليحيى بن أكثم عن مسائله.

صفات الأفعال، فجرى ذلك الاسم الجامع إلى أربعة أسماء جامعة؛ واحد منها للذّات فقط، استبدّ تعالى به، ولم يُعطه خلقه، وثلاثة منها تتعلّق بالأنواع الثّلاثة من الصّفات، فأعطاها خلقه؛ ليعرفوه بها بوجه من الوجوه، فهذه الثّلاثة، حُجبٌ ووسائط بين الخلق وبين هذا الاسم المكنون، ولمّا كانت تلك الأسماء الأربعة مطويّة في الاسم الجامع على الإجمال، لم يكُن بينها تقدّم وتأخّر؛ ولذا قال: ليس منها واحد قبل الآخر"[1].

ولنا وقفة على ما أفاده قدّس سرّه: "من أنّ الاسم الجامع دالّ على كنه الذّات" فنقول: إن أراد بالدّلالة، الدّلالة الإثباتيّة فحسب، فهو تامّ، وإن أراد بها الدّلالة التّحديديّة والوصفيّة، فإنّ ذلك غير معقول، فهو إذاً غير مقبول؛ وذلك بدلالة ما بيّناه سابقاً، وسوف يتّضح لاحقاً، إن شاء الله تعالى، من أنّ الذّات المقدّسة لا اسم ولا رسم، ولا نعت لها، بل ليس ثمّة شيء مهما كان يدلّ عليها، إذ لا اقتضاء ولا استدعاء، ولا سنخيّة أو مثليّة في موردها، فتفهّم القول، وتدبّر السّرّ ولا تغفل! ولتتميم هذه الحقيقة، اُنظر ما دشّنه يراع العلامة الطّباطبائي رحمه الله فيما يأتي من السّطور أدناه.

وهذا الجزء الرّابع من الاسم مكنون بحسب ذاته، غير ظاهر بحسب نفسه، فظهوره عين عدم ظهوره، وتعيّنه عين عدم تعيّنه، كما ذكر ذلك السّيد الطّباطبائي في تفسيره، حيث يقول: "فإنّ الاسم المكنون المخزون، لمّا كان اسماً، فهو تعيّن وظهور من الذّات المُتعالية، وإذ كان مكنوناً

(١) مرآة العُقول: ٢/ ٢٦.

بحسب ذاته، غير ظاهر بحسب نفسه، فظهوره عين عدم ظهوره، وتعيّنه عين عدم تعيّنه، وهو ما يُعبّر عنه أحياناً بقولنا: إنّه تعالى ليس محدوداً بحدّ، حتّى بهذا الحدّ العدمي، لا يُحيط به وصف ولا نعت، حتّى هذا الوصف السّلبي، وهذا بعينه توصيف منّا، والذّات المُتعالية أعظم منه وأكبر، ولازمه أن يكون اسم الجلالة، الكاشف عن الذّات المُستجمعة لجميع صفات الكمال اسماً من أسماء الذّات، دونها ودون هذا الاسم المكنون المخزون، وكذا (تبارك) و(تعالى) ثلاثة أسماء معاً، فهي سدنة وحجّاب للاسم المكنون، من غير أن يتقدّم بعضها بعضاً، وهذه الحُجُب الثّلاثة، والاسم المكنون المحجوب بها جميعاً دون الذّات، وأمّا هي فلا ينتهي إليها إشارة، ولا يقع عليها عبارة؛ إذ كُلّما تحكيه عبارة، أو تومئ إليه إشارة اسم من الأسماء، محدود بهذا النّحو، والذّات المُتعالية أعلى منه وأجل"[1].

الدّعاء بالاسم المكنون

نرى أنّ أعظم ما يكون الدّعاء والتّوسّل بالله تعالى بهذا الاسم؛ لعظمته عنده سبحانه وتعالى، حيث ورد في الأدعية: "أسألك باسمك المخزون المكنون، الحيّ القيوم الذي لا يخيب مَنْ سألك به، أن تُصلّي على مُحمّد وآله، وأن تعجّل فرج المُنتقم لك من أعدائك، وأنجز له ما وعدته، يا ذا الجلال والإكرام"[2].

وورد هذا الدّعاء أيضاً: "أسألك باسمك المخزون المكنون، وباسمك

---

(١) تفسير الميزان: ٨/ ٣٦٥.

(٢) مُصباح المُتهجّد: ٧٤.

التّام النّور، وباسمك الطّهر الطّاهر، وباسمك الذي إذا سُئلت به أعطيت، وإذا دُعيت به أجبت، وإذا سُمّيت به رضيت، أن تُصلّي على مُحمّد وآل مُحمّد، وأن ترحمني وترحم والدَيّ وما ولدا، والمُؤمنين والمُؤمنات، والمُسلمين والمُسلمات»[١].

إذاً، فهذا الاسم أعظم الأسماء وأطهرها عنده سبحانه؛ لهذا استأثر به لنفسه، وأخذ على نفسه أنّ مَنْ دعاه به لا يُردّ دعاؤه، ومَنْ أمّله به لا يُخيّب أمله، ومَنْ رجاه به لا يردّ رجاه.

لذا نرى أنّ الأئمّة عليهم السلام يدعونه به، ويأمرون أصحابهم وشيعتهم بالتّوسّل إلى الله تعالى به، حيث ورد في الأخبار: إنّ الإمام الصّادق عليه السلام قد دعا به في مسجد السّهلة؛ لخلاص عجوز من يد السّلطان، قد أوجعها جلوازه ضرباً؛ لقولها عندما عثرت: لعن الله ظالميك يا فاطمة! ففرّج الله عنها ببركة دُعاء الإمام الصّادق عليه السلام لها بهذا الاسم[٢].

أسماء الله الحُسنى

فحُدوث الأسماء التي ظهرت في عالم الخلق والتّكوين والوجود، هو عبارة عن هذه الأسماء الثّلاثة: الأوّل- هو الله. والثّاني- هو تبارك. والثّالث-

(١) إقبال الأعمال: ٢/ ٢١٠.

(٢) راجع قصّة المرأة كاملة في بيت الأحزان، للشّيخ عبّاس القُمّي: ١٢٦، وظلامات فاطمة الزّهراء عليها السلام لسماحة مؤلّف هذا الكتاب: ١٦، والأسرار الفاطميّة، للشّيخ مُحمّد فاضل المسعودي: ٣٨٨ - ٣٨٩، فضل الكوفة ومساجدها للمشهدي: ٤٦ - ٤٧.

هو تعالى[١] وسخّر سبحانه لكُلّ اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر رُكناً، حاصل ضرب الثّلاثة في الأربعة، ثمّ خَلق لكُلّ رُكنٍ منها ثلاثين اسماً، فعلاً منسوباً إليها، وهي المُسمّاة بأسماء الله الحُسنى، كما ورد التّعبير عن ذلك في الكافي الشّريف، حيث نقل عن إبراهيم بن عُمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إنّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحُروف غير مُتصوّت، وباللّفظ غير مُنطق، وبالشّخص غير مُجسّد، وبالتّشبيه غير موصوف، وباللّون غير مصبوغ؛ منفيّ عنه الأقطار، مُبعد عنه الحُدود، محجوب عنه حسّ كُلّ مُتوهّم، مُستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء؛ لفاقة الخلق إليها، وحجب منها واحداً، وهو الاسم المكنون المخزون، فهذه الأسماء التي ظهرت، وسخّر سبحانه لكُلّ اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر رُكناً، ثمّ خلق لكُلّ رُكن منها ثلاثين اسماً، فعلاً منسوباً إليها، فهو الرّحمن، الرّحيم، الملك، القُدّوس، الخالق، البارئ، المُصوّر، الحيّ، القيّوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبير، السّميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المُتكبّر، العليّ، العظيم، المُقتدر، القادر، السّلام، المؤمن، المُهيمن [البارئ]، المُنشئ، البديع، الرّفيع، الجليل، الكريم، الرّازق، المُحيي، المُميت، الباعث، الوارث. فهذه الأسماء، وما كان

---

(١) هذا ما أورده فُقهاؤنا الأجلاء (أعلى الله مقامهم) في كُتبهم الفقهيّة. نقل السيّد الخوئي (قدسّ الله نفسه) في نجاة الصّراط، من أنّ اسم تعالى هو نفس كلمة الله، من حيث ترتّب حُرمة المسّ بدون الطّهارة. أنظر، نجاة الصّراط: ٥٩/١.

مـن الأسـماء الحُسنى، حتّـى تـتمّ ثلاثـة مـئة وسـتّين اسـماً، فهـي نسبة لهذه الأسـماء الـثّلاثة؛ وذلـك قـوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾"[1]،[2].

الاسم الأعظم

فهُـناك اسـم مكنون مخزون طاهر طُهر مُطهّر، وفي قباله اسم غير مكنون، بل ظاهـر، وهـذا الظّهـور لـيس بذاته، وليس بشيء مُعيّن؛ بل ظاهر بجبروته وبقُدرته، وظاهر بخلقه، وكُلّ هذه الأسماء مُندرجة تحت الأركان الأربعة.

ثمّ إنّ الظّاهر من الاسم المكنون، الذي لا يعلم به إلاّ من أطلعه الله عليه مـن أنبيائه وأوليائه عليهم السلام وهو ما أشارت إليه بعض الرّوايات المُباركات، كما ورد أنّـه آخـر سـورة الحشر، وأنّـه آيـة الكرسـي، وأوّل آل عُمـران، وقيل: يكون في (الحيّ القيوم) لأنّه الجامع بينهما، والموجد فيهما.

وروي عـن النّبـيّ الأكـرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: "بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها"[3].

وفـي روايـة أبـي إمامـة الواردة عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: "اسم الله الأعظم الـذي إذا دُعـي بـه أجاب في سور ثلاث: البقرة، وآل عمران، وطه. قال أبو إمامـة: في البقرة آية الكرسي، وفي آل عمران: ﴿ألم اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ

(١) الإسراء: ١١٠.

(٢) الكافي: ١/ ١١٢، باب، حُدوث الأسماء، ح١.

(٣) عدّة الدّاعي، لابن فهد الحلّي:٥١، وأنظر دلائل الإمامة: ٢٢١.

الْقَيُّومُ﴾[١] وفي طه: ﴿وَعَنَتْ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾"[٢][٣].

وقيل: "هو الله، وهو أشهر أسماء الرّبّ وأعلاها محلاً في الذّكر والدّعاء، وجُعل إمامُ سائر الأسماء، وخصّت به كلمة الأخلاص، ووقعت به الشّهادة"[٤].

خصائص ومُميزات الاسم المُقدّس الله

إنّ الاسم المُقدّس الله، قد امتاز عن بقية الأسماء، بميزات وخواص تُميّزه عن سائر الأسماء والصّفات، منها:

الخاصّية الأولى- إنّه عَلَم على الذّات المُقدّسة، يختصّ بها، بنحو إثباتي لا وصفي، فلاحظ، قال تعالى: ﴿هل تعلم له سميّاً﴾ أي، هل تعلم أحداً يُسمي الله غيره.

الخاصّية الثّانية- إنّه دالّ على الذّات دلالة إثباتيّة، كما ذكرنا، وباقي الأسماء لا يدلّ آحادها إلاّ على آحاد المعاني، كالقادر على القُدرة، والعالم على العلم، وغير ذلك.

الخاصّية الثّالثة- إنّ جميع الأسماء يتسمّى بذلك الاسم المُقدّس، ولا يتسمّى هو بها، فيُقال: الصّبور اسم من أسماء الله، ولا يُقال: الله اسم من أسماء الصّبور أو الرّحيم أو الشّكور. وكما ورد عن سيّد الأتقياء والوصيّين،

---

(١) آل عمران: ١ – ٢.

(٢) طه: ١١١.

(٣) عدّة الدّاعي، لابن فهد الحلّي:٥١، وأنظر بحار الأنوار: ٩٠/ ٢٢٤.

(٤) نفس المصدر.

الإمـام أميـر المُؤمنـين علـيّ عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿هل تعلم له سميّاً﴾ فقال: "فإنّ تأويله: هل تعلم أحداً اسمه الله غير الله تبارك وتعالى"(١).

المقصود بالأركان

مـن المعلـوم، أنّ معـرفة هـذه الأركـان، والاطّلاع عليها، وعلى الثّلاثين اسـماً ممّـا لا تُعـرف حقيقـته، وأنّ هـذه مـن غـوامض الأسـرار، التي لا يعلم كُنهها إلاّ الله والرّاسـخون فـي العلـم، ولكن ممّا ذكره الأعلام والمُحقّقون، علـى سـبيل التّأويل والاحـتمال، فهُـناك ذُكرت عدّة آراء واحتمالات لهذه الأركان والأسماء.

مــنها: إنّ المُـراد بالأركـان الأربعـة، البُـروج الفلكيّة الاثني عشر، فإنّها بهـذا العـدد، فـتكون حـركات هذه البُروج، وحركات ما فيها من الكواكب مُستنداً إلـى تلـك الأسـماء الثّلاثة، ثمّ خلق سبحانه لتلك البُروج الاثني عشر ثلاثـين اسـماً، لكُـلّ واحدٍ منها، فتكون أفعال تلك البُروج، منسوبة إلى تلك الأسماء(٢).

ومــنها: إنّ المُـراد بهـا حملـة العـرش؛ كمـا جاء في الرّوايات الشّريفة، وذلـك أنّ حملـة العـرش، بمعنـى الجسم المُحيط، أربعة من الملائكة، وأمّا حملـة عـرش العلم فهُم ثمانية، أربعة منّا، وأربعة ممّا شاء الله، فأمّا الذين منّا، فهـم: مُحمّـد وعلـيّ والحسنان (صلوات الله عليهم وعلى الأئمة من ذُرّيتهم)

(١) التّوحيد للصّدوق: ٢٦٤.

(٢) تفسير نور البراهين، للسيّد نعمة الله الجزائري: ١/ ٤٥٩.

وأمّا من شاء الله، فهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام[(١)].

ومـنها: إنّ المُراد بالأركان الأربعة، الأئمة المعصومون، الاثنا عشر عليهم السلام ويكـون المُراد من تسخير هذه الأركان لتلك الأسماء، هو كونهم عليهم السلام حملة للعلـم، الـذي اسْـتكنَّ فـي تلـك الأسماء، فإنّه لا يتناهى، وخلق سبحانه لكُلّ إمـام ثلاثـين اسـماً مـن أسـمائه الحُسنى، بأن يكون أكثر أفعاله عليه السلام مُنسوبة إليها، وإلى تكرارها والاطلاع على معانيها والتّوسّل بها[(٢)].

الذّات غير الصّفات

لاريب أنّ ذاته تعالى لا تتصف بالغير؛ لأنّ كُلّ ماهو لائق به من صفات الكمـال حاصل له أزلاً وأبداً، وهذا من ضروريّات العقل، فإنّ ذاته تجلّ عن الـصّفات، وأمّـا لفـظ الله كاسـم، فهـو غيـر الذّات، بل ذاته تجلّ عن صفاته، وإنّمـا الاسـم فـي عـالم الخلـق والخليقة، وهو الاسم الظّاهر في القُرآن، فهو مخلـوق لساني، وأمّا كذات لا يعلوها شيء، وهذا ممّا أكدت عليه الرّوايات الـشّريفة، كالـرّواية المُتقدّمة، عن أبي عبد الله عليه السلام حيث قال: "إنّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحُروف غير مُتصوّت، وباللّفظ غير مُنطق"[(٣)].

فـإنّ الأسماء المُتعدّدة دالّة على المعاني المُتكثّرة، وإنّ التّكثّر والتّعدّد إنّما هو فـي الإضـافات والـصّفات، لا فـي الـذّات المُقدّسـة؛ حيث إنّ ذاتـه واحـدة مـن

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الكافي: ١/ ١١٢، باب، حُدوث الأسماء، ح١.

الجهات والاعتبارات جميعاً، والتّحقيق يدلّ على أنّ صفاته نوعان:

النّوع الأوّل- الصّفات الحقيقيّة، وهي التي تُلحظ بالنّظر إلى ذاته، مثل كونه حيّاً، موجوداً، قديماً، أزليّاً، سرمديّاً.

النّوع الثّاني- الصّفات الإضافيّة، وهي التي تُلحظ بالنّظر إلى الغير، مثل كونه قادراً، خالقاً، رحيماً.

فبالنّظر إلى مخلوقاته، والتّعدّد الحاصل عند الإضافة، إنّما كان عند اعتبار أمور خارجة عن الذّات، ولا يوجب له التّعدّد والتّكثّر في ذاته، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

فالرّواية الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام تُشير إلى هذا المعنى، حيث قال: "من عبد الله بالوهم فقد كفر، ومن عبد الاسم ولم يعبُد المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بايقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه، ونطق به لسانه في سرايره وعلانيّته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. وفي حديثٍ آخر فأولئك المؤمنون حقّاً"[(١)].

وكذلك الرّواية الواردة عن هُشام بن الحكم، عندما سأل أبا عبد الله عليه السلام.

عن أسماء الله واشتقاقها، فقال: "الله ممّن هو مُشتق؟ قال: فقال لي: ياهُشام، الله مُشتق من إله، والإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المُسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ولم يعبُد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى

(١) المُصباح للكفعمي: ٣٤٨.

فقد كفر، وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التّوحيد، أفهمت ياهُشام؟ قال: فقُلت: زدني، قال: إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، فلو كان الاسم هو المُسمّى، لكان كُلّ اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يدلّ عليه بهذه الأسماء، وكُلّها غيره، ياهُشام، الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثّوب اسم للملبوس، والنّار اسم للمحروق، أفهمت ياهُشام فهماً تدفع به وتُناضل به أعداءنا، والمُتخذين مع الله عزّ وجلّ غيره؟ قُلت: نعم، قال، فقال: نفعك الله به، وثبّتك ياهُشام! قال هُشام: فوالله! ما قهرني أحد في التّوحيد حتّى قمت مقامي هذا"[(١)].

ونُقل، أنّه جاء رجُل إلى مولانا أبي الحسن الرّضاعليه السلام من وراء نهر بلخ، فقال: "إنّي أسألك عن مسألة، فإن أجبتني فيها بما عندي قُلت بإمامتك، فقال أبو الحسنعليه السلام: سل عمّا شئت، فقال: أخبرني عن ربّك متى كان؟ وكيف كان؟ وعلى أيّ شيءٍ كان اعتماده؟ فقال أبو الحسنعليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أيّن الأين بلا أين، وكيّف الكيف بلا كيف، وكان اعتماده على قُدرته، فقام إليه فقبّل رأسه، وقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ مُحمّداً رسول الله، وأنّ عليّاً وصيّ رسول اللهصلى الله عليه وآله وأنّكم الأئمة الصّادقون، وأنّك الخلف من بعدهم"[(٢)].

والمُراد بالمعرفة هي المعرفة التّامّة، التي هي غاية العارف في السّلوك،

(١) الكافي: ١/ ٨٧، باب، المعبود.

(٢) شرح أصول الكافي، للمولى المازندراني: ٣/ ١١١.

وأوّليتها في العقل؛ لكونها علّة غائيّة، وإنّ المعرفة تُزاد بالعبادة، وتلقي الأوامر بالقبول، فيستعدّ السّالك، أوّلاً بسببها للتّصديق بوجوده يقيناً، ثمّ لتوحيده، ثمّ للأخلاص له، ثمّ لنفي ما عداه عنه، فيغرق في تيّار بحار العظمة، وكُلّ مرتبة كمال لما قبلها، إلى أن تتمّ المعرفة المطلوبة له، بحسب ما في وسعه، وبكمال المعرفة يتمّ الدّين، وينتهي السّفر إلى الله تعالى(١).

قال العلامة الطّباطبائي قدس سره في كتابه الميزان: "إنّ الألفاظ المُسمّاة بأسماء الله إنّما هي أسماء، والأسماء إنّما تدلّ عليه، وتشير إليه من المصداق، أعني الذّات مأخوذة بوصف ما هو الاسم بحسب الحقيقة، وعلى هذا فبعض الأسماء الحُسنى عين الذّات، وهو المُشتمل على صفة ثبوتيّة كماليّة، كالحيّ والعليم والقدير، وبعضها زائد على الذّات، خارج منها، وهو المُشتمل على صفة سلبيّة، أو فعليّة، كالخالق والرّازق، لا تأخذه سنة ولا نوم، هذا في الأسماء، وأمّا أسماء الأسماء، وهي الألفاظ الدّالّة على الذّات، المأخوذة مع وصف من أوصافها، فلا ريب في كونها غير الذّات"(٢).

معاني الأسماء واشتقاقها

تقدّم الكلام في باب حُدوث الأسماء، وذكرنا الرّوايات المُتعلّقة بهذا الباب، بمعنى أنّ هُناك أسماءً، وهي حقائق وجوديّة، وليست ألفاظاً هجائيّة، وهذه الأسماء حادثة مخلوقة، وأمرنا الله في القُرآن الكريم وكتابه القويم،

---

(١) ورد هذا عن ابن ميثم، كما جاء في بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ٥٤/ ١٧٩.
(٢) الميزان: ١٣/ ٢٢٩.

بأنّ ندعوه بها، حيث قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[(١)].

إذاً، فما هو المقصودُ منْ الأسماء الحُسنى؟ باعتبار أنّ كُلّ شيءٍ في هذا الوجود الإمكاني، إمّا هو اسم، أو أثر للاسم، كما هو الحال في مرحلة الخلق، وأمّا في مرحلة الذّات، فليس هُناك شيءٌ إلاّ ذاته سبحانه؛ لأنّه تجلّى عن مُجانسة مخلوقاته، وجلّ عن مُلائمة كيفيّاته، وكيف يُستدل عليه بما هو مُفتقرٌ إليه؟! بل متىْ غابَ حتّى يحتاج إلى دليلٍ يدلّ عليه؟! ومتىْ بَعد حتّى تكونُ الآثار هي التي تُوصل إليه، فلا كيف ولا أين، وما إلى ذلك[(٢)] لأنّ هذه الأسماء إنّما توجّه إلى المخلوقات والمُحدثات والموصوفات والمُفتقرات، أمّا هو سبحانه فاستغنى بذاته عن كُلّ صفة، وعن كُلّ رسمٍ ونعت وسمة، كما ورد في الرّواية الواردة عن ابن سنان، قال: "سألتُ أبا الحسن الرّضا عليه السلام: هل كان الله عزّ وجلّ عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم. قُلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك؛ لأنّه لم يكُن يسألها ولا يطلب منها، هو نفسه، ونفسه هو، قُدرته نافذة؛ فليس يحتاج أن يُسمّي نفسه، ولكنّه اختار لنفسه أسماءً لغيره، يدعوه بها؛ لأنّه إذا لم يدع

(١) الإسراء: ١١٠.

(٢) فلا يُقال أين هو، ومتى كان، وكيف كان؛ لأنّ كُلّ ما في الأين محتاج إلى الأين، والله خالق الأين، فكيف يكون محتاجاً لمخلوقه؟! فلا أين له، وكذلك الكيف؛ لأنّ كُلّ ما له كيف، هو ماهيّة، وإذا كان ماهيّة، دخل معناه في أذهاننا، والله خالق كُلّ ماهيّة، فهو في المرتبة المُتقدّمة على الماهيّة، خالياً منها، ومن كُلّ كيف.

باسمه لم يُعرف، فأوّل ما اختار لنفسه: العلّي العّظيم؛ لأنّه أعلى الأشياء كُلّها، فمعناه: الله، واسمه العليُ العظيم، هو أوّل أسمائه، علا على كُلِّ شيء"[(١)].

وكذلك الرّواية الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: "اسم الله غيره، وكُلّ شيءٍ وقع عليه اسم شيء، فهو مخلوق، ما خلا الله، فأمّا ما عبّرته الألسن، أو عملته الأيدي، فهو مخلوق، والله غاية من غايته، والمعنى غير الغاية، والغاية موصوفة، وكُلّ موصوفٍ مصنوع، وصانع الأشياء غير موصوفٍ بحدّ مُسمّى، لم يتكون فيعرف كينونيته بصنع غيره، ولم يتناه إلى غايةٍ إلاّ كانت غيره، لا يَزِلَّ مَن فَهِم هذا الحُكم أبداً، وهو التّوحيد الخالص، فارعوه وصدّقوه، وتفهموه بإذن الله، مَنْ زعمَ أنّه يعرف الله بحجاب أو صورة أو مثال فهو مُشرك؛ لأنّ حجابه ومثاله وصورته غيره، وإنّما هو واحد مُتوحد، فكيف يوحّده، من زعم أنّه عَرّفه بغيره، وإنّما عَرف الله مَنْ عَرَفهُ بالله، فمنْ لمْ يُعرفه به فليس يَعرفهُ، إنّما يعرف غيره، ليس بين الخالق والمخلوق شيء، والله خالق الأشياء، لا من شيء كان، والله يُسمّى بأسمائه، وهو غير أسمائه، والأسماء غيره"[(٢)].

فلا شّكَ ولا ريبَ أنّ أسماءه وصفاته غير ذاته تعالى؛ لأنّ كُلّ اسم من أسمائه نعت؛ لدلالته على صفة لمُسمّاه، كما يُقال: إنّ الله دلّ على إلوهيّته، والرّبّ على رُبوبيّته، والمعبودَ على كونه مُستحقاً للعبادة، وكذلك باقي

(١) الكافي: ١/ ١١٣، باب، حُدوث الأسماء.

(٢) المصدر السّابق.

الصّفات الآخرى. فالذّات المُقدّسة، معنى قائم بنفسه، موجود لذاته، لا تركيب فيه ولا تكثّر، وإنّ هذه الأسماء والصّفات جُعلت دليلاً عليه، وعلامة له، بنحو ما ذكرنا مراراً، فدقّق!.

ورد في الحديث الشّريف، عن أبي الحسن الرّضا، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لله عزّ وجلّ تسعة وتسعون اسماً، من دعا الله بها استجاب له، ومن أحصاها دخلَ الجنّة"[1].

وورد عن أهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام بأنّه إذا أراد أحدكم الدّعاء، فليدعو الله وليثن عليه، وليتوسّل إليه بأسمائه؛ فإنّه استجابة الدّعاء، كما أشار إلى ذلك الإمام الصّادق عليه السلام في رواية العيص بن القاسم، حيث قال: "قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربّه، وليمدحه، فإنّ الرّجل، إذا طلب الحاجة من السّلطان، هيّأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة من الله، فمجّدوا الله العزيز الجبّار، وامدحوه واثنوا عليه، تقول: يا أجود من أعطى، وياخير من سُئل، يا أرحم من استرحم، يا أحدُ يا صمدُ، يا من لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفواً أحد، يا من لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً، يا من يفعل ما يشاءُ، ويحكُم ما يُريد، ويقضي ما أحبّ، يا من يحول بين المرء وقلبه، يا من هو بالمنظر الأعلى، يا من ليس كمثله شيء، يا سميع يا بصير، واكثر من أسماء الله عزّ وجلّ؛ فإنّ أسماء الله كثيرة، وصلِّ على مُحمّد وآله"[2].

---

(١) التّوحيد: ١٩٥.

(٢) الكافي: ٢/ ٤٨٥، باب، الثّناء قبل الدّعاء.

وقد ورد عن عليّ بن إبراهيم، عن بعض أصحاب الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: "كُلّ دُعاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر؛ إنّما هو التّحميد ثمّ الثّناء، قال: قُلتُ: ما أدري ما يجزي من التّمجيد والتّحميد، قال: تقول اللّهم! أنت الأوّل، فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء، وأنتَ الظّاهر، فليس فوقك شيء، وأنْتَ الباطن، فليس دونك شيء، وأنْتَ العَزيزُ الحَكيمُ"(١).

معرفة الأئمة عليهم السلام واجبة

فهُم عليهم السلام أسماؤهُ الحُسنى، التي لا يقبل الله عملاً إلاّ بمعرفتها، كما ورد ذلك عن الإمام عليّ عليه السلام حيث قال: "نحن الأسماء الحُسنى، التي إذا سُئل الله عزّ وجلّ بها أجاب، نحنُ الأسماء المكتوبة على العرش، ولأجلنا خلقَ الله عزّ وجلّ السّماوات والأرض، والعرش والكُرسي، والجنّة والنّار، ومنّا تعلّمت الملائكة التّسبيح والتّقديس، والتّوحيد والتّهليل والتّكبير، ونحنُ الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه"(٢).

والمُراد بالاسم السِّمة، أي العلامة، ولا شكّ أنّهم عليهم السلام أسماؤه الحُسنى، وعلاماته العُظمى، وآياتهُ الكُبرى، كما ورد التّعبير عن هذا المعنى، في قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: "من رآني فقد رأى الحقّ"(٣) باعتبار أنّ مقام الأسماء والصّفات مقامهم عليهم السلام باعتبارهم عرفوه حقّ معرفته، واتّصفوا بأسمائه، وتخلّقوا بأخلاقه، فهم المرحومون برحمته الصّفتيّة، والمُستفيضون بفيضه الأقدس،

(١) وسائل الشّيعة: ٤/ ١١٢، باب، استحباب تقدّم التّمجيد.
(٢) المُحتضر: ١٣٦.
(٣) بحار الأنوار: ٥٨/ ٢٣٥.

وكذلك اتّصفوا وتخلّقوا برحمته الفعليّة، **وأمّا معرفة كنهه وذاته تعالى شأنه، فهي من المُستحيلات، كما قال مدار التّوحيد، ونُقطته، أبو الحسنين، عليّ بن أبي طالب**عليه السلام: **"ولا في المسألة عنه جواب"**[1].

ونقل عن الإمام الرّضاعليه السلام أنّه قال: "إذا نزلتْ بكُم شديدة، فاستعينوا بنا على الله عزّ وجلّ، وهو قوله: ﴿وَلِلَّه الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾"[2].

فهُمعليهم السلام وجه الله، ويده المبسوطة على عباده بالرّأفة والرّحمة، ولسانه النّاطق في خلقه، وخزّان علمه، وتراجمة وحيه، وأعلام دينه، والعُروة الوثقى، والدّليل الواضح لمن اهتدى، وهُم الوسيلة، وهُم الحبل الممدود بين السّماء والأرض، وهُم واسطة الخير، كما ورد عن أهل بيت العصمة والطّهارة ذلك، كالحديث الذي ورد عن صادق آل مُحمّد (صلوات الله عليهم أجمعين) حيث قال: "نحن السّبب بينكم وبين الله"[3].

إذاً، اتّضح فيما سبق، من أنّ مقام الفعل، لا يصدُق إلاّ عليهمعليهم السلام وهُم الذين نُعبّر عنهم بالمشيئة، التي هي أوّل خلق الله، ومنها خُلقت الموجودات الأخرى.

روي عن جابر بن عبد الله، أنّه قال: "قُلت لرسول الله: أوّل شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيّك يا جابر، خلقه الله ثمّ خلق منه كُلّ خيرٍ"[4].

---

(١) عُيون أخبار الرّضا: ٢/ ١٣٧.
(٢) الاختصاص: ٢٥٢.
(٣) الأمالي للشّيخ الطّوسي: ١٥٧.
(٤) بحار الأنوار: ١٥/ ٢٤، ح٤٣.

حقيقة التّوسّل

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

فهذه الآية الكريمة توجب على المؤمنين أن ينتهجوا طريقاً ووسيلة للوصول إليه تعالى، وهل أفضل من أن ينتهج المؤمن طريق أهل البيت الذين طهّرهم الله واجتباهم واصطفاهم؟! ولرُبّ مُتوهم يتوهم، ويقول: إنّ ما ورد في الرّوايات والأدعية، من التّوسّل والاستشفاع بالنّبيّ وآله الطّاهرين، وجعلهم الوسيلة له تعالى، هذا كُلّه من الشّرك المنهيّ عنه، وهو عين الشّرك الوثني؛ بدليل أنّ هذا التّوجه من العبادة فيه آثار الشّرك، أو أنّ هذا التّوجه العبادي، يوحي إلى جنبة رُبوبيّة لغيره تعالى؛ فهو كشرك أصحاب الأوثان، حيث إنّهم مُشركون؛ لقولهم في أصنامهم وأوثانهم: إنّ هؤلاء شفعاؤنا عند الله، أو كقولهم، الذي أشار إليه القُرآن الكريم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[2] فلا فرق بين عبادة غيره سبحانه، سواءً كان نبيّاً أو وصيّاً، أو مُتكبّراً، أوغير ذلك، فكُلّه من الشّرك المنهيّ عنه.

نقول: هذه الشّبهة لا تحتاج إلى جواب، فهي أوضح من أن يُجاب عليها، ولكن نقول من باب التّقريب: إنّ هُناك فرقاً بين عبادة غيره تعالى، رجاء أنّ يشفع عند الله، أو يُقرّب إليه سبحانه، وبين عبادة الله وحده، مع الاستشفاع والتّقرّب إليه عزّ وجلّ، بمن يرتضيه، ففي الصّورة الأولى، إنّ

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) الزّمر: ٣.

الإخلاص والاستقلال بالعبادة لغير الله تعالى، هو عين الشّرك في العُبوديّة والعبادة المنهيّ عنه، وأمّا في الصّورة الثّانية، فالعبادة والعُبوديّة تكون لله وحده لا شريك له، مع الاستشفاع والتّقرّب إليه عزّ وجلّ بمن يرتضيه، وهذا هو عين ومخّ العبادة الحقيقيّة، التي ارتضاها وأرادها الله تعالى، كما نصّت عليه الآية الكريمة المُتقدّمة، أي، آية الوسيلة، فتفهّم!.

إذاً، لم يكُن تعظيم هؤلاء الطّيبين الميامين على وجه إعطائهم الاستقلال بالعُبوديّة؛ بل من باب كونهم الوجهة إليه، والشّفعاء عند ربّهم.

ولهذا المعنى أشار الإمام أبو عبد الله عليه السلام حيث قال: "والله يُسمّى بأسمائه، وهو غير أسمائه، والأسماء غيره، واسم الله غير الله، وكُلّ شيءٍ وقع عليه اسم شيء، فهو مخلوق ما خلا الله"[١].

وأيضاً، روى جابر بن عبد الله، عن أبي جعفر عليه السلام قال: "إنّ الله تعالى خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته، قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا، فقيل له: يا بن رسول الله، عدّهم بأسمائهم، فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟ فقال: مُحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحُسين، وتسعة من ولد الحُسين، وتاسعهم قائمهم، ثمّ عدّهم بأسمائهم، ثمّ قال: نحن والله الأوصياء، الخُلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن المثاني، التي أعطاها الله نبيّنا، ونحنُ شجرة النّبوّة، ومنبت الرّحمة، ومعدن الحكمة، ومصابيح العلم، وموضع الرّسالة، ومُختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ووديعة الله جلّ اسمه في عباده، وحرم الله الأكبر، وعهده المسؤول عنه، فمن وفى بعهدنا فقد وفى

(١) تفسير نور الثّقلين: ١/ ١١.

بعهد الله، ومن خفره فقد خفر ذمّة الله وعهده، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا، نحنُ الأسماء الحُسنى، التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا، ونحنُ والله الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، إنّ الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه على عباده، ولسانه النّاطق في خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرّأفة والرّحمة، ووجهه الذي يُؤتى منه، وبابه الذي عليه، وخزّان علمه، وتراجمة وحيه، وأعلام دينه، والعُروة الوثقى، والدّليل الواضح لمن اهتدى، وبنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثّمار، وجرت الأنهار، ونزل الغيث من السّماء، ونبت عُشب الأرض، وبعبادتنا عُبد الله، ولولانا ما عُرف الله، وأيم الله! لولا وصيّة سبقت، وعهد أخذ علينا، لقُلت قولاً يعجب منه، أو يذهل منه الأوّلون والآخرون"[(١)].

توقيفيّة الأسماء

المعروف بين العُلماء، أنّ أسماءه تعالى توقيفيّة؛ وذلك لأنّ كُلّ اسم يدلّ على صفة، ولا يعلم أحد بكيفيّة ثُبوت تلك الصّفة لذات الواجب تعالى؛ لعدم الإحاطة بحقيقة كنهه تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. نعم، إنّ العقل أدرك له صفات، كالعلم والقُدرة والحياة، وعدم فعل القبيح، وعدم الظّلم وغير ذلك، وهذه الصّفات قد وردت في القُرآن الكريم، ونصّت عليها الرّوايات الشّريفة؛ فنتمسّك بها، ونقف عليها.

وقد يتوهّم البعض، من أنّ هُناك ألفاظاً، قد وردت في القُرآن الكريم، ولكن مع ذلك لا يُمكن إطلاقها عليه تعالى، كالزّارع والماكر والمُستهزئ

(١) بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٠.

والمُستطيع... قال عزّ وجل في كتابه الكريم: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾(١) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٢) وقال تعالى أيضاً: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(٣).

نقول: إنّ هُناك قاعدة يؤسّسها عُلماء القُرآن، تقول: إنّ كُلّ اسم يتضمّن عند إطلاقه عليه تعالى معنى لا يُناسب ذاته المُقدّسة، فلا يجوز إطلاقه عليه تعالى، وما علم ثُبوت معناه عليه تعالى، ولو بالقرآئن، بحيث لا يتضمّن معنى غير مُناسب، فلا دليل على المنع.

فالخلاصة، في مسألة توقيفيّة أسمائه تعالى وعدمها، نقول: قد نُقل عن بعض العُلماء، بأنّ أسماءه تعالى توقيفيّة، ونُقل عن البعض الآخر، بأنّ أسماءه تعالى غير توقيفيّة، والمسألة فيها نظر.

قال العلامة الطّباطبائي في الميزان: "إنّه لا دليل على توقيفيّة أسماء الله تعالى من كلامه، بل الأمر بالعكس، والذي استدلّ به على التّوقّف من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الذين يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٤) الآية مبنيّة على كون اللام للعهد، وأنّ يكون المُراد بالإلحاد التّعدّي، إلى غير ما ورد من أسمائه، من طُرق السّمع، وكلا الأمرين مورد نظر(٥)".

ولكنّنا في المُحصّلة، نقول: إنّ المُتتبّع لروايات آل مُحمّد عليهم السلام يجد أنّ

(١) الواقعة: ٦٤.
(٢) البقرة: ١٥.
(٣) آل عمران: ٥٤.
(٤) الأعراف: ١٨٠.
(٥) الميزان: ٨/ ٣٥٨.

الأسماء مُتكثّرة بحسب الاقتضاء والاستدعاء، فثمّة روايات عدّت الأسماء تسعة وتسعين اسماً، وأُخرى عدّتها ثلاثة مئة وستّين اسماً، وهُناك من الأدعية بلغ الوارد فيها الألف اسماً، كدُعاء الجوشن الكبير، وعلى هذا، فإنّا ندور مدار ما ورد عنهمعليهم السلام باعتبار أنّهم ظُهور هذه الأسماء وتجلّياتها، فدقّق وتبصّر!.

آدم والأسماء

قال تعالى في مُحكم كتابه العزيز: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائكَة فَقَالَ أَنْبِئُوني بأَسْمَاء هَؤُلاَء إنْ كُنتُمْ صَادقينَ﴾[1].

ما المُراد من الأسماء التي علّمها الله تعالى لآدم؟ هل هي- كما ينقُل البعض- أسماء الإنس والجن والملائكة؟ أو أسماء الحيوانات والنّباتات و.. إلى آخر الأقوال؟

نقول: بعد طيّ المراحل النّورانيّة، وبعد التّمعّن في الآيات والرّوايات المُباركات، أصبح واضحاً، بأنّ المُراد من الأسماء، هم محُمّد وآل مُحمّدعليهم السلام.

فكيف لا يكونون هُمعليهم السلام وهُم الذين اجتباهم الله عزّ وجل، وطهّرهم على الخلائق أجمعين، حتّى على الملائكة والأنبياء والمُرسلين؟!

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: "يا عليّ، لو أنّ أحداً عبد الله حقّ عبادته، ثمّ شكّ فيك وأهل بيتك، أنّكم أفضل النّاس، كان في النّار"[2].

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) ينابيع المودّة لذوي القُربى: ٢/ ٢٩٨.

وروي عن أبي بصير، أنّه قال: "بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً، إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم، ولولا أنْ تقول فيك طوائف من أمّتي، ما قالت في عيسى بن مريم، لقُلت فيك قولاً لا تمرّ بملأ من النّاس، إلاّ أخذوا التّراب من تحت قدميك؛ يلتمسون بذلك البركة. قال: فغضب الأعرابيان، والمُغيرة بن شُعبة، وعدّة من قُريش معهم، فقالوا: ما رضي أنْ يضرب لابن عمه مثلاً، إلاّ عيسى بن مريم، فأنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[(١)]"[(٢)].

ونقل الشّيخ الكُليني في الكافي الشّريف، قُصّة الحارث بن عُمرو الفهري، واعتراضه على رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: "...فغضب الحارث بن عُمرو الفهري، فقال: اللّهم! إنّ كان هذا هو الحقّ من عندك، إنّ بني هاشم يتوارثون هرقلاً بعد هرقل، فأمطر علينا حجارة من السّماء، أو آتنا بعذاب أليم! فأنزلَ الله هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(٣)] ثمّ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بن عُمرو، إمّا تُبت، وإمّا رحلت؟ فقال: يا مُحمّد، قلبي ما يُتابعني على التّوبة، ولكن أرحل عنك، فدعا براحلته فركبها، فلمّا صار بظهر المدينة، أتته جندلة، فرضخت

---

(١) الزّخرف: ٥٧ـ ٦١.

(٢) الكافي: ٨/ ٥٨، باب، الشّبه بين أمير المؤمنين وعيسى عليهما السلام.

(٣) الأنفال: ٣٣.

هامته، ثمّ أتى الوحي إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنْ اللَّه ذِي الْمَعَارِجِ﴾(١) قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حوله من المُنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم، فقد أتاه ما استفتح به، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾»(٢).

فالخلاصة: إنّ الأسماء هُم عليهم السلام والمُسمّى هو الله عزّ وجلّ، والاسم غير المُسمّى؛ إذ لو كان الاسم هو ذاته جلّ شأنه، أو كان جُزءاً من ذاته، لما انفكّ عنها بالمرّة، والحال إنّنا نجد أنّ الاسم منفك عنها.

إذاً، الاسم غير المُسمّى، فيثبت المطلوب، وهو أنّهم عليهم السلام أسماء الله الحُسنى، وكلماته التّامّات؛ وإلاّ لكان عندنا تسعة وتسعون إلهاً، أو ثلاثة مئة إله، فالأسماء دالّة، والاسم له موقع الدّلالة، وهذا الدّالّ تارة، يكون ناطقاً، وأخرى، يكون صامتاً، فالدّالّ النّاطق، هُو مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام والصّامت، هو الكُتب والصّحف الإلهيّة، التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام من الله عزّ شأنه.

إذاً، مقام الذّات المُقدّسة، مُستغنية عن كُلّ ما وقع في الخارج أو في الذّهن، وأنّ مقام الفعل، هو مقام أسمائه الحُسنى وصفاته العُليا، أو بتعبير أدقّ، مقام المشيئة التي باشرت الأشياء في الخارج والذّهن(٣).

---

(١) المعارج: ١ـ٣.

(٢) الكافي: ٨/ ٥٨، تأسفه عليه السلام على حُدوث بعض ما حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) رُبّما تجد تكراراً في بعض المطالب هُنا، ولكن بما أنّ هذه المطالب، هي من أمّهات المطالب، فالوقوف عليها رُبّما يكون واجباً، لأهمّيتها وحسّاسيّتها، وللبُعد العقائدي الذي يكمُن في طيّاتها، لا من باب التّكرار القبيح، فتدبّر.

مقام الذّات المُقدّسة ومقام الصّفات

لابدّ من الالتفات والتّفريق بين مقامين، مقام الذّات المُقدّسة، ومقام الأسماء والصّفات.

المقام الأوّل- مقام الذّات

تقدّم الكلام، بأنّ ذاته تعالى ليس لها نعت، ولا وصف، ولا اسم، ولا رسم، بل هي مُستغنية عن كُلّ ذلك وغيره؛ وذلك بحسب الأدلّة والبراهين، والتي منها بُرهان الغنى الذّاتي له تعالى، وبنفس البُرهان يثبُت افتقار وحاجة غيره من المخلوقات.

وبكلمة مُختصرة، نقول: إنّ البحث عن مقام الذّات المُقدّسة مسدود، والطّلب مردود، وما هذا إلاّ بيان غناها، وفقر ما سواها.

المقام الثّاني- مقام الصّفات

قسّم العُلماء الصّفات إلى عدّة تقسيمات، منها: تقسيمهم الصّفات إلى صفات ثُبوتيّة وصفات سلبيّة.

والمُراد بالصّفات الثّبوتيّة: هي الصّفات التي تُفيد معنى إيجابيّاً بالمُباشرة، كالعلم والقُدرة والحياة، والمُراد بالصّفات السّلبيّة: هي ما تُفيد معنى إيجابيّاً أيضاً، ولكن ليس بالمُباشرة، فمعناها نفي النّواقص عنه تعالى، كنفي الشّريك، أو نفي الجهل والعجز و... فهي في الحقيقة سلب سلب الكمال، فحقيقتها إيجاب الكمال؛ لأنّ سلب السّلب إثبات، كقولنا: من ليس بجاهل فهو عالم، أو من ليس بعاجز فهو قادر، فهذا القول مرجعه ومآله إلى العلم والقُدرة، فالصّفات السّلبيّة في الحقيقة راجعة إلى الصّفات الثّبوتيّة.

وأيضاً قسّموا الصّفات الثّبوتيّة إلى حقيقيّة وإضافيّة، كالحياتيّة والعالميّة والقادريّة. أو بتعبير آخر، الصّفات الثّبوتيّة، صفات ذاتيّة وفعليّة.

فالمقصود بالصّفات الذّاتية: هي الصّفات التي انتزعت من فرض الذّات فحسب.

وأمّا الصّفات الفعليّة: هي الصّفات التي يتوقّف انتزاعها من مقام الفعل، بمعنى أنّ الذّات توصف بهذه الصّفات، عند مُلاحظتها مع الفعل، كالخلق والرّزق و... ففي مقام الصّفات، يُمكن حمل جميع الصّفات والوجودات الكماليّة، كالعلم والحياة والقُدرة عليه تعالى؛ بل لا يُمكن سلب أيّ كمال وجوديّ قط، فالوجودات الكماليّة موجودة للحقّ تعالى بأعلى وأشرف مرتبة كماليّة، وأيضاً يجب نفي جميع الصّفات السّلبيّة عنه تعالى، فهو سبحانه وتعالى مُنزّه عن كُلّ النّواقص.

أمّا مقام ذاته تعالى، فلا يُمكن وصفها بوصف- سواء كان إيجابيّاً أو سلبيّاً- أو نعتها بنعت، بل لا يُمكن حدّها أو رسمها، بأيّ شكل من الأشكال، بل لايُمكن أن يتصوّرها خيال، أو يُحيط بها وهم.

روى ثقة الإسلام الشّيخ الكُليني (أعلى الله مقامه) في الكافي الشّريف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال رجل عنده: "الله أكبر، فقال: الله أكبر من أيّ شيء؟! فقال: من كُلّ شيء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: حددّته[1]! فقال الرّجل:

(١) حدّدته بالتّشديد من التّحديد، أي، جعلت له حدّاً محدوداً؛ وذلك بجعله في مقابل الأشياء، ووضعه في حدّ، والأشياء في حدّ آخر.

كيف أقول؟ قال: قُل: الله أكبر من أن يوصف"[١].

إذاً، التّوحيد الخاص يستدعي التّفريق بين مقام الذّات المُقدّسة، ومقام الفعل والأسماء.

وإلى هذا المعنى أشار الإمام الرّضا عليه السلام في الرّواية الشّريفة، التي يرويها ثقة الإسلام الطّبرسي، في كتاب الاحتجاج، عن أبي قُرّة، حيث بيّن الإمام النّقطة الجوهريّة، للتّفريق بين الاسم والمُسمّى، بين مقام الذّات ومقام الفعل، حيث قال عليه السلام لأبي قُرّة: "إنّ التّوراة والإنجيل والزّبور والفُرقان، وكُلّ كتاب كان كلام الله، أنْزله للعالمين نوراً وهُدىً، وهي كُلّها مُحدثة، وهي غير الله، حيث يقول: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٢] والله أحدث الكُتب كُلّها الذي أنزلها، فقال أبو قُرّة: فهل يُفنى؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أجمع المُسلمون على أنّ ما سوى الله فان، وما سوى الله فعل الله، والتّوراة والإنجيل والزّبور والفُرقان فعل الله تعالى، ألم تسمع النّاس يقولون: ربّ القُرآن؟! وأنّ القُرآن يقول يوم القيامة: يارب! هذا فُلان، وهو أعرف به، قد أضمأت نهاره، أسهرت ليله، فشفّعني فيه؟ وكذلك التّوراة والإنجيل والزّبور كُلّها مُحدثة مربوبة، أحدثها من ليس كمثله شيء، هُدىً لقوم يعقلون، فمن زعم أنّهن لم يزلن، فقد أظهر أنّ الله ليس بأوّل قديم ولا واحد، وأنّ الكلام لم

(١) الكافي: ١/ ١١٧، باب، معاني الأسماء واشتقاقها.
(٢) الأنبياء: ٢.

يزل معه، وليس له بدؤ وليس بإله"[١].

وهذه الرّواية الشّريفة، خير شاهد على التّفريق بين الاسم والمُسمّى.

تكليم النّبيّ موسى ورؤية نبيّنا الأعظم

ثمّ إنّ الإمام الرّضاعليه السلام يُضيف حقائق نورانيّة أخرى، فحينما قال له أبو قُرّة: "فإنّا روينا، أنّ الله قسّم الرّؤية والكلام بين نبيّين، فقسّم لموسىعليه السلام الكلام، ولمُحمّدصلى الله عليه وآله الرّؤية، فقال أبو الحسن الرّضاعليه السلام: فمن المُبلّغ عن الله إلى الثّقلين الجّن والإنس؛ إنّه لا تُدركه الأبصار، ولا يُحيطون به علماً، وليس كمثله شيء، أليس مُحمّداًصلى الله عليه وآله؟ قال: بلى.

قال أبو الحسن الرّضاعليه السلام: فكيف يجي رجُل إلى الخلق جميعاً فيُخبرهم، إنّه جاء من عند الله، وإنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: إنّه لا تُدركه الأبصار، ولا يُحيطون به علماً، وليس كمثله شيء، ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صُورة البشر، أما تستحيون؟! ما قدرت الزّنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون أتى عن الله بأمر، ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر.

فقال أبو قُرّة: إنّه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[٢].

فقال أبو الحسن الرّضاعليه السلام: إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى، حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[٣] يقول: ما كذب فؤاد مُحمّدصلى الله عليه وآله

(١) الاحتجاج: ٢/ ١٨٥.

(٢) النّجم: ١٣.

(٣) المصدر السّابق: ١١.

ما رأت عيناه، ثمّ أخبر بما رأت عيناه، فقال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[(١)] فآيات الله غير الله، وقال: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[(٢)] فإذا رأته الأبصار؛ فقد أحاط به العلم، ووقعت المعرفة.

فقال أبو قُرّة: فتُكذّب بالرّواية؟!

فقال أبو الحسن الرّضا عليه السلام: إذا كانت الرّواية مُخالفة للقُرآن كذّبتها، وما أجمع المُسلمون عليه، أنّه لا يُحاط به علماً، ولا تُدركه الأبصار، وليس كمثله شيء.

وسأله عن قول الله: ﴿سُبْحَانَ الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[(٣)] فقال أبو الحسن الرّضا عليه السلام: قد أخبر الله تعالى: إنّه أسرى به، ثمّ أخبر أنّه لما أسري به، فقال: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ فآيات الله غير الله، فقد أعذر، وبيّن لم فعل به ذلك، وما رآه، وقال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[(٤)] فأخبر أنّه غير الله"[(٥)].

النُكات المُستفادة من هذه الصّحيحة

أوّلاً– إنّ الإمام عليه السلام يُريد أن يُبيّن أنّ هُناك فرقاً بين الاسم والمُسمّى، وبين الآية وذي الآية، أي، إنّ لله معنى يدلّ عليه بهذه الأسماء، وكُلّها غيره،

(١) المصدر السّابق: ١٨.
(٢) طه: ١١٠.
(٣) الإسراء: ١.
(٤) الجاثية: ٦
(٥) الاحتجاج: ١٨٥/٢.

وكذلك آياته ومخلوقاته؛ إذ إنّ هُناك فرقاً جوهريّاً دقيقاً بين أسماء الله تبارك وتعالى، وبين الذّات المُقدّسة.

ثانياً- إنّ الإمام عليه السلام في صدد بيان المقام الثّاني من مقام الوجود، الذي هو مقام الفعل، والنّور الأوّل، الذي منه صدرت الموجودات الأخرى، فلابدّ لهذا النّور والمقام أن يتمثّل، ويرقى أعلى الكمالات الجامعة لكُلّ الصّفات، التي أعطاها وأودعها سبحانه لبقيّة مخلوقاته، بحيث يكون المثل الأعلى، الذي لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً، وهذا يتّضح من اختيار حبيبه المُصطفى لهذه المنزلة، التي لم تعط إلى غيره من الأنبياء عليهم السلام حيث خصّه تعالى بالرّؤية، وهذا ممّا هو واضح من رواية الإمام الرّضا عليه السلام التي تُشير إلى المنزلة التي أُعطيت للحبيب المُصطفى صلى الله عليه وآله حيث إنّه بلغ المرتبة العُليا، التي صرّح بها القُرآن الكريم، حيث قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[(١)].

المنزلة التي لم يصل إليها لا نبيّ مُرسل، ولا ملك مُقرّب، حتّى ممّن كان أقرب ملائكة الله سبحانه وتعالى إليه، وهو الأمين جبرائيل؛ حينما بلغ إلى سدرة المُنتهى، وانتهى إلى الحُجب، إذ قال: "تقدّم يا رسول الله، ليس لي أن أجوز هذا المكان، ولو دنوت أنمُلة لاحترقت"[(٢)].

حقيقة الإسراء والمعراج

قال الحقّ سبحانه، مُخاطباً رسوله الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿سُبْحَانَ الذي أَسْرَى

(١) النّجم: ٨ ـ ٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٥٥.

بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

إنّ هذه الآية الكريمة، تُشير إلى حقيقة وجوديّة، ومكانة عالية، خصّ بها الله سبحانه رسوله الأكرم، مُحمّداً صلى الله عليه وآله.

فالذي ينبغي أن يُقال: إنّ حقيقّة الإسراء، ممّا لا شكّ ولا سبيل إلى إنكارها، فقد ذكرها القُرآن الكريم، وتواترت عليها الأخبار، من الخاصّة والعامّة.

فحقيقة الإسراء فيها اختبار للمقام السّامي، وللحقيقة المُحمّديّة، حيث إنّه تعالى، لم يجتبيه ويصطفيه، إلاّ بعد أن اطّلع على ما في نفسه صلى الله عليه وآله من استعداد، فوجده لما امتحنه صابراً؛ فسما إلى هذا الشّرف الرّفيع، والمقام المنيع، بأن يُشاهد صلى الله عليه وآله الآيات الإلهيّة، والدّلائل العلويّة، وليس المقصود بالرّؤية، رؤية الله تبارك وتعالى، كما ذهب البعض إلى ذلك، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، بل رأى الحقيقة العلويّة، والتي هي نفس الحقيقة المُحمّديّة(٢).

ومن المعلوم، أنّ الذي يختاره تعالى لهذا المقام السّامي، هو أفضل خلقه.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾(٣).

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) سوف يأتي تفصيل الرّؤية في البحث الآتي، إن شاء الله تعالى.

(٣) البقرة: ٢٥٣.

حيث إنّ أفضليّته صلى الله عليه وآله على الأنبياء عليهم السلام جميعاً، ثابتة نقلاً وعقلاً؛ فأفضليّته صلى الله عليه وآله على نبيّ الله موسى عليه السلام من جهات، منها: إنّ النّبيّ موسى عليه السلام وإنّ كان عارفاً بعظمة الله سبحانه، ومُطيعاً لأمر الله، لكن متى كان السّماع كالرّؤية؟! فنبيّنا الأعظم مُحمّد صلى الله عليه وآله خصّه الله تعالى بالرّؤية، ولم يخصّ أحداً من أنبيائه عليهم السلام بها، كما تضافرت بذلك الرّوايات، الواردة عن أهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام.

نقل الشّيخ الصّدوق (أعلى الله مقامه) في أماليه، عن صادق آل مُحمّد عليهم السلام قال: "أتى يهودي للنّبيّ صلى الله عليه وآله فقام بين يديه، يحدّ النّظر إليه. فقال صلى الله عليه وآله: يا يهودي، ماحاجتك؟!

قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران، النّبيّ الذي كلّمه الله، وأنزل عليه التّوراة والعصا، وفلق له البحر، وأظلّه بالغمام؟!

فقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه يُكره للعبد أن يُزكّي نفسه؛ ولكنّي أقول: إنّ آدم عليه السلام لمّا أصاب الخطيئة، كانت توبته، أن قال: اللّهم! إنّي أسألك بحقّ مُحمّد وآل مُحمّد، لمَا غفرت لي، فغفرها الله له.

وإنّ نوحاً عليه السلام لَمّا ركبَ في السّفينة، وخاف الغرق، قال: اللّهم! إنّي أسألك بحقّ مُحمّد وآل مُحمّد، لما أنجيتني من الغرق، فنجّاه الله منه.

وإنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أُلقي في النّار، قال: اللّهم! إنّي أسألك بحقّ مُحمّد وآل مُحمّد، لما أنجيتني منها؛ فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

وإنّ موسى عليه السلام لمّا ألقى عصاه، وأوجس في نفسه خيفة، قال: اللّهم! إنّي أسألك بحقّ مُحمّد وآل مُحمّد، لما آمنتني منها، فقال الله

جلّ جلاله: ﴿لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾[1].

يا يهودي، إنّ موسى لو أدركني، ثمّ لم يؤمن بي وبنبوّتي، ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النّبوّة.

يا يهودي، ومن ذُرّيتي المهدي، إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدّمه، وصلّى خلفه"[2].

اُنظر، أيّدك الله بتأييده! وقذف في قلبك من نوره الأزلي! أنّه لو كان عندنا فقط هذه الرّواية لكفتنا، فكيف والكُتب الحديثيّة، مشحونة بالرّوايات النّاصّة على أفضليّة نبيّنا الأكرم، وآل بيته، على الأنبياء والمُرسلين، بل على الخلائق أجمعين؟!

ورد عن الإمام أبي الحسن الرّضا، عن آبائه عليهم السلام عن سيّد الوصيّين ويعسوب الدّين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي، ولا أكرم عليه منّي، قال عليّ عليه السلام: فقُلت: يا رسول الله، فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا عليّ، إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المُرسلين على ملائكته المُقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمُرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ، وللأئمّة من بعدك"[3].

وكذلك الرّواية الواردة عن جابر الجُعفي، عن أبي جعفر، مُحمّد بن عليّ عليهما السلام قال: "بينما كان أمير المؤمنين عليه السلام جالساً، قد احتبى بسيفه، وألقى

(١) طه: ٦٨.

(٢) أمالي الصّدوق: ٢٨٨.

(٣) علل الشّرائع: ١/ ٥ ـ ٧.

خلف ظهره، والنّاس حوله، إذ أتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ في القُرآن آية قد أفسدت عليَّ قلبي، وشككت في ديني! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وما تلك الآية؟ قال الرّجل: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾(١) فهل في ذلك الزّمان من سبق مُحمّداً؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اجلس أيّها الرّجل، أشرح لك صدرك، فيما شككت فيه، إنّ شاء الله، فجلس الرّجل بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا عبد الله، إنّ الله يقول في كتابه، وقوله الحق: ﴿سُبْحَانَ الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾(٢) فكان من آيات الله تعالى، التي أراها مُحمّداً، أن أُسرى به حتّى انتهى إلى السّماء السّادسة، قام فأذّن مرّتين، وأقام الصّلاة مرّتين، يقول: فنادى به حيّ على خير العمل، فلمّا أقام الصّلاة، قال: يا مُحمّد، قم فصلّ بهم، واجهر بالقُرآن، إنّ خلفك زُمر من الملآئكة والنّبيّين، لا يعلم عددهم إلاّ الله، فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى بهم جميعاً ركعتين، فجهر بهما بالقراءة، ببسم الله الرّحمن الرّحيم، فلمّا سلّم النّبيّ، وانصرف من صلاته، أوحى الله تعالى إليه كلمح البصر، يامُحمّد: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾(٣).

قال: فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى من خلفه من الأنبياء، فقال: على ممّا تشهدون؟

---

(١) الزّخرف: ٤٥.
(٢) الإسراء: ١.
(٣) الزّخرف: ٤٥.

قالوا: نشهد أنّ لآ إله إلاّ الله، وأنّك رسول الله، وأنّ لكُلّ نبيّ منّا خلفاً وصيّاً من أهله، ما خلا هذا، فإنّه لاعصبة له، يعنون بذلك عيسى بن مريمعليه السلام وعلى ذلك أخذت مواثيقنا، ثمّ أقبل على الرّجل، فقال: يا عبد الله، هذا تأويل ما سألت عنه من كتاب الله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾"[(١)،(٢)].

ومنها الرّواية التي يرويها سُفيان الثّوري، عن أبي عبد الله، جعفر بن مُحمّدعليهما السلام قال: "قال النّبيّصلى الله عليه وآله: إنّه ليلة أسري بي إلى الله تعالى، عرجت سماءً سماءً، وجاوزت الكرّوبيّين[(٣)] والملآئكة الصّافين، وجاوزت موضعاً لم ينته إليه جبرائيلعليه السلام وبلغت طوبى وسدرة المُنتهى، فأوحى إليّ ربّي ما أوحى، فقالت حملة العرش: بم بُعثت يا مُحمّد؟ فقُلت: بنبوّتي[(٤)] وولاية أخي عليّ بن أبي طالب"[(٥)].

ونُقل أيضاً، عن الإمام الصّادقعليه السلام أنّه قال مُخاطباً أبا بصير: "يا أبا بصير، نحن شجرة العلم، ونحن أهل بيت النّبيّ، وفي دارنا مهبط جبرائيلعليه السلام ونحن خُزّان علم الله، ونحن معادن وحيّ الله، من تبعنا نجا، ومن تخلّف عنّا هلك، حقّاً على الله عزّ وجلّ"[(٦)].

(١) المصدر السّابق.
(٢) نوادر المُعجزات: ٧٣.
(٣) في المصدر: " الكوربين". والكرّوبيّون سادة الملآئكة، والمُقرّبون منهم.
(٤) في المصدر: " بولايتي".
(٥) نوادر المُعجزات: ٧١.
(٦) أمالي الصّدوق: ٣٨٣.

وروى ثقة الإسلام الكُليني (أعلى الله مقامه) بإسناده عن أبي الحسن عليه السلام أنّه قال: "ولاية عليّ عليه السلام مكتوبة في جميع صُحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلاّ بنبوّة مُحمّد صلى الله عليه وآله ووصيّة عليّ عليه السلام"(١).

الخلاصة: إنّ حقيقة الإسراء، بما فيها من أمور حسّيّة وغيبيّة، بل إنّ سرّ الوجود والموجود، ما هو إلاّ درجة سامية، ومنزلة عالية من مقام الفعل، مقام الأنوار الألهيّة، المُتمثّلة بخير البريّة، مُحمّد وآل مُحمّد (صلوات الله عليهم أجمعين) والتي عبّرت عنهم الرّوايات الشّريفة بالمشيئة الإلهيّة، أو الحقيقة العلويّة، والتي خُلق من فيضها الأقدس، الوجودات الإمكانيّة، ناسوتيّة ولاهوتيّة، من بدء الخلق وحتّى ختمه، ومروراً بتدرّج الموجودات، إلى مدارج الكمال الأقدس.

مقام الاسم الأعظم أصل الكمالات

ممّا لا شكّ فيه، أنّ كُلّ الكمالات، التي قد منحها الله عزّ وجلّ، ظهرت بشكل صفات، وظُهورها في الشّيء، يُعطي الشّيء قيمة أكثر، فالحياة صفة كماليّة للأشياء الحيّة، فالأشياء الحيّة، كالإنسان والحيوان، أكثر كماليّة، وأعلى قيمة من الأشياء غير الحيّة، كالحجر وغيره(٢).

(١) الكافي: ١/ ٤٣٧، باب، فيه نتف من الرّواية في الولاية.

(٢) رُبّما يرد توهم، مفاده: بأنّ هذا الكلام غير صحيح من وجه؛ لأنّنا نُلاحظ مثلاً، أنّ بعض الأشياء غير الحيّة أعلى قيمة من بعض الأشياء الحيّة، فالحجر الكريم، كالدّر والياقوت والألماس وغيرها، أعلى قيمة قطعاً من بعض الحيوانات الحيّة، كالحشرة والنّملة، بل أعلى قيمة من كثير من الحيوانات مُجتمعة!.

ففي الحقيقة، أنّ المانح لهذه الكمالات هي الذّات المُقدّسة، فلو كانت الذّات فاقدة لهذه الكمالات لما منحتها لغيرها؛ لأنّ فاقد الشّيء لا يُعطيه، فالعقل قاض، بأنّ الخالق يتّصف بكُلّ كمال حاصل، أو مفروض الحُصول، وأيضاً يحكُم العقل بتنزّه الخالق عن كُل نقص، سواء كان بالفعل أو بالقوّة.

ولكن إثبات هذه الأوصاف الكماليّة، أو سلب الأوصاف السّلبيّة عنه تعالى، مبني على التّأويل؛ وذلك بحُكم العقل والنّقل.

فالرّوايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام تُشير وتوكّد على هذه الحقيقة، كالرّواية التي ينقلها ثقة الإسلام الكُليني (أعلى الله مقامه) في الكافي الشّريف، عن صفوان بين يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا، والعلم ذاتُه ولا معلوم، والسّمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مُبصر، والقُدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء، وكان المعلوم وقع العلم منه[1] على المعلوم، والسّمع على المسموع، والبصر على المُبصر، والقُدرة على المقدور، قال: قُلت:

نقول: إنّ قصد سماحة العلامة، المؤلّف لهذه الأبحاث من كلامه، هو إلغاء الخُصوصيّات في الشّيئين. أي، أنّ صفة الكمال، التي هي الحياة في مثاله، لو قارنا شيئين أحدهما حيّ، كالحيوان، وآخر غير حيّ، كالدّر، وجرّدناهما من الخُصوصيّات جميعاً، كالنّدرة والمرغوبيّة والحاجة، واقتصرنا على خُصوصيّة الحياة فقط، لكان الشّيء الحيّ، أعلى قيمة من غير الحيّ؛ وذلك لصفة الحياة، التي هي صفة كمال للشّيء، فتدبّر جيّداً.

(١) أي، وقع على ما كان معلوماً في الأزل، وانطبق عليه وتحقّق مصداقه، وليس المقصود تعلّقه به تعلّقاً لم يكُن قبل الإيجاد.

فلـم يـزل الله مُتحـرّكاً؟ قـال: فقال: تعالى الله عن ذلك؛ إنّ الحركة صفة مُحدثة بالفعـل. قـال: قُلـت: فلـم يـزل الله مُـتكلّماً؟ قـال: فقـال: إنّ الكلام صفة مُحدثة، ليست بأزليّة، كان الله عزّ وجلّ ولا مُتكلّم"(١).

وعـن أبـي جعفـرعليه السلام أنّـه قـال: "إنّ الله خلـو مـن خلقـه وخلقه خلو منه، وكُلّ ما وقع عليه اسم شيء، فهو مخلوق، ما خلا الله"(٢).

وكـذلك الـرّواية التـي يـرويها الـشّيخ الـصّدوق (أعلـى الله مقامه) بسند مُتّـصل عن الإمام الرّضا، عن آبائه، عن الإمام الحُسينعليه السلام قال: "خطب أمير المؤمنـينعليه السلام الـنّاس فـي مـسجد الكوفة، فقال: الحمد لله الذي لا من شيء كـان، ولا مـن شـيء كوّن ما قد كان، مُستشهد بحُدوث الأشياء على أزليّته، وبمـا وسـمها بـه مـن العجـز علـى قُدرتـه، وبمـا اضـطرّها إليه من الفناء على دوامه، لم يدخل منه مكان فيدرك بأينيّته، ولا له شبه مثال فيوصف بكيفيّته، ولم يغيب عن علمه شيء فيعلم بحيثيّته"(٣).

فالإمـامعليه السلام نعـت الله سـبحانه وتعالـى بـنعوت، حيث استشهد بحدوث الأشـياء علـى أزليّـته، والاستـشهاد، هو طلب الشّهادة. أي، طلب من العُقول، بمـا بـيّن لهـا من حُدوث الأشياء، الشّهادة على أزليّته، أو من الأشياء أنفسها، بأن جعلها حادثة، فهي بلسان حُدوثها تشهد على أزليّة مُبدعها.

(١) الكافي: ١/ ١٠٧، باب، صفات الذّات.
(٢) المصدر السّابق: ١/ ٨٢، باب، إطلاق القول بأنّه شيء.
(٣) نهج البلاغة: ١١٥/٢، من خُطبة له في تنزيه الله.

الكلام صفة مُحدثة

فالإمام الصّادق عليه السلام في الرّواية المُتقدّمة، أعطى قاعدة كُلّيّة، حيث جعل الكلام صفة مُحدثة، ليست بأزليّة، حيث قال: "كان الله عزّ وجلّ ولا مُتكلّم" وما مرّ علينا من تكليم الله لنبيه موسى عليه السلام: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾(١) ليس المُراد بالمُتكلّم هو الذّات المُقدّسة؛ لأنّ الذّات تُجلّ عن كُلّ شيء، وإلاّ للزم التّركيب في الذّات المُقدّسة، وهو محال.

إذاً، كيف يُمكن أن نفهم تكليم الله لموسى (على نبيّنا وآله وعليه السّلام)؟

قال تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾.

إذا توقّفنا على ظاهر هذه الآية الكريمة، فإنّنا نفهم أنّ الله كلّم موسى عليه السلام ولكن كيفيّة هذا الكلام، وماهيّته، وأصل الجهة التي صدر منها الكلام غير مفهومة لدينا.

إذاً، يجب علينا صرف اللّفظ عن ظاهره، حتّى نصل إلى حقيقة التّكليم.

فبعضهم قال: إنّ الكلام حصل عن طريق خلق الأمواج الصّوتيّة في الفضاء، أو في الأجسام، أو ربّما صدرت من شيء آخر، كما ورد أنّها من شجرة (الوادي الأيمن) أو (جبل الطّور) وبلغت الكلمات مسامع موسى عليه السلام ممّا حدى بهذا البعض، الذي أعتمد على الظّاهر، وجمد عليه، وأخذ عُلومه من أناس بعيدين عن معدن العلم والحكمة، نائين عن مدينة العلم وبابها، فقادهم كُلّ هذا وغيره إلى الوقوع في شُبهة التّجسيم، فقالوا: إنّ هذه الآية وما شاكلها من الآيات، تدلّ على جسمانيّة الله سبحانه، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

(١) النّساء: ١٦٤.

إذاً، إذا أردنـا أن نعلـم حقيقة التّكليم، فيجب علينا أن نطرق باب مدينة العلـم، ونـنهل مـن منهلها، فإذا تأمّلنا في الرّوايات الشّريفة، الواردة عن أهل المديـنة وبابهـاعليهم السلام نـصل إلـى أنّ حقيقة التّكليم لم تحصل من مقام الذّات المُقدّسـة، بـل تلقـى موسـى (علـى نبيّـنا وآله وعليه السّلام) الكلام من مقام الفعـل، الـذي نُعبّـر عنه بمقام المشيئة، التي هي أوّل مخلوق خلقه الله تعالى، ومـنها خُلقـت الموجـودات الأخـرى، كمـا ورد عـن جابـر بن عبد الله، قال: "قُلـت لرسـول الله صلى الله عليه وآله: أوّل شـي خلـق الله تعالـى مـا هو؟ فقال: نور نبيّك يا جابر، خلقه الله، ثمّ خلق منه كُلّ خير"[1].

وبمعنى أدقّ: إنّ الكلام حصل من الحقيقة العلويّة الشّريفة.

قـال الإمـام أميـر المؤمنين (عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم): "أنا مُكلّم موسى"[2].

وكـيف لا يكـون كذلك، وهو الذي خصّه تعالى بالعجائب والمناقب؟! يقـول سليم بن قيس: "قُلت لأبي ذر: حدّثني (رحمك الله) بأعجب ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قـال: سـمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ حول العرش لتسعين ألف ملك، لـيس لهـم تـسبيح ولا عـبادة إلاّ الطّاعـة لعلـيّ بـن أبـي طالـب، والبـراءة من أعدائه، والاستغفار لشيعته.

---

(١) بحار الأنوار: ١٥/ ٢٤، ح٤٣.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٣٤٥.

قُلت: فغير هذا رحمك الله، قال: سمعته يقول: إنّ الله خصّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل بطاعة عليّ، والبراءة من أعدائه والاستغفار لشيعته.

قُلت: فغير هذا رحمك الله! قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لم يزل الله يحتج بعليّ في كُلّ أمّة فيها نبيّ مُرسل، وأشدّهم معرفة لعليّ أعظمهم درجة عند الله.

قُلت: فغير هذا رحمك الله! قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لولا أنا وعليّ ما عُرف الله، ولولا أنا وعليّ ما عُبد الله، ولولا أنا وعليّ ما كان ثواب ولا عقاب، ولا يستر عليّاً عن الله ستر، ولا يحجبه عن الله حجاب، وهو السّتر والحجاب فيما بين الله وبين خلقه.

قال سليم: ثمّ سألت المُقداد، فقُلت: حدّثني رحمك الله! بأفضل ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في عليّ بن أبي طالب.

قال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "إنّ الله توحّد بملكه، فعرّف أنواره نفسه، ثمّ فوّض إليهم أمره، وأباحهم جنّته، فمن أراد أن يُطهّر قلبه من الجن والأنس، عرّفه ولاية عليّ بن أبي طالب، ومن أراد أن يطمس على قلبه، أمسك عنه معرفة عليّ بن أبي طالب.

والذي نفسي بيده! ما استوجب آدم أن يخلقه الله، وينفخ فيه من روحه، وأن يتوب عليه ويردّه إلى الجنّة؛ إلاّ بنبوّتي والولاية لعليّ بعدي.

والذي نفسي بيده! ما أوري إبراهيم ملكوت السّماوات والأرض، ولا اتّخذه خليلاً، إلاّ بنبوّتي، والإقرار لعليّ بعدي.

والذي نفسي بيده! ما كلّم الله موسى تكليماً، ولا أقام عيسى آية للعالمين، إلاّ بنبوّتي ومعرفة عليّ بعدي.

والـذي نفسي بيده! ما تنبّأ نبيّ قط، إلاّ بمعرفته والإقرار لنا بالولاية، ولا استأهل خلق من الله النّظر إليه، إلاّ بالعُبوديّة له، والإقرار لعليّ بعدي"[١].

فإنّ النّور الذي تجلّى وظهر للجبل، ليس هو ذات الله المُقدّسة، بل هو مقام النّور العلوي، أو قُل: مقام التّجلّي، كما يُعبّر عنه القُرآن الكريم في الآية الشّريفة: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[٢].

وهذا التّجلّي المُعبّر عنه في القُرآن بتجلّي النّور، أي ظُهور نور الله، لا ذاته سبحانه، كما قال الشّيخ الصّدوق (أعلى الله مقامه): "أي ظهر للجبل بآية من آياته، وتلك الآية، نور من الأنوار التي خلقها"[٣].

فعليّ وآل عليّ عين الله النّاظرة، وإذنه السّامعة، ولسانه النّاطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرّحمة، ووجهه في السّماوات والأرض، ووحيه الأمين، وحبله المتين، وعُروته الوثقى، التي لا انفصام لها، وبابه الذي يؤتى منه، وبيته الذي من دخله كان آمناً، وعلمه على الصّراط في بعثه، من عرفه نجا إلى الجنّة، ومن أنكره هوى إلى النّار.

وإلى هذا أشار الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشّريف) في التّوقيع الصّادر منه لعثمان بن سعيد، في خُصوص الدّعاء، الذي يُدعى به في كُلِّ يومٍ من أيام شهر رجب الأصب، حيث قال: "اللّهم! إنّي أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك، المأمونون على سرّك، المُستبشرون بأمرك،

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٣٨١.
(٢) الأعراف: ١٤٣.
(٣) التّوحيد: ١١٩.

الواصفون لقُدرتك، المُعلنون لعظمتك، أسألك بما نطق فيهم من مشيتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك، وآياتك، ومقاماتك، التي لا تعطيل لها في كُلّ مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها"[١].

فالحقيقة العلويّة، المُتمثّلة بعليّ وآل عليّ، هي أوّل العدد، وسرّ الواحد الأحد؛ وذلك لأنّ ذات الله غير معلومة للبشر، فمعرفته تكون بصفاته، والصّفة تدلّ على الموصوف؛ لأنّ بظهورها عُرف الله، وهي النّور الذي شعشع عن جلال الأحديّة، في سيماء الحضرة المُحمّديّة، وإلى هذا المعنى أشار الإمام الحجّة (عجل الله فرجه) بقوله: "يعرفك بها من عرفك".

فهُم عليهم السلام النّور الذي أشرقت منه الأنوار، والواحد الذي ظهر به الاثنان، والسّر الذي نشأت عنه الأسرار، والعقل الذي قامت به العُقول، والنّفس التي ظهرت عنها النّفوس، واللّوح الحاوي لأسرار الغُيوب، والكُرسي الذي وسع السّماوات والأرض، والعرش العظيم، المُحيط بكُلّ شيء عظمة وعلماً، والعين التي ظهرت عنها كُلّ عين، والحقيقة التي يشهدها بالبدء كُلّ موجود، كما شهدت هي بالأحديّة للواحد القهّار، والتي لها الإياب، وعليها الحساب، وفصل الخطاب، كما ورد في الكنز المجهول، الزّيارة الجامعة الكبيرة، عن الإمام العاشر، والبدر الزّاهر، صلوات الله عليه، وعلى الهُداة والسّادة الولاة جميعاً، عدد ما في علمه ودوام مُلكه.

رفع إشكال وتوهّم

رُبّما يُتوهم مُتوهم، بقوله: إذا كانت مُهمّة الرّزق والحياة والموت، قد

(١) مُصباح المُتهجد: ٨٠٣.

أنيطت بمقام الفعل والمشيئة[١] أي، مقام حقيقة الحقائق المُتجلّية بهمعليهم السلام فماذا يبقى لمقام الذّات الإلهيّة؟ أليس هذا تحديداً لقُدرة الله، وكُفراً صريحاً، وشركاً واضحاً؟!

نقول: هذا التّوهم نشأ وترعرع في أوساط طبقة ليست بقليلة من النّاس، بل حتّى في بعض المُتسمين بشيعة أهل البيتعليهم السلام وفي مقام الجواب، نقول:

أوّلاً- إنّ سبب هذا التّوهم، هو أنّ هؤلاء قد رسموا صورة لله في أذهانهم وخيالهم، تعالى الله عن هذا علوّاً كبيراً، فحدّدوا الله في أذهانهم، وقيّدوا قُدرته بأقوالهم وأفعالهم، فهُم المُشركون والكافرون حقيقة، ودليل ذلك الكتاب المَجيد، في قول الحقّ السّديد: ﴿وَما يُؤمنُ أَكْثَرُهُم بالله إلاّ وَهُم مُشْركون﴾ وتفصيل ذلك قد تقدّم، ويأتي في مطاوي أبحاثنا، ما فيه التّأكيد والمزيد من البيان، ليُسفر الصُّبْح عن محْضه.

ثانياً- يجب أن نفهم معنى الشّرك، حتّى نرى أنّ الاعتقاد، بأنّ مُهمة الرّزق والحياة والموت، لو أنيطت بمقام الفعل والمشيئة، هلْ يستلزم منه أحد معاني الشّرك؟

مراتب الشّرك

قسّم عُلماء الأخلاق والعرفان الشّرك إلى ثلاث مراتب:

---

(١) كما ورد ذلك على لسان مولى الموحدين ويعّسوب الدّين إمام المتّقين عليّ بن أبي طالبعليه السلام في خطبة له، حيث قال: "أنا الذي علوت فقهرت، أنا الذي أُحيي وأُميت، أنا الأوّل والآخر، والظّاهر و الباطن".

المرتبة الأولى- الشّرك في الإلوهيّة

أي، اعتقاد وجود إلهين، وهذا هو الكُفر المُضاد للإسلام الظّاهري.

المرتبة الثّانية- الشّرك في الأعمال

وهو أن يُشبهها بالأغراض، ويَقصُد بها معهُ غيرَه، وهذه المرتبة هي مرتبة الشّرك المُقابل للإيمان بالغيب.

المرتبة الثّالثة- الشّرك في الوجود

بأن يعتقد أنّ هُناك موجوداً، يتّصف بالوجود الحقّاني غير الله، وهي المرتبة الأخفى، ويسمّونه: الشّرك الخفي، المُقابل للإيمان الحقيقي(١).

فهذه المراتب الثّلاث جميعاً، لا تنطبق على محلّ الكلام؛ فقولنا بأنّ أهل البيت عليهم السلام لهم القُدرة على الخلق والرّزق و.. فهذا بتفويض وإعطاء من مقام الذّات المُقدّسة، إحْداثاً لحقيقتهم الجامعة، وبكيفيّة لا نُدركُها أبداً، وليس استقلالاً، فلا يصدُق على هذا القول جميع مراتب الشّرك أعلاه، بل جميع التّصوّرات واحتملات الشّرك؛ لأنّ المسألة منوطة بإذن ونظر مقام الذّات المُقدّسة، وبلا كيف كما ذكرنا.

ثالثاً- بماذا تُجيبون في الملائكة التي أطبق أهل الإسلام، ونطَقَ صريحُ القُرآن الكريم، بأنّ الله فوّض بعض الأمور لهم، كجبرائيل عليه السلام الذي فوّض الله له نفْخَ الأرواح في الأجنّة، وإيصال وحيه إلى أنبيائه، وعزرائيل عليه السلام الذي فوّض الله له قبض الأرواح و... بل قد أعطى الله قُدرة خارقة حتّى

(١) عوالي اللآلي لابن أبي جمهور: ١/ ١٦٨.

لبعض الجن، قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾(١).

وفي آية أخرى: ﴿قَالَ الذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾(٢).

فإذا كان للعفريت من الجنِّ هذه القُدْرة، ولوصيّ سُليمان، وهو آصف بنُ برخيا، المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿الذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ﴾ هذه القُدرة والقابلية بإذن الله تعالى، فكيف لمقام المشيئة، التي خُلقت الأشياء بها؟! والأشياء جمع شيء، أي كُلّ ما يصدُق عليه شيء، فهو مخلوق بهم عليهم السلام فالملائكة والجن والخلق جميعاً مخلوق بواسطتهم، وقد تقدّم الكلام في ذلك مُجملاً، وسوف يأتي تفصيله، إن شاء الله تعالى.

الإمام عليّ والقُدرة الإلهيّة الملكوتيّة

ذكرت مصادر كثيرة، وفي أحاديث مُستفيضة، قُصّة قلع أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام لباب حصن خيبر، منها:

عن جابر بن عبد اللّه، قال: "حمل عليّ باب خيبر يومئذ، حتّى صعد

(١) النّمل: ٣٩.
(٢) النّمل: ٤٠.

المُسلمون عليه، ففتحوها، فجُرّب بعده، فلم يحمله إلاّ أربعون رجلاً"[1].

وروى عبد الله بن حنبل، عن أبيه، عن مشيخته، عن جابر الأنصاري، قال: "دفع النّبيّ صلى الله عليه وآله الرّاية إلى عليّ عليه السلام في يوم خيبر، بعد أن دعا له، فجعل يسرع السّير، وأصحابه يقولون له: ارقع، حتّى انتهى إلى الحصن، فاجتذب بابه، فألقاه على الأرض، ثمّ اجتمع منّا سبعون رجُلاً، وكان جهدهم أن أعادوا الباب، حتّى أعادوه"[2].

ونقل أبو القاسم محفوظ البستي، قال في كتاب الدّرجات: "إنّ عليّاً عليه السلام حمل على اليهود، بعد قتل مرحب، فانهزموا إلى الحصن، فتقدّم إلى باب الحصن، وضبط حلقته، وكان وزنها أربعين منّاً، وهزّ الباب، فارتعد الحصن بأجمعه، حتّى ظنّوا زلزلة، ثمّ هزّه أخرى فقلعه، ودحا به في الهواء أربعين ذراعاً"[3].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: "هُز حصن خيبر، حتّى قالت صفيّة: قد كُنت جالسة على طاق، كما تجلس العروس، فوقعت على وجهي، فظننت الزّلزلة، فقيل: هذا عليّ هزّ الحصن، يُريد أن يقلع الباب"[4].

وورد عن الإمام أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: "والله! ما قلعت باب خيبر، ورميت بها خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوّة جسديّة، ولا

---

(١) فرائد السّمطين: ١/ ٢٦١.

(٢) الإصابة لابن حجر: ٤/ ٤٦٦، الثّاقب في المناقب لابن حمزة الطّوسي: ٢٥٧.

(٣) نهج الإيمان لابن جبر: ٣٢٤، لكن باختلاف بسيط في بعض الكلمات.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٢٥.

حركة غذائيّة؛ لكنـي أُيّدت بقوّة ملكوتيّة، ونفس بنور ربها مُضية، وأنا من أحمد، كالضّوء من الضّوء..."[١].

قال المعتزلي:

ياقالع الباب الذي عن هزّها	عجزت أكفٌّ أربعون وأربع
والله لولا حيدر ماكانت الدّنيا	ولا جمع البريّة مجمع
أهواك حتّى في حشاشة مُهجتي	نار تشب على هواك وتلذع[٢]

المسيح عيسى بن مريم وإحياء الموتى

المسيح عيسى بن مريمعليه السلام كانت عنده قُدرة غيبيّة، على إيجاد الرّوح في الطّين، وخلق الطّير، ومنح الشّفاء للمريض، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وإخباره للمُغيّبات، التي لم تخطر على عقل بشر، كما أخبر تعالى عن هذه المُغيّبات في كتابه العزيز، حيث قال: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣].

فإنّ كُلّ ما صدر عن عيسىعليه السلام من تصرّف، يكشف عن وجود إرادة وقوانين خارقة للعادة، حيث كان يخلق من الطّين كهيئة الطّير، وينفخ فيه

(١) أمالي الصّدوق: ٦٠٤

(٢) الرّوضة المُختارة (شرح القصائد العلويّات السّبع) لابن أبي الحديد المُعتزلي: ١٤٠.

(٣) آل عمران: ٤٩.

فيكون طيراً، ويُعالج من استعصى دواؤه، دون آلة أو دواء.

والجدير بالذّكر، نرى أنّ الله ينسب هذه التّصرّفات إلى عيسى نفسه، وهذا يكشف عن وجود سلطة تكوينيّة غيبيّة عنده، وإنّ كانت مُستندة إلى الله سبحانه في واقع الأمر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾[1].

إذاً، صُدور هذه الأعمال من المسيح عليه السلام كان في الحقيقة مُستنداً إلى الله، من غير أن يستقل عنها، حيث نرى التّكرار في الآية (بإذن الله) لكي لا يضلّ النّاس، فيعتقدوا بإلوهيّة المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام.

يوسف والإرادة الغيبيّة

أمر يوسف عليه السلام إخوته، بأن يأخذوا قميصه إلى أبيه، ويلقوه على بصره، ليرتد بصيراً، كما أشار القُرآن إلى ذلك، حيث قال: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾[2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3].

فإنّ المُستفاد من ظاهر الآية، بأنّ رُجوع البصر إلى يعقوب، حصل بإرادة الصّدّيق يوسف، وأنّه لم يكُن فعلاً مُباشراً من الله تبارك وتعالى،

---

(١) المائدة: ١١٠

(٢) يوسف: ٩٣.

(٣) يُوسف: ٩٦.

وإنّما فعل ذلك بقُدرة وإرادة مُكتسبة منه تعالى.

ولو كان شفاء يعقوب عليه السلام أمراً مُستنداً لله مُباشرة، بدون تدخُل وواسطة يوسف عليه السلام لما أمر إخوته، بأن يلقوا قميصه على وجه أبيهم؛ بل يكفي في ذلك دعاؤه لأبيه، في ظهر الغيب لشفائه.

سُليمان والإرادة التّكوينيّة الغيبيّة

القُرآن الكريم يُصرّح بوجود سُلطة وإرادة تكوينيّة لسُليمان عليه السلام كإعطائه السّلطة على الجن والطّير، حتّى أصبحت من جنوده، حيث قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾(١).

وكذلك أعطي السّلطة والإرادة على عالم الحيوانات، حتّى إنّه كان يُخاطبهم، ويطلب منهم تنفيذ أوامره، ويُهدّدهم، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾(٢).

بل ثبتت مثل هذه الإرادة إلى غير الأنبياء عليهم السلام ففي قصة إحضار عرش بلقيس، قال تعالى: ﴿قَالَ يَاأَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾(٣).

---

(١) النّمل: ١٧.

(٢) النّمل: ٢٠ـ ٢١.

(٣) النّمل: ٣٨ ـ ٣٩.

وقال تعالى: ﴿قَالَ الذي عنْدَهُ علْمٌ منْ الْكتَاب أَنَا آتيكَ به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقرّاً عنْدَهُ قَالَ هَذَا منْ فَضْل رَبِّي﴾[١].

نقـول: إنّ حُصول مثل هذه الإرادة الغيبيّة أمر مُمكن، بل العبادة تمنح الرّوح قُدرة عظيمة، تجلب رضا الله تبارك وتعالى، بحيث تصل آثارها لقوانين خارقة للعادة.

وهذا ما أشار إليه الحديث القُدسي الشّريف، الذي ينقله ثقة الإسلام الكُليّني، في الكافي الشّريف، حيث قال: "ما تقرّب إليّ عبد بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضتُ عليه، وإنّه ليتقرّب إليّ بالنّافلة حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمعُ به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته..."[٢].

فهذه السّلطة على عالم التّكوين مُنحت للأنبياء وغيرهم من الصّالحين، ومعلوم أنّ مُحمّداً وآل مُحمّد عليهم السلام هم أفضل الخلق أجمعين، فمن الأولى ثُبوت ما هو أعظم لهم، ألمْ ترَ أنّ الإمام الهادي عليه السلام قد قال في صحيفة الصُّحُف، الزّيارة الجامعة الكبيرة: "آتاكم اللهُ ما لمْ يُؤت أحَداً من العالمين، طأطأ كلُّ شريف لشرفكُم، وبَخَعَ كلُّ مُتَجبِّر لطاعتكُم، وخَضَعَ كلُّ جَبّار لفضْلكُم، وذَلَّ كلُّ شيء لَكُم، وأشْرقت الأرضُ بنوركُم، وفازَ الفائزونَ بولايَتكُم"[٣] فتدبّر القولَ وما حَوى، ولا تُعِر سمْعاً لمَن عَوَى.

(١) النّمل: ٤٠.
(٢) الكافي: ٢/ ٣٥٢، باب، من آذى المُسلمين واحتقرهم.
(٣) من لا يحضره الفقيه: ٦١٥.

السّبب المُتّصل بين الأرض والسّماء

وبهذه المُقدّمة المُختصرة، يظهر جليّاً للمُتتبع، بأنّ الأئمة عليهم السلام هُم فيوضات الخير، والسّبب المُتّصل بين السّماوات والأرضين، وإلى هذا أشارالإمام الحجّة ابن الحسن عليه السلام في دُعاء النّدبة: "أين السّبب المُتّصل بين أهل الأرض والسّماء"(١).

وورد عن مولى الموحّدين، وإمام المُتقين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: "فإنّا صنائع ربّنا، والخلق بعد صنائع لنا"(٢).

فالله جلّ شأنه، لمّا أحبّ أن يُعرف، خلق الخلق لكي يُعرف، ولمّا أحسّ الخلق، أنّ لهم مُوجِداً وخالقاً أوجدهم، أرادوا أن يعرفوه(٣) خلق لهم بشراً مثْلَهم، يمثّل لهم الصّفات السّامية لذاته تعالى، بما اتّصفوا به من جميل الخصال، كما قال تعالى في الحديث القُدسي: "كنْتُ كنْزاً مخفيّاً، فأحببتُ أنْ أُعرف فخلقتُ الخلقَ لكي أُعرف"(٤).

ومّما يؤيد هذا الكلام، الحديث القُدسي، المروي في الكُتب المُعتبرة، حيث قال تعالى، مُخاطباً نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله: "خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي"(٥).

---

(١) إقبال الأعمال: ٢/ ٥٠٩.

(٢) نهج البلاغة: ٣٢، خُطب الإمام عليّ عليه السلام الخُطبة الثّالثة.

(٣) المعرفة قسمان: المعرفة الظّاهريّة لتشخيص الأشياء، والمعرفة الواقعيّة، وهي أساس الاتّصال بين الخالق والمخلوق، كما قال مولى المُوحّدين أمير المؤمنين عليه السلام: "لم تره العُيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القُلوب بحقائق الإيمان".

(٤) بحار الأنوار: ٨٤/ ١٩٩.

(٥) رياض السّالكين، في شرح صحيفة سيّد السّاجدين عليه السلام: ٣٦٣.

والذي يخطر في البال، في معنى هذا الحديث، وجوه:

الوجه الأوّل- إنّ الغرض الحقيقي، هو وجود النّبيّ مُحمّدﷺ فهو المقصود بالأصالة، فلو لم يخلقه الله لم يخلق غيره.

الوجه الثّاني- إنّ الله عزّ وجلّ خلق مُحمّداًﷺ لظهور قُدرته، وكمال علمه؛ لأنّ كمال المصنوع يدلّ على كمال صانعه، فظهور قُدرة الله وعلمه، بنحو الكمال تحقّق بمُحمّد وآله، ثمّ خلق سائر المخلوقات؛ لظهور شؤونهم وكمالاتهمعليهم السلام في العوالم جميعاً.

الوجه الثّالث- إنّ الله خلق مُحمّداً وآلهعليهم السلام وجعلهم واسطة في الفيوضات والإضافات جميعاً، كما يدلّ على ذلك، عبارات الزّيارة الجامعة[1] والأخبار المُتضافرة، بحيث ما من خير إلاّ وقد وصل ببركتهم ووساطتهم، وحيث إنّ أعلى أنواع الخير هو الوجود، فقد أوجد الله عزّ وجلّ جميع من سواهم ببركتهم، ولولا ذلك لما أوجد الله أحداً.

وهذا هو معنى قول الإمام الصّادقعليه السلام في الحديث المروي في الكافي الشّريف: "خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة"[2] فالمُراد بالمشيئة، الحقيقية المُحمّدية العلويّة، كما تقدّم تفصيلاً، حيث إنّ وجودهمعليهم السلام مطلوب بنفسه، لا بغيره، وخلق الله سائر المخلوقات ببركتهم ووساطتهم، حيث كانوا أحقّ البشر، في أن يتمثّلوا الصّفات القُدسيّة،

(١) حيث ورد فيها: "بكُم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم يُمسك السّماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه".

(٢) الكافي: ١/ ١١٠، باب، الإرادة أنّها من صفات الفعل.

ولولاهُم عليهم السلام لما حصل الغرض من خلق الخلق؛ فلذا كان خلق الخلق لأجل أولئك الذين مثّلوه، ليحصل بذلك عرفانه.

إذاً، فالنّبيّ المقدام صلى الله عليه وآله وأهل بيته العظام عليهم السلام هُم الحُجج البالغة على الخلق، الذين خصّهم الله تعالى في كتابه الحكيم، حيث فضّلهم وشرّفهم سبحانه، بقوله عزّ من قائل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1] وغيرها من الآيات الكريمة.

الخلاصة: بهذا وغيره، يثبت بأنّ الاعتقاد بأنّ الأئمة عليهم السلام هُم الواسطة بين الخلق والخالق سبحانه وتعالى، في الخلق والرّزق و... ليس كُفراً أو شركاً، أو يلزم منه تعدّد الآله؛ لأنّ الاعتقاد بإلوهيّته سبحانه وتعالى، يستلزم نفي الاعتقاد بإلوهيّة غيره، والاعتقاد بالأمور الغيبيّة، الخارجة عن القانون الطّبيعي، لا يوجب الاعتقاد بإلوهيّة ذلك الأمر الغيبي.

---

(١) الأنبياء: ٧٣.

الباب الأوّل

في فضل كلمة لا إله إلاّ اللّٰه

الحديث الأوّل

❖ المعاني المُستنبطة من كلمة لا إله إلاّ اللّه
❖ أسرار كلمة لا إله إلاّ اللّه

الحديث الأوّل

قــال أبــو جعفر، مُحمّد بن عليّ بن الحُسين بن موسى بن بابويه القُمّــيرَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حدّثَنا أبيرَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حدّثَنا سعد بن عبد الله، عن أحمد ابــن أبي عبد الله البرقي، قال: حدّثني أبو عمران العجلي، قال: حدّثَنا مُحمّــد بــن ســنان، قال: حدّثَنا أبو العلاء الخفاف، قال: حدّثَنا عطية العوفــي، عــن أبي سعيد الخدري، قال: قال رَسُول اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "ما قُلتُ ولا قالَ القائلُونَ قَبلي مِثلَ لا إلهَ إلاّ اللهُ".(1)

المعاني المُستنبطة من هذا الحديث العظيم

نقــول: إنّ أدلّ كلمــة نطق بها النّبيّ الخاتم المُصطفىصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لإفادة التّوحيد، هي كلمة (لا إلهً إلاّ الله).

---

(1) أورد هـذا الحديث الشّيخ الصّدوق في كتاب ثواب الأعمال: ٤، والحرّ العاملي في وسائل الشّيعة: ٧/ ٢١١، والشّيخ الطّبرسي في مكارم الأخلاق: ٣١٠.

وللعلم، فإنّ شارح كتاب توحيد الصّدوق، القاضي سعيد القُمّي، قد عنون الباب الأوّل من كتاب التّوحيد بـ(ثواب المُوحّدين والعارفين) وأورد فيه أربعة وثلاثين حديثاً، من أحاديث هذا الباب الخمسة والثّلاثين، فلم يذكر الحديث الرّابع والعشرين.

فمعنى هذه الكلمة العظيمة، هو أنّه لا معبود بحقّ إلاّ الله، ولا مُستحق للعبادة إلاّ الله وحده، وهي العُروة الوثقى، التي تضمّنت نفياً وإثباتاً، نفياً وبراءة من كُلّ معبود سوى الله، وإثباتاً وإيماناً وولاءً لإلوهيّة الواحد الأحد، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾[١] وهي الكلمة التي جعلها إبراهيمعليه السلام باقية في عقبه[٢] قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٣].

فمعرفة معنى هذه الكلمة، والعمل بمُقتضاها، هو الدّين الخالص لله تبارك وتعالى؛ لدلالتها على توحيد المعبود الحقّ، وهلاك وبُطلان ما سواه، وكُلّ من يُطيع دونه، وينظر إلى إلوهيّة غيره؛ فهو مصداق لقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[٤].

ثمّ اعلم، أيّدك الله! إنّ كلمة التّوحيد هي أصل الدّين، وأساس الملّة، وهي التي فرّق الله بها بين المُشرك والمُوحّد، وهي التي دعت إليها الرُسل جميعاً، وأنزلت من أجلها الكُتب، وخُلق من أجلها الثّقلان (الجّن والإنس)

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) باعتبار أنّ ملّة إبراهيمعليه السلام وملّة مُحمّدصلى الله عليه وآله واحدة، فهي مُشتملة على الأصول التي لا تتبدّل بتبدّل الشّرائع، مثل وجوب وجوده تعالى، وتوحيده بمراتب التّوحيد جميعاً، وتنزيهه عن صفات المخلوقين، والإقرار بالكُتب والرّسل الإلهيّة و...

(٣) الزّخرف: ٢٦.

(٤) الفُرقان: ٤٣.

وأنّ التّوحيد المحض، والإخلاص المُطلق، لا يتحقّق إلاّ بالنّفي والبرائة من كُلِّ معبود سوى الله تعالى، وهذا هو مقام التّخلي [١] وبإثبات إلوهيّة ووحدانيّة الواحد الأحد، وهذا بعينه مقام التّجلي [٢].

فهذه الكلمة العظيمة، والتي عبّر عنها الرّسول الأعظمﷺ بقوله: "ما قُلتُ ولا قالَ القائلُونَ قَبلي مِثلَ لا إلهَ إلاّ اللهُ" جامعة لأعلى وأكمل مراتب التّوحيد.

ونحن نبحث ـ إنّ شاء الله تعالى ـ في هذه الكلمة من عدّة وجوه، منها:

الوجه الأوّل ـ النّفي والحصر

إنّ الحصر أو القصر، هو: تخصيص شيء بشيء، بطريق مخصوص، ويكون بطُرق مُعيّنة، أشهرها: النّفي والاستثناء، وبما أنّ هذه الكلمة المُباركة قد أشتملت على أداتي النّفي والاستثناء (لا، إلاّ) وكان المُستثنى اسماً، ذُكر بعد أداة الاستثناء، وكان مُخالفاً لِما قبل الأداة في الحُكم، فيكون فيها الحصر أو القصر أبلغ وأتم.

الوجه الثّاني ـ أسرار كلمة لا إله إلاّ الله

إنّ هذه الكلمة مُشتملة على عقدين: عقد النّفي وعقد الإثبات، بمعنى، نفي إلوهيّة غيره، وإثبات إلوهيّته عزّ شأنه؛ لأنّ المُراد من النّفي، الوارد في كلمة (**لا إله**) هو نفي الإمكان المحض، والمُراد من الإثبات، الوارد في

(١) المُراد بمقام التّخلّي، هو: غسل درن الخاطر عمّا سوى الله تعالى.

(٢) المُراد بمقام التّجلّي، هو: ظُهور الإلوهيّة وانحصارها بالله تعالى.

كلمة (**إلاّ الله**) هو إثبات الوجود المحض.

أو بتعبير آخر، مُشتملة على مقامين: مقام التّخلّي ومقام التّجلّي، كما تقدّمت الإشارة إليهما.

فلو كان تمام الغرض من هذه الكلمة العظيمة، هو سلب إلوهيّة غيره، وإثبات إلوهيّته سبحانه، وأنّ الغرض من هذه الكلمة ينحصر بذلك، كما ينقل البعض؛ لكان هذا الكلام أمراً غير صحيح وغير تامّ.

صحيح أنّ القُرآن يُقرّر ويؤكّد على هذين الرّكنين، فتجد (النّفي والإثبات) نفي الإلوهيّة عمّا سوى الله، وإثبات الإلوهيّة له تعالى وحده، في كثير من آيات القُرآن الكريم، ومن ذلك آية (الكُفر بالطّاغوت) التي مرّ ذكرها، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[1] إلاّ أنّ المُستفاد من هذه الكلمة، لا ينحصر بهذا المعنى، بل هُناك حقائق وأسرار أخرى، لا يُدركها إلاّ من أوتي نصيباً من الرّحمة الرّبانيّة، والعناية المعصوميّة، من لدنهم عليهم السلام فهذه الكلمة هي تأكيد للحصر، وتنزيه له تعالى عن أنحاء التّركيب الذّهنيّة والخارجيّة جميعاً، وأنّ من قالها مُحيت ما في صحيفته من سيّئات، ودوّن في صحيفته مثلها من حسنات، كما ورد عن المعصوم عليه السلام.

إذاً، في هذه الكلمة أسرار إلهيّة عظيمة، نحاول نحن ببركتهم عليهم السلام أن نفهم ونستخرج شذرات معانيها، ونتعرّف على بعض هذه الأسرار المودعة فيها.

(١) البقرة: ١٦٣.

السرّ الأوّل- التّولّي والتّبرّي

نقول: إنّ نفي الأغيار في هذه الكلمة مُتقدّم على إثبات الواحد القهّار، وهو إشارة إلى أنّ السّالك إلى الله ما لم ينفِ غيره، ولم يحكُم بهلاك ما سواه، وأنّ كُلّ ما سواه غير مُستحقّ للوجود، لم يصِل إلى قُرب الله وجواره.

ففي هذه الكلمة تلميح، بل تصريح بليغ، بأنّ هناك ربطاً وثيقاً بين هذه الكلمة المُقدّسة (لا إله إلاّ الله) والولاية لمُحمّد وآل مُحمّدعليهم السلام بدلالة قول البدْر الزّاهر، الإمامِ العاشر، هادي آل مُحمّد، عليهم الصّلَوات السرْمَديّة: "مَن أَرادَ اللهَ بدأ بكُمْ، ومَنْ وحّدهُ قَبِلَ عنكُم، ومَن قصَدَه تَوجّهَ بكُم"(١).

فكما أنّ التّوحيد لا يتمّ إلاّ بنفي عمّا سوى الله سبحانه، فالتّولّي لمُحمّد وآل مُحمّدعليهم السلام لا يكتمل ولا يتحقّق إلاّ بشُروطه، ومن أهم شُروطه، البراءة من أعدائهم، عليهم لعائن الله.

السرّ الثّاني- سرّ الإخلاص وولاية الأئمة الأطهار

في هذه الكلمة العظيمة سرّ الإخلاص؛ حيث قُرنت بالتّوحيد؛ الذي يُعتبر فيه الإخلاص، ولا يحصل الإخلاص إلاّ بسلوك مراتبه ودرجاته، ولا يحصل ذلك إلاّ بمعرفة كيفيّة السّلوك، ولا تحصل تلك المعرفة إلاّ بالاتّباع والانقياد للحقيقة المُحمّديّة(٢) فبما أنّ الإقرار بالتّوحيد هو كلمة الإخلاص،

---

(٩) المُحتضر: ٢١٩، الزّيارة الجامعة.

(٢) كما نرى ذلك من فقرات الشّهادة، فإنّها وردت بعد تنزيه الله تعالى، ونفي الشّريك ◄

وهـذا لا يـتمّ إلاّ بالإقـرار بالحقـيقة المُحمّديّـة، وهـذه الأخيـرة لا تـتمّ إلاّ بالانقـياد للحقـيقة العلـويّة، التي هي نقاوة الإيمان؛ للتّنبيه على أنّ الإخلاص لا يتحقّق إلاّ بهما، فهما بمنزلة المرتبة الواحدة.

وهـذا يظهـر جلـيّاً للمُتتـبع فـي أقـوال وأحاديـث أهـل بـيت العـصمة والطّهـارةعليهم السلام فإمامـنا الرّضـاعليه السلام قـرن الإخلاص والتّوحيد لله تعالى، بطاعة أهـل البـيتعليهم السلام حيـنما قـال، فـي حديـثه المُتواتـر المـشهور: "حدّثني أبي، موسـى بـن جعفـر، عـن أبيه، جعفر بن مُحمّد، عن أبيه، مُحمّد بن عليّ، عن أبـيه، علـيّ بـن الحُسين، عـن أبـيه، الحُسين سيّد شباب أهل الجنّة، عن أمير المؤمنـينعليه السلام عـن رسـول اللهصلى الله عليه وآله قال: أخبرني جبرائيل الرّوح الأمين، عن الله تقدّسـت أسـماؤه وجـلّ وجهـه، قـال: إنّـي أنـا الله لا إلـه إلاّ أنـا وحدي، عـبادي فاعبدونـي، وليعلم من لقيني منكم بشهادة، أنّ لا إله إلاّ الله، مُخلصاً بهـا، أنّـه قـد دخـل حـصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي، قالوا: يا ابن رسـول الله، ومـا إخـلاص الشّهادة لله؟ قالعليه السلام: طاعة الله، وطاعة رسول الله، وولاية أهل بيتهعليهم السلام"[(١)].

وفـي حـديث آخـر عـن الإمام الرّضاعليه السلام أيضاً، أنّه قال: "من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنّة، بشرطها وشُروطها، وأنا من شُروطها"[(٢)].

عـنه، حيـث نرى أنّ كلمة الإخلاص بمنزلة الباب لها؛ ولذلك قُرنتا وصارتا كلمتين مُتقارنتين، لا يصحّ انفكاك إحديهما عن الآخرى.

(١) أمالي الشّيخ الطّوسي: ٥٨٩.

(٢) الأنوار اللامعة في شرح الزّيارة الجامعة، شرح عبد الله شُبّر: ١٩٤.

والمقصود من كلامه (صلوات الله عليه) "وأنا من شُروطها" بأنّه إمام مُنصّب على العباد من قبل الله عزّ وجلّ، مُفترض الطّاعة عليهم، حيث قرن شرط التّوحيد بطاعته (سلام الله عليه) وهذا قريب ممّا ورد في الزّيارة الجامعة المُقدّسة، حيث **قال المعصوم (صلوات الله تعالى عليه) فيها: "وأركاناً لتوحيده" أي، لا يقبل الله تعالى التّوحيد من أحد، إلاّ إذا كان مقروناً بالاعتقاد بولايتهمعليهم السلام كما ورد في جُملة من الأخبار، بأنّ مُخالفيهم مُشركون، وأنّ كلمة التّوحيد في القيامة، تُسلب من غير شيعتهم**.

فولايتهمعليهم السلام بمنزلة الرّكن للبيت، الذي لا قوام له إلاّ به، أو بمعنى أنّه لو لم يكونوا لم يتبيّن توحيده تعالى، حيث جعلهم أركاناً للأرض؛ لأجل أن يُوحّده الخلق، كما ورد ذلك عن الإمام الصّادقعليه السلام في وصف الأئمةعليهم السلام حيث قال: "جعلهم الله أركان الأرض، أن تَميد بأهلها، وحُجّته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثّرى"[1].

السّرّ الثّالث- لا عديل ولا شريك لها في الأعمال

ورد عن أبي حمزة، عن أبي جعفرعليه السلام أنّه قال: "ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلاّ الله؛ لأنّ الله عزّ وجلّ لا يعدله شيء، ولا يُشركه في الأمور أحد"[2].

---

(١) الكافي: ١/ ١٩٦، باب، أنّ الأئمةعليهم السلام هُم أركان الأرض.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني: ١٠/ ٣١٦.

والمُستفاد من هذا النّصّ وغيره، أنّه كما أنّ الله تعالى ليس له عديل ولا شريك في أمره، كذلك لا عديل ولا شبيه لـ (لا إله إلاّ الله) في الأعمال والثّواب.

السّرّ الرّابع ـ مظهر للرّحمة الرّحمانيّة والرّحيميّة

فهذه الكلمة العظيمة تُوجب صيانة النّفس والمال والعرض في الدّنيا، والشّهادة بها بالقلب توجب النّجاة من عذاب النّار في الآخرة، والفوز بنعيم الجنّة، وفيها مظهر للرّحمة الرّحمانيّة والرّحيميّة، ومن كان ذكره الدّائم بهذه الكلمة، فقد نجتْ سفينة قلبه، بمرساة لا إله إلاّ الله، من مهاوي الهلكة والأمواج المهيبة، من الحوادث والوساوس والأهواء، واطمأنّ فؤاده، فهذه الكلمة العظيمة توجب الطّمأنينة والاستقرار، قال تعالى: ﴿الذين آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّه أَلاَ بِذِكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

وإنّ في طيّاتها فوائد عظيمة، لا يُدركها إلاّ ذو البصائر، حيث إنّها تحمل آثاراً عظيمة، كنقاوة الباطن، وتنوير القُلوب، وتزكية النّفوس، والحُصول على القُرب الإلهي، ومشاهدة الأنوار، واللّحوق بالأبرار الصّالحين.

السّرّ الخامس ـ إنّها تدلّ على تفرّده الحقيقي

فهذه الكلمة المُقدّسة تشمل على الاسم المُقدّس (الله) واسم الله، هو اسم الذّات المُقدّسة، الدّال عليها دِلالة إثباتيّة لا دِلالة تحديديّة، المُستجمع

(١) الرّعد: ٢٨.

لصفات الكمال والجمال جميعاً، وأنّ كُلّ وجود وكمال، تنوّر بشعاع وجوده المُقدّس، ورشحات جود فيضه الأقدس، فإنّها تدلّ على تفرّده الحقيقي عزّ شأنه.

السّرّ السّادس - إنّها أصل العبادات جميعاً

من مظاهر وتجلّيات هذه الكلمة المُقدّسة، هو الإخلاص والتّوحيد ونفي الشّريك والأنداد له، ووصفه بالصّفات اللائقة به سبحانه وتعالى، ويُحكم باحتياج كُلّ موجود إليه؛ فبها تُقبل العبادات أو تُرد، فهي أصل العبادات جميعاً.

السّرّ السّابع - تتضمّن جميع صفات الكمال والجلال

فهذه الكلمة العظيمة تتضمّن جميع صفات الكمال والجلال؛ وذلك لأنّها تحتوي على اسم الله الأعظم، المُستبطن لصفات الكمال والجلال جميعاً.

السّرّ الثّامن - المُساوقة بين حُروفها وحُروف الرّسالة والولاية

فمن أسرارها المكنونة، التي حارت في دركها العُقول، هي المُطابقة والمُساوقة بين عدد حُروفها وحُروف الرّسالة[1] فعدد حُروفها مُطابق إلى عدد حُروف الرّسالة، المُتمثّلة بكلمات (مُحمّد رسول الله) وهذا من الأسرار التي يجب على ذوي الألباب الالتفات إليها، والتّوصّل إلى

(١) ولا يخفى، أنّ بين الرّسالة والولاية مُساوقة، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فيه منْ بَعْد مَا جَاءَكَ منَ الْعلْم فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنسَاءنَا وَنسَاءكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّه عَلَى الْكَاذبينَ﴾: (آل عمران:٦١) حيث قرن نفس النّبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله مع نفس وصيّه الأعظم، عليّ بن أبي طالب عليه السّلام بإجماع المُفسّرين.

مكنوناتها، وكذلك أنّ جميع حُروفها جوفيّة، يحتاج مُردّدها إلى الإتيان بها من خالص الجوف، يعني القلب، إشارة إلى التّجرّد عن كُلّ معبود سوى الله، وهي اثنا عشر حرفاً، على عدد شُهور السّنة، منها أربعة حُرم، وهي لفظ الله، كما أنّ الأشهر الحُرم أربعة، فمن قالها مُخلصاً، كُفّرتْ عنه ذُنوب السّنة، وهي مع حُروف الرّسالة (مُحمّد رسول الله) أربع وعشرون حرفاً، وعدد ساعات اللّيل والنّهار أربع وعشرون ساعة، فكُلّ حرف منها يُكفّر ذُنوب ساعة، وكلماتها سبع، وأبواب جهنّم سبعة، فكُلّ كلمة تسدّ باباً عن قائلها [(١)].

السّرّ التّاسع ـ اقترانها بالحقيقة العلويّة

ومن أسرارها المُهمّة، أنّها لا تُقبل إلاّ بالإقرار بالولاية، أي، بالحقيقة العلويّة؛ فإنّ الله عزّ شأنه لم يخلق أحداً إلاّ وأخذ عليه الإقرار بالوحدانيّة والولاية للذّرّيّة الزّاكية، والبراءة من أعدائهم، وأنّ العرش لم يستقر حتّى كُتب عليه بالنّور: "لا إله إلاّ الله، مُحمّد رسول الله، عليّ وليّ الله".

الخلاصة: إنّ لهذه الكلمة تركيباً خاصّاً، وربطاً إلهيّاً حسب التّأثير والتّأثّر، وترتّب الآثار بينها وبين الحقيقة المُحمّديّة العلويّة، إذ لا مجال للفصل بينهما بتاتاً.

---

(١) راجع في هذا المطلب، ما كتبه المُحقّق الصّمداني، القاضي القُمّي (أعلى الله مقامه) والأستاذ عليّ بو صخر، في كتابه (أسرار الحُروف والأعداد) والذي كان قد كتبه تحت إشراف سماحة المؤلّف (دام ظلّه).

الحديث الثّاني

- ❖ العبادة لُغةً واصطلاحاً
- ❖ المُراد من قول لا إله إلاّ اللّه
- ❖ سرُ كون لا إله إلاّ اللّه خير العبادة

الحديث الثّاني

حدّثَـنا مُحمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حدّثَنا مُحمّد بـن الحـسن الصّفار، قال: حدّثَنا إبراهيم بن هاشم، عن الحُسين بن يزيد النّوفلـي، عن إسماعيل بن مُسلم السّكوني، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: "قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: خيرُ العِبادة قولُ لا إلهَ إلاّ الله"[1].

العبادة لُغةً واصطلاحاً

العبادة لُغةً: غاية الخُضوع، ونهاية التّذلّل[2].

وفـي الاصـطلاح: امتـثال أمر الله كما أمر، بمعنى، الوجه المأمور به، من أجـل أنّـه أمـر؛ مـع المُـبادرة بغايـة الحُبّ والخُضوع والتّعظيم، وأمّا في واقعِ الأمْر ولبِّ الحقيقة، العبوديّةُ جوهرةٌ كُنْهُها الرّبوبيّةُ، وسيأتيكَ نبأهُ بعدَ حينٍ، فانْتظرْ إنْ كُنتَ من المُنتظِرين.

---

(١) إنّ هـذا الحـديث الـشّريف ذكـره الـشّيخ الكُليني (أعلى الله مقامه) في الكافي: ٢/ ٥٠٦، وذكره الشّيخ الصّدوق رَحِمَهُ اللهُ في كتاب ثواب الأعمال: ٤.

(٢) تجـد تعدّداً في استعمالات الكلمة، ولكن بطبيعة الحال نحن نبحث حول استعمال مُعيّن من تلك الاستعمالات التي ذُكرت، وهو المعنى المقصود في استعمالها.

ومن هذا التّعريف يظهر جليّاً، أنّ ليس كُلّ تعظيم عبادة، وأنّ ضابط التّعظيم المُقتضي للعبادة، هو أن يستصحب هذا التّعظيم، الذّلّة والمسكنة والحاجة والافتقار والتّسليم المُطلق لله سُبحانه وتعالى، ويعتقد العبد بانحصار التّأثير له تعالى، في النّفع والضّرر و...

فالعبادة من الموضوعات التي تطرّق إليها الذّكر الحكيم كثيراً، وحثّ عليها، قال تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[1] ونهى عن عبادة غيره، وجعلها الأصل الأصيل بين الشّرائع السّماويّة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2] كما أنّها الرّسالة المُشتركة بين الرّسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ﴾[3] فالمقصود منها الوصول إلى جانب عزّته في حظائر قُدسه بأجنحة الكمال؛ فإنّ ذلك هو الغاية لخلق الإنسان[4] والمطلوب منه، والمأمور بالتّوجه والسّير إليها، بوجهه الحقيقي، فإنّ من سعى لها سعيها، ولم يحصل له فتور وكلل، أدركها وفاز بحلول جنّات النّعيم، وإنّ قصّر في

---

(١) الإسراء: ٢٣.

(٢) آل عمران: ٦٤.

(٣) النّحل: ٣٦.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذّاريات:٥٦).

طلبها، وانحرف عن الصّراط المُستقيم[1] كان من الهالكين، وكانت غايته النّار، فيدخلها مع الخاسرين.

فالتّوحيد في العبادة، أحد مراتب التّوحيد، التي لا محيص للإنسان من تعلّمه، ثمّ عقد القلب عليه، والتّحرّر من أيّ لون من ألوان الشّرك، فلا تنال تلك الأمنية في مجالي العقيدة والعمل، إلاّ بمعرفة الموضوع معرفة صحيحة؛ حتّى لا يقع المُسلم في مغبّة الشّرك، وعبادة غيره تعالى.

المُراد من قول لا إله إلاّ الله

إنّ العبادة وإنّ كانت نهاية الخُضوع والتّذلّل، فلابدّ أن تكون عن إيقان نفسي وعرفان قلبي، الذي هو مُقتضى قول لا إله إلاّ الله، وما دلّت عليه هذه الكلمة؛ إذ أنّها رأس مال الإنسان، والوصول به إلى كمال الإنسانيّة، بعد طي المدارج العالية؛ لأنّ مراتب الوجود الإمكانيّة ظلّ حقيقة

(١) المُراد من الصّراط المُستقيم هُنا، ليس هو فقط الطّريق والممر الذي تمرّ عليه الخلائق يوم القيامة، والذي ورد ذكره في القُرآن الكريم، وأخبر به الصّادق الأمين صلى الله عليه وآله وأهل بيته الميامين عليهم السلام بل هو هُنا، إشارة إلى التّمسّك بصراط الحقيقة المُحمّديّة العلويّة؛ إذ لولاهم عليهم السلام لما خُلق الخلق، ولا أعطي لكُلّ خلق كماله، فإنّ الغاية من خلق الإنسان هي العُبوديّة، وكمال العُبوديّة لا يحصل إلاّ بالمعرفة، والمعرفة إنّما تحصل بهدايتهم وطاعتهم عليهم السلام ومعلوم أنّ الإنسان أشرف المخلوقات جميعاً، فغاية خلقه أشرف الغايات جميعاً، فيصحّ أن تكون الغاية من خلق الخلق جميعاً، المُعبر عنها في الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذّاريات: ٥٦).

وجود الحقّ، جلّت قُدرته، وأنّ حقيقة الوجودات الظّلّيّة، هي ظُهور قُدرة الحقّ تعالى، في المرائي الخلقيّة، فإنّ معناها، مُشاهدة فاعليّة الحقّ تعالى، وقُدرته في الخلق، والانقياد له، وتوحيده، ونبذ الشّرك عنه، والبراءة من عبادة غيره.

وأنّ الانقياد التّام لهذه الكلمة، لا يحصل إلاّ بالاعتقاد بلوازم هذه الكلمة ومُقتضياتها؛ حيث لا يكون الإنسان موقناً حقّ الإيقان، من دون أنّ يتيقن بشُروط اليقين، والتي من أهم شروطه، هو الانقياد المُطلق لمَقامِ الأبواب التي منها يُؤتى إليه، والتي هي تمُثّل مقام الفعل الإلهي، مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام الذي خُلق لأجلهم وبواسطتهم مقام الأثر الخارجي، والذي هو أعمّ من الإنس والجن، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك، في حديث ثامن الحُجج الإلهيّة، بقوله: "وأنا من شُروطها".

سرُ كون لا إله إلاّ الله خير العبادة

تضّمنتْ هذه الكلمة أسراراً عظيمة جليّلة القدر، لا يُحصيها ولا يُدركها حقّ إدراكها، إلاّ الرّاسخون في العلم عليهم السلام أمّا نحن فنحوم حول موائدهم، ونحاول أن نذكر بعض الوجوه، للسرّ في كونها أفضل العبادة، ببركتهم عليهم السلام.

الوجه الأوّل- لا تصحّ الاعتقادات إلاّ بها

لا يخفى أنّ كلمة "لا إله إلاّ الله" أصل التّوحيد، ولا يُراد منها مُجرد القول؛ بل القول الذي يكون مُقترناً بالإخلاص عن أيّة شائبة، وإلى ذلك

أشار قُطبُ دائرة التّوحيد، أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "وكمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه" حيث إنّ أصل الإسلام هو التّوحيد، فهذا هو أصل الأصول، ولا تصحّ الاعتقادات إلاّ به.

الوجه الثّاني ـ إظهار الفناء الذّاتي، والفُقر الحقيقي له تعالى

يكمُن في طيّات هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلاّ الله) الفناء الذّاتي، والفُقر الحقيقي، للوحدة الحقّة له تعالى، فهي تشتمل على إظهار الفناء الكُلّي، والفقر الحقيقي له تعالى.

الوجه الثّالث ـ تحقّق الوجود الحقّاني في الصّفة الرّحمانيّة

في كلمة (لا إله إلاّ الله) تحقّق الوجود الحقّاني في الصّفة الرّحمانيّة، المُندرجة فيها جميع الصّفات، بتجلّيه تعالى فيها، بحضرة الاسم الأعظم، وهو المَقام الجامع للصّفات الكماليّة: الجماليّة والجلاليّة جميعاً، المُعبر عنه بلفظة (الله) الموجود تجلّيّاً في عين الوجود، وإن شئتَ التعرّفَ على هذه الحقيقة المجهولة، فانظُر بعينِ القلب إلى سورة النّمل المُباركة، ودقّق في النّار، المُبارَك بمَن فيها ومَن حولها، والنّداء الصّادر من مَتنِها، الصّادر في أرجائها، فدقّق النّظر، واكتم الخبر!.

الوجه الرّابع ـ اشتمالها على عقدي الرّبوبيّة والعُبوديّة

تشتمل كلمة (لا إله إلاّ الله) على عقدي الرّبوبيّة والعُبوديّة، حيث إنّ العبد يشرع في العُبوديّة، وينتهي إلى الفناء المحض له تعالى، بالعصمة المُحمّديّة العلويّة.

الحديث الثّالث

- ❖ شهادة لا إله إلاّ اللّٰه أعظم الأعمال
- ❖ الآثار العباديّة والتّربويّة لكلمة لا إله إلاّ اللّٰه

الحديث الثّالث

حدّثَـنا مُحمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدّثَنا سعد بن عـبد الله، عـن أحمـد بن هلال، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سَمعتُهُ يقول: "ما منْ شيء أَعظم ثواباً منْ شـهادة أنّ لا إلـه إلاّ الله؛ لأنّ الله عَزّ وجَلّ لا يَعدِلهُ شيءٌ، ولا يشرَكه في الأمر أحدٌ"[1].

شهادة لا إله إلاّ الله أعظم الأعمال

المُستفاد مـن هـذه الرّواية الشّريفة، أنّه كما أنّ الله تعالى ليس له عديل ولا شـريك فـي أمـره، كـذلك لا عديل لشهادة (لا إله إلاّ الله) في الأعمال؛ لتناسب الجـزء مـع العمـل، فـلا عـديل لها في الثّواب، وأنّها أظهرت الفناء المحض، في الحـضرة القُدسيّة، وأنّ الكُلّ منه، وله، وبه، وإليه، فهي تجسيد الإقرار بوحدانيّته ووجوده، فلا يُقابلها ولا يُشابهها عمل من الأعمال، ولا تُقبل الأعمال إلاّ بها.

---

(١) هذا الحديث الشّريف، أورده الشّيخ الكُليني في الكافي الشّريف: ٢/ ٥١٦، وأورده أيضاً العلامة المجلسي في بحاره: ٣/ ٣، وكذلك العلامة الحُر العاملي في الوسائل: ٧/ ٢٨٠، وغيرهم.

وقد تحصّل ممّا مضى، أنّ شرف كُلّ معرفة بحسب شرف معروفها؛ فبما أنّ الله تعالى لا يعدله شيء، فمعرفته لا يعدلها شيء أيضاً، فهي أعظم من كُلّ ثواب حصل أو يحصل عليه الإنسان؛ بل لا حُصول للثّواب من دونها؛ لأنّ أوّل الدّين معرفته، كما نصّ مولى المُوحّدين، وإمام المُتّقين، أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث قال: "أوّل الدّين معرفته، وكمال معرفته التّصديق به، وكمال التّصديق به توحيده"[١].

إذاً، هُناك سببيّة وترابط وثيق بين الوحدانيّة لله عزّ شأنه، أي، بمعنى نفي العديل والشّريك لله تعالى، وبين نفي العديل والشّريك لهذه الكلمة العظيمة، حيث لا عديل ولا شريك لها في الثّواب.

أشار العلامة المجلسي (أعلى الله مقامه) إلى هذا التّرابط والسّببيّة، حيث قال: "ووجه التّعليل مبني على أنّه، إذا لم يعدله تعالى شيء، لا يعدل ما يتعلّق بإلوهيّته وكماله ووحدانيّته شيء؛ إذ إنّ هذه الكلمة الطّيّبة أدلّ الأذكار على وجوده ووحدانيّته، واتّصافه بالكمالات، وتنزّهه عن النّقائص، ويُحتمل أن يكون المُراد: إنّها لمّا كانت أصدق الأقوال، فكانت أعظمها ثواباً"[٢].

الآثار العباديّة والتّربويّة لكلمة لا إله إلاّ الله

كلمة (لا إله إلاّ الله) أعظم فريضة فرضها الله على عباده، وهي من الدّين بمنزلة الرّأس من الجسد.

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٤، خُطبة، ١.
(٢) البحار: ٣/ ٣.

ولهـذه الكلمة العظيمة آثار عباديّة، تربويّة، تكامُليّة، في الدّنيا والآخرة، لا يُحصيها إلاّ الرّاسخون في العلم، وهُم الحضرات المُتجلّية في عرصات عوالم الوجود، مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام ولنحاول نحن ببركتهم، أن نفهم ونستخرج بعض الأسرار الإلهيّة المودعة في فضلها، ونتعرّف على شذرات معانيها، والتي منها:

الشّذرة الأولى ـ الغُفران لقائلها

عن الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله قال: "إنّ لله عزّ وجلّ عموداً من ياقوتة حمراء، رأسه تحت العرش، وأسفله على ظهر الحوت، في الأرض السّابعة السّفلى، فإذا قال العبد: لا إله إلاّ الله، اهتزّ العرش، وتحرّك العمود، وتحرّك الحوت، فيقول الله تبارك وتعالى: أسكن ياعرشي، فيقول: كيف أسكن وأنْتَ لم تغفر لقائلها؟ فيقول الله تبارك: اشهدوا سُكان سماواتي، أنّي قد غفرت لقائلها"[(١)].

الشّذرة الثّانية ـ أرجح كفّة من السّماوات والأرضين

عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: "قال الله جلّ جلاله لموسى: "يا موسى، لو أنّ السّماوات وعامريهن، والأرضين السّبع في كفّة، ولا إله إلاّ الله في كفّة، مالت بهن لا إله إلاّ الله"[(٢)].

---

(١) مُسند الإمام الرّضا عليه السلام: ٢/ ٦.

(٢) ثواب الأعمال: ٢، وكذلك البحار: ٩٠/ ١٩٧، وأنظر كذلك مُقدّمة في أصول الدّين، لأستاذ المشايخ، الشّيخ الوحيد الخراساني (دام ظلّه): ٤٤.

الشّذرة الثّالثة ـ لا يُعذّب قائلها

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إنّ الله تبارك وتعالى أقسم بعزّته وجلاله، أنّ لا يُعذّب أهل توحيده بالنّار أبداً"[(١)].

الشّذرة الرّابعة ـ أعظم ثواباً من كُلّ شيء

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: "ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلاّ الله؛ لأنّ الله عزّ وجلّ لا يعدله شيء، ولا يُشركه في الأمور أحد"[(٢)].

خلاصة البحث في هذا الحديث الشّريف

إنّما صارت هذه الكلمة الطّيّبة أحبّ الكلمات إلى الله عزّ وجلّ؛ لأنّها أعلى كلمة وأشرف لفظة نُطق بها في التّوحيد، دالّة على وجوده تعالى مفهوماً، وعلى وحدته منطوقاً، وعلى استجماعها لصفات الكمال والجمال جميعاً، وتنزّهه عن النّقائص والزّوائل جميعاً، وليس في الأذكار ما يدلّ على ذلك دونها؛ لأنّ الأذكار إمّا تمجيد أو تنزيه، بخلاف هذه الكلمة، فإنّها جامعة بينهما، مُنطبقة على مراتب التّوحيد جميعاً.

ولا يخفى أنّ معرفة الدّين مشروطة بالإيمان؛ لمُقتضى هذا العمل، فكما أنّ التّوحيد مقرون بالإخلاص، كذلك فهو مشروط بالإيمان، كما أشارت إليها الرّوايات والأخبار الشّريفة، التي مرّ ذكرها آنفاً، في فضل هذه الكلمة العظيمة.

---

(١) بحار الأنوار: ٣/ ٤.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني: ١٠/ ٣١٦.

إذاً، اعلــم أيّــدك الله بفضله! وأنار قلبك بفيوضات علمه! أنّ هذه الكلمــة لا تُعادلهــا الأرضون السّبع، ولا السّماوات السّبع وساكنيهما، ولا المادّيــات والمُجــرّدات، ولا يــدرك عظمــتها إلاّ الواصلون إلى حقــيقة النّفــي والإثبات، التي اشتملت عليها هذه الكلمة الطّيّبة، وهُم حــصراً مُحمّــد وآل مُحمّــد عليهم السلام وهذا سرّ من أسرارهم، لا يؤمن به، ويــركن إلــيه، إلاّ مــن شــمله فيضهم الأقدس، وغرف من حوضهم، غرفة لا يظمأ بعدها أبداً.

الحديث الرّابع

- ❖ التّرابط بين الأصول العقائديّة الخمسة
- ❖ الإقرار بالرّبوبيّة يتضمّن الإقرارِ بالتّوحيد
- ❖ المعنى الحقيقي للرّبوبيّة
- ❖ الإقرار في عالم الذّرّ
- ❖ التّرابط بين التّوحيد والنّبوّة والولاية
- ❖ الفرائض والنّوافل والقُرب الإلهي

الحديث الرّابع

حدّثـنا مُحمّـد بـن موسـى بن المُتوكل رضي الله عنه قال: حدّثنا مُحمّد بن جعفـر الأسـدي، قـال: حدّثنـي موسـى بـن عُمران النّخعي، عن عمّه الحُـسين بـن يزيد النّوفلي، عن مُحمّد بن سنان، عن المُفضّل بن عُمر، قـال: قـال أبو عبد الله عليه السلام: "إنّ الله تَبارَكَ وتَعالى ضَمنَ للمُؤمن ضماناً، قـالَ: قُلتُ: ومَا هُوَ؟ قالَ: ضَمنَ لَهُ إنْ هُوَ أَقَرَّ لَهُ بالرُّبوبيَّة، ولمُحَمّد صلى الله عليه وآله بالنّبوَّة، ولعَليٍّ عليه السلام بالإمامَة، وأدّى ما افترضه عليه أنْ يُسكنه في جوارِه، قالَ: قُلتُ: فهذه والله! هي الكَرامةُ التّي لايَشْبَهها كَرامَةُ الآدَميّين، قالَ: ثمّ قالَ أبو عبد الله عليه السلام: إعمَلُوا قليلاً تَنعَّموا كثيراً"[1].

التّرابط بين الأصول العقائديّة الخمسة

إنّ هـذه الـرّواية كـسائر الرّوايات، المُتعرّضة للأصول الاعتقاديّة الحقّة، التي فـيها حـثٌ علـى التّمـسّك والارتـباط بها، بعد النّظر والتّفكّر في معانيها، ففيها تأثير نوعـيّ فـي مُحتواها لقضايا العقيدة، وتتحدّثُ عن أصول الدّين ومبانيه، فهي تُلبي

---

(١) هـذا الحـديث الـشّريف أورده الـشّيخ الـصّدوق فـي ثـواب الأعمال: ١٥، وكذلك العلامة المجلسي في البحار: ٣/ ٣.

حاجة الإنسان في تلك المرحلة إلى تشييد وإقامة قواعد الدّين الحنيف؛ لأنّها تضمّنتْ على مبحث، يُعد من أهم مباحث التّوحيد الإلهيّة، حيثُ اشتملت في طيّاتها أصول العقائد، وهذا سرّ من الأسرار الإلهيّة، التي يجب على الإنسان دركها والإحاطة بها، ولو على مُستوى الإدراك النّظري؛ وذلك بأنّ رابطة التّوحيد مع النّبوّة والإمامة لا فاصلة بينهم؛ وذلك لاستمرار المسيرة التّكامليّة للإنسان، ضمن التّغيير والبناء في المنهج الإلهي للإنسان، وإضافة إلى أصول العقيدة الحقّة، تعرّضت الرّواية لزيادة قيد العمل بالفرائض.

الإقرار بالرّبوبيّة يتضمّن الإقرار بالتّوحيد

إنّ الإخلاص لله وحده، والإقرار بالرّبوبيّة، والإذعان له بالعبوديّة؛ هو معنى الاستقامة والميل إلى ما أتى به إبراهيم عليه السلام من الملّة[1].

ولا شكّ أنّ الإقرار بالرّبوبيّة يتضمّن الإقرار بالتّوحيد والصّفات الكماليّة، والتّنزّه عن أوصاف النّقص جميعاً، كالظّلم وغيره، وكذلك يتضمّن الإقرار بالمعاد، الذي فيه يُحشرُ العباد.

المعاني الحقيقيّة للرّبوبيّة

إنّ المعنى الحقيقي للرّبوبيّة، الوارد ذكره في الرّواية أعلاه، هو إمّا بمعنى المالك والمُدبّر، أو بمعنى القادر، وكُلّ منهما صحيح.

(١) تقدّمت الإشارة إلى هذا المطلب، من أنّ دوام الاعتقاد الدّيني، والإيمان بالله، هو بنفسه دليل على الفطرة، ولا يُعد من العادة؛ لأنّه إذا كان ذلك على سبيل العادة، لما كانت له جنبة عُموميّة، ولا جنبة دائميّة، فهذا العُموم وهذا الدّوام دليل على فطريّة الحالة، التي فُطر عليها الإنسان.

المعنى الأوّل- بمعنى المالك والمُدبّر

إنّ المُراد من الرّبّ، هو الذي يُنفّذ مشيئته في مملكته كيف يشاء، وكما شاء، أي، خالق الأشياء وصانعها، الذي أخرجها من العدم، وأعطى وجوداتها وكمالاتها، بلا آلة ولا استعانة ولا رُؤية ولا حركة، كما نصّ الذّكر الجليّ بقوله: ﴿الذي أعْطى كلَّ شيءٍ خلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

فإنّ الحركة الجوهريّة، المُنتظمة في الموجودات، وارتباطها بعضها البعض، يُدلّل على أنّ مُدبّرها ومالكها واحد، فالإقرار بالرّبوبيّة، يتضمن الإقرار بالتّوحيد، وهو عين العدل والإيمان بالمعاد؛ لأنّ النّافذ للمشيئة لابدّ أن يكون مُتّصفاً بأعلى مراتب الكمال المُطلق، وسائر الصّفات الكماليّة، فهو عالم، قادر، عادل لا يجور؛ لأنّ ما خلا الكمال نقص، وهو خلاف نفوذ المشيئة فيه.

إذاً، الإقرار بالرّبوبيّة، يتضمّن الإقرار بالتّوحيد والعدل، والإيمان بالمعاد.

المعنى الثّاني- بمعنى القادر

إنّ المّراد من الرّبّ، هو الذي يقدر على الإيجاد والإعادة، ومُستغني عن كُلّ شيء، ولا يستغنى عنه شيء، بيده الإبداع والإعادة(١) قال تعالى:

(١) إنّ المُمكنات، كما تفتقر إلى العلّة المُحدثة، فهي مُفتقرة إلى العلّة المُبقية حال بقائها، فإذا كان معنى الرّبّ، هو إيصال الشّيء إلى كماله اللائق به، شيئاً فشيئاً، وحالاً فحالاً، فهو تعالى ربّ العالمين، فكما أنّه تعالى هو العلّة المُوجدة، فلا خلاف في أنّه السّبب المُبقي، فيُعلم من ذلك وحدة السّببين: المُوجد والمُبقي، كما تحرّر، من أنّ ما يستند إليه المُمكن في أصل وجوده حُدوثاً، يستند إليه بقاءً، وأنّ السّبب الموجد عين السّبب المُبقي.

﴿أَوَ لَيْسَ الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾ (١).

فإنّ مُقتضى ما ذكرناه، هو أنّ معنى الرّبّ، يتضمّن الإخراج التّدريجي من النّقص إلى الكمال، المُناسب للمربوب، مادّيّاً كان أو معنويّاً، فصفة الخالقيّة لا تتحقّق إلاّ بالقُدرة.

وبهذا الوجه يتبيّن أنّ ظُهور الأمور الثّلاثة: التّوحيد، العدل، الميعاد، مُتضمّنة لمعنى الرّبوبيّة.

الإقرار في عالم الذّرّ

إنّ الإقرار لله تبارك وتعالى، ولما جاء به قد حصل في زمان سابق على هذا الزّمان المادّي؛ باعتبار أنّ آيات الذّرّ تُثبتْ عالماً إنسانيّاً آخر، غير هذا العالم الإنساني المادّي التّدريجي، المشوب بالآلام والمصائب والمعاصي والآثام، المشهود لنا عن طريق الحسّ، فهو مُقارن للعالم المحسوس، لكنّه غير محكوم بالأحكام المادّيّة، فإذا نظرنا إلى الأشياء وجرّدنا النّظر، ومحضناه في كونها صنع الله وفعله المحض، غير المُنفك منه، ولا المُنفصل عنه، وهي نظرة حقّة واقعيّة، لم يتحقّق فيها إلاّ التّسليم لله، والخُضوع لإرادته، والتّذلّل لكبريائه، والتّعلّق برحمته، وأمر ربوبيّته، والإيمان بوحدانيّته، وبما أرسل به رُسله، وأنزل إليهم من دينه، فإنّ للبعث تعلّقاً بالنّطف، التي في الأصلاب والأرحام، وهُم أحياء عُقلاء مُكلّفون، فلا يتعلّق

(١) يس: ٨١.

الوجود الذّرّي بزمان دون زمان، وحيث لم تصل قوّة أنظارنا إلى أطراف هذه الأرقام، وأكناف هذه الكلمات العظام؛ لتعاظم حُروفها، وتعالي كلماتها، وتباعد أطرافها، وحافّاتها، فتضرّعنا إليه بلسان احتياجنا واستعدادنا: "إلهنا! ارحمنا على قُصورنا، ولا تؤيسنا عن روحك ورحمتك، واهدنا سبيلاً إلى وصول مرضاتك وجنّاتك" فتلطّف بنا؛ بمُقتضى عنايته الشّاملة، وحكمته الكاملة، ورحمته الواسعة، وقُدرته البالغة؛ إنموذجاً وجيزاً من معاني كلماته التّامّات، فقال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾(١).

والمُراد منها، نُفوس الكُمّل من الأنبياء والمُرسلين وأوصيائهم الميامين؛ لأنّ نفس كُلّ واحد منهم كلمة تامّة، نازلة من عند ربّ العالمين، كتابٌ مرقومٌ، يشهدهُ المُقرّبون، مُشتمل على آيات المُلك والملكوت، وأسرار قُدرة الله والجبروت، ثمّ اصطفى من بينهم، مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام كلمة جامعة، أوتيت جوامع الكلم، وأرسلَ إلينا رسولاً كريماً، ونوراً مُبيناً، وقُرآناً حكيماً، وصراطاً مُستقيماً.

ويؤيّد ذلك ما رواه العياشي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قال: "بعثَ اللهُ الرّسلَ إلى الخلق، وهُم في أصلاب الرّجال، وأرحام النّساء، فمن صدّقَ حينئذ صدّق بعد ذلك، ومن كذّب حينئذ كذّب بعد ذلك"(٢).

(١) الذّاريات: ٢١.

(٢) تفسير العياشي: ٢/ ١٢٦.

وأنّ الإقرار المُتحقّق في عالم الذّرّ، نفسه مُتحقّق في عالم المادّة، فكُلّ من أقرَّ لمقام الرّبوبيّة، والحقيقة المُحمّديّة، والولاية العلويّة، في ذلك العالم، فهو مُقرّ في هذا العالم المادّي أيضاً، وهذا تعليل مُتضمّن للآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾(١).

فالإقرار بالنّبوّة، يتضمّن الإقرار بالولاية؛ وإلاّ ما نفع الإقرار للنّبوّة وحدها، وإلى هذا المعنى أشار القُرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(٢).

وقد أجمع المُفسّرون، من الخاصّة وبعض العامّة، من أنّ هذه الآية نزلت في التّبليغ لولاية عليّ بن أبي طالبعليه السلام.

عن الإمام أبي جعفرعليه السلام في حديث المُفضّل، عن ابن سنان، حيث قال: "كُنتُ عند أبي جعفر الثّانيعليه السلام فأجريت اختلاف الشّيعة، فقال: يا مُحمّد، إنّ الله تبارك وتعالى، لم يزل مُتفرّداً بوحدانيّته، ثمّ خلق مُحمّداً وعليّاً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوّض أمورها إليهم، فهُم يحلّون ما يشاؤون، ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلاّ أنّ يشاء الله تبارك وتعالى، ثمّ قال: يا

(١) الأعراف: ١٧٢.
(٢) المائدة: ٦٧.

مُحمّـد، هـذه الدّيانـة التـي مـن تقـدّمها مـرق، ومن تخلّف عنها مُحق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا مُحمّد" (١).

التّرابط بين التّوحيد والنّبوّة والولاية

إنّ الأمـر بتوحـيد الله تعالـى والإقـرار بالنّبوّة، هو عينُ الاعتراف بالولاية العلويّة.

جاء فـي الكافـي الـشّريف، عن مُحمّد بن يحيى، بسند مُتّصل، عن أبي جعفرعليه السلام قـال: "إنّ الله عـزّ وجـلّ خلـقَ الخلـقَ، فخلق من أحبّ ممّا أحبّ، فكـان ممّـا أحـبّ، أن خلقـه مـن طيـنة الجـنّة، وخلق من أبغض ممّا أبغض، وكـان مـا أبغـضه أن خلقـه مـن طينة النّار، ثمّ بعثهم في الظّلال، فقُلت: وأي شـيء الظّـلال؟ فقـال: ألـم ترْ إلى ظلّك في الشّمس، شيء وليس بشيء، ثمّ بعـث مـنهم النّبيّـين، فدعـوهم إلـى الإقرار بالله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُـمْ لَـيَقُولُنَّ اللَّـهُ﴾ (٢) ثـمّ دعوهم إلى الإقرار بالنّبيّين، فأقرّ بعض، وأنكر بعـض، ثـمّ دعـوهم إلى ولايتنا، فأقرّ بها والله من أحبّ، وأنكرها من أبغض، وهو قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾" (٣).

فـاعلم، أيـدك الله! وأفـاض علـيك مـن رشـحات جوده الأقدس! بأنّ هُناك ربطـاً وثـيقاً، بـين الإقـرار بالـرّبوبيّة، والعـصمة المُحمّديّة العلويّة، وهي المُتحقّقة فـي عـالم الـذّر، قـبل عـالم المـادّة، فكمـا أنّ الإقرار بالرّبوبيّة، يتضمّن نفي عمّا

(١) الكافي: ١/ ٤٤١، باب، مولد النّبيّصلى الله عليه وآله.
(٢) الزّخرف: ٨٧.
(٣) الكافي: ٢/ ١٠، باب، من أجاب وأقرّ لله عزّ وجلّ بالرّبوبيّة.

سوى الله سبحانه، فكذلك يتضمّن الإقرار والاتّباع والانقياد للحقيقة المُحمّديّة والعصمة العلويّة، التي هي نقاوة الإيمان، وهذا ما حثّت عليه الرّواية الواردة في المقام، حيث قرنتهما (النّبوّة والولاية) بعدَ الرّبوبيّة مُباشرة، حيث قال عليه السلام: "ضَمِنَ لَهُ إنْ هُوَ أَقَرَّ لَهُ بالرُّبوبيَّة، ولمُحَمّد صلى الله عليه وآله بالنّبوَّة، ولعَليّ عليه السلام بالإمامَة".

قال الإمام العسكري عليه السلام: "مَن دفع فضل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على جميع من بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله فقد كذّب بالتّوراة، والإنجيل والزّبور، وصُحف إبراهيم، وسائر كُتب الله المُنزّلة، فإنّه ما نزل شيء منها، إلاّ وأهم ما فيه، بعد الأمر بتوحيد الله تعالى، والإقرار بالنّبوّة، الاعتراف بولايته والطّيبين من آله عليهم السلام"[(١)].

نُقل أنّ رجُلاً قال للإمام عليّ بن الحُسين عليهما السلام: "ما تقول في رجلٍ يُؤمن بما أُنزل على مُحمّد صلى الله عليه وآله وما أُنزل من قبله، ويؤمن بالآخرة، ويُصلّي ويُزكّي، ويصل الرّحم، ويعمل الصّالحات، لكنّه يقول مع ذلك: لا أدري الحقّ لعليّ أو فلان؟ فقال عليّ بن الحُسين عليهما السلام: ما تقول أنتَ في رجلٍ يفعل هذه الخيرات كُلّها، إلاّ أنّه يقول: لا أدري النّبيّ مُحمّد أو مُسيلمة! هل ينتفع بشيء من هذه الأفعال؟! فقال: لا، قال: فكذلك صاحبك هذا، كيف يكون مؤمناً بهذه الكُتب، من لا يدري أمُحمّد نبيّ أم مُسيلمة؟! وكذلك كيف يكون مؤمناً بهذه الكُتب والآخرة، أو مُنتفعاً بشيء من أعماله، من لا يدري أعليّ مُحقّ أم فلان؟!"[(٢)].

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٨٨.
(٢) بحار الأنوار: ٦٥/ ٢٨٥.

فالتّدقيق فيما ورد من معاريض كلماتهم، في هذا النّصّ وأشباهه، يستدعي القول بأنّ الولايةَ قُطْب دائرة رَحى التّوحيد، ومحْور النّبوّة، وقواعد الرّسالة، فمن لم يؤمن بعليّ، لم يؤمن بمُحمّد، ومن لم يؤمن بمُحمّدﷺ لم يؤمن بالله؛ لأنّ الإقرار بالولاية يستلزم الإقرار بالنّبوّة، والإقرار بالنّبوّة يستلزم الإقرار بالتّوحيد، وكذا إنكار الولاية يستلزم إنكار النّبوّة، وإنكار التّوحيد معاً.

ومثل هذا الباب، ممّا جاء في الحديث القُدسي، في قول الله سبحانه: "ولايةُ عليّ حصني، فمنْ دخلَ حصني، أمنَ ناري"[1] فحصر الأمان من العذاب في ولاية عليّ؛ لأنّ الإقرار بالولاية يستلزم الإقرار بالنّبوّة، والإقرار بالنّبوّة، يستلزم الإقرار بتوحيد الله وعدله ومعاده.

الفرائض والنّوافل والقُرب الإلهي

لقد عيّن الله جلّت عظمته، بمُقتضى تجلّيه باسم الرّبوبيّة، سلسلة عبادات جسيمة، وواجبات أخلاقيّة عظيمة، تهدف جميعاً إلى تربية الإنسان والوصول به إلى كماله اللائق، فالإنسان في ظّل العمل بهذه العبادات، وتطبيق هذه الواجبات الأخلاقيّة، يستطيع الوصول إلى الكمال الذي خُلقَ له، ويحصل على نصيبه من اللّذائذ الرّوحيّة والمعنويّة، في عالمي الدّنيا والآخرة.

وأنّ طريق التّكامل، هو العبوديّة لله عزّ وجلّ، ولا سبيل إليه بغيرها، وهو الهدف الذي تحترق من لهيبه قُلوب أصحاب الضّمائر الحيّة، احتراق

(١) الأمالي للشّيخ الصّدوق: ٣٠٦.

الفراش بشعلة الشّمع، وأنّه سفرُ الأنبياء والإلهيّين، قال مولانا صادق آل مُحمّدعليه السلام: "العُبوديّة جوهرة كُنهها الرّبوبيّة"[١].

وجاء في الحديث الصّحيح، الذي ذكره الفريقان ـ السنّة والشّيعة ـ عن الرّسول المُصطفى صلى الله عليه وآله أنّه قال: "ما تقرّب إليّ عبد بشيء، أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه، وإنّه ليتقرّب إليّ بالنّافلة حتّى أحبّه؛ فإذا أحببته، كُنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها"[٢].

ولا شكّ أنّ العبد، إذا التزم بوظائف العُبوديّة لله عزّ وجلّ، بعد المعرفة الحقّة لمقامات أسمائه وصفاته، وأطاع الله حقّ الطّاعة، تحصل له مرتبة عظيمة، ومنزلة كريمة، ممّا لا يصفها الواصفون، ولا يحصي غايتها القائلون، وهو مقام الرّبوبيّة، بمعنى، أنّه يفعل ما يشاء، وكيف يشاء، وحيثما يشاء؛ ولكن بإذن الله وإرادته، التي يعلم العبد بها، وإلى هذا أشار الحقّ في الحديث القُدسي: "عبدي أطعني تكن مَثَلَي، أنا أقول للشّيء كُن فيكون، وأنت تقول للشّيء كُن فيكون"[٣].

فللعبادة أهميّة خاصّة، للحفاظ على تقوية الجانب المادّي والرّوحي معاً، وبهما يرتفع الإنسان من حضيض النّفس البهيميّة، إلى ذروة المجد والمراتب الكماليّة، حتّى يُعد بمنزلة الملائكة، والسّكنى

(١) شرح الأسماء الحُسنى: ١/ ٥.
(٢) الكافي: ٢/ ٣٥٢، باب، من أذّى المُسلمين واحتقرهم.
(٣) شرح رسالة الحُقوق للإمام زين العابدين عليه السلام: ٤١٠.

بجــوار ربّ العزّة، كما أكّد على ذلك الحديث الشّريف، الذي تقدّم شرحه: "وأدّى ما افترضه عليه أنْ يُسكنه في جِواره".

وهذه هي والله! الكرامة التي خُلق الإنسان من أجلها.

الحديث الخامس

❖ معنى الشّرك
❖ عقاب أصحاب الكبائر
❖ حُكم من أنكر إمامة الأئمة المعصومين

الحديث الخامس

حدّثَنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال حدّثَنا عليّ بن إبـراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن مُحمّد بن أبي عُمير، عن إبراهيم بن زيـاد الكرخـي، عـن أبـي عبد الله، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قالَ: قالَ رسـولُ الله صلى الله عليه وآله: "مَـنْ مـاتَ وَلا يُـشرك باللهِ شَيئاً[1] أحْسَنَ أو أساءَ، دخلَ الجنّةَ"[2].

معنى الشّرك

الـشّرك لـه معنـيان: الـشّرك الظّاهـري، والـشّرك الواقعـي، وبتعبيـر آخر: الـشّرك الجلـيّ والـشّرك الخفـيّ، فالـشّرك باعتـبار الواقـع لـه معنى، وباعتبار

(١) إنّ كلمة شيء جاءت نكرة، ووقوع النّكرة في سياق النّفي يُفيد العُموم، إلاّ أن يرد هُـناك مُخصّص، وبمـا أنّـه لـم يـرد مُخصّص هُـنا، فإنّها شاملة لكُلّ من يُشرك بالله تعالـى، سـواء كـان الـشّرك في الذّات، أو في الصّفات، أو في الأفعال، أو غير ذلك من الأمور التي تقع في حدّ الشّرك.

(٢) الحـديث الـشّريف تناولـته عـدّة مصادر مُعتبرة، حيثُ ورد في البحار: ٣/ ٤، تفيسر نور الثّقلين: ١/ ٥٠.

الظّاهر له معنى آخر، ولتوضيح هذه الحقيقة المجهولة لدى أكثر المؤمنين، على ما صرّح به الحقّ في القُرآن الكريم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّه إلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ أقول مُختصراً، على أن نوافيك في تضاعيف هذا الكتاب مُفصّلاً، إنّ المعنى الظّاهري للشّرك، هو الاعتقاد بتعدّد الآلهة في تدبير وتسخير الوجود والموجود، وهو المُعتقد السّائد لدى أتباع الدّيانات المُحرّفة والثّنويّة، وأكثر البشريّة في سابق عهدها، وحتّى حاضره، وهذا هو الشّرك الذي يُعبّر عنه بالشّرك الجلّي، قال عزّ من قائل: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخذُوا إلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إنَّمَا هُوَ إلَـهٌ وَاحدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُوني﴾[(١)] **وأمّا المعنى الواقعي للشّرك، فهو الخلط بين الأسماء والصّفات والذّات، من دون تمييز، وهذا هو الشّرك الذي يُعبّر عنه بالشّرك الخفي، قال الرّسول الأكرم صلّى الله عليه وآله: "الشّرك في أمّتي أخفى من دبيب النّملة السّوداء في اللّيلة الظّلماء على الصّخرة الصّماء"[(٢)] وهذا الشّرك هو مورد ابتلاء الأكثريّة من هذه الأمّة، وهُم المشمولون بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللَّه إلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ فلم يُفرّقوا بين مقام أسمائه وصفاته المُحدَثة، وبين ذاته، التي لا وصف لها ولا نعت أبداً،** وقد فصّلت القول، وكشفت النّقاب، صحيحة هُشام بن الحكم، عندما سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها، فقال: "الله ممّن هو مُشتق؟ قال: فقال لي:

(١) النّحل: ٥١.
(٢) عوالي اللآلي: ٢/ ٧٤.

ياهُشام، الله مُشتق من إله، والإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المُسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ولم يعبُد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر، وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التّوحيد، أفهمت ياهُشام؟ قال: فقُلت: زدني، قال: إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، فلو كان الاسم هو المُسمّى، لكان كُلّ اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يدلّ عليه بهذه الأسماء، وكُلّها غيره، ياهُشام، الخُبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثّوب اسم للملبوس، والنّار اسم للمحروق، أفهمت ياهُشام فهماً تدفع به وتُناضل به أعداءنا، والمُتخذين مع الله عزّ وجلّ غيره؟ قُلت: نعم، قال، فقال: نفعك الله به، وثبّتك ياهُشام! قال هُشام: فوالله! ما قهرني أحد في التّوحيد حتّى قمت مقامي هذا"(١).

وبين يديك كتاب ينطق بالحقّ، آناء اللّيل وأطراف النّهار، قائلاً: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وسنُزيدك بياناً بما ذكرنا، فلا تعجل من قبل أن يُقضى إليك وحيه، وبهذا يتّضح لك روح النّصّ في هذا المقام وأشباهه، المُثبت للمُعتقد حقّاً، والنّافي للشّرك واقعاً، بكُلّ معانيه الظّاهرة والباطنة، عصمنا الله وإيّاكم! من الوقوع في الهاوية، وثبّتنا الحقّ المُتعال على القول الثّابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة.

فهذا الحديث الشّريف يُبيّن بصراحة، بأنّ جميع الذّنوب والمعاصي قابلة للمغفرة والعفو، ما خلا الشّرك، فهو من أكبر الكبائر، فلا يُغفر لمُرتكبه

---

(١) الكافي: ١/ ٨٧، باب، المعبود.

أبداً؛ إلاّ أن يكُفّ المُشرك عن شركه، ويتوب ويصير موحّداً.

وبعبارة أخرى: ليس هناك أيّ ذنب ـ كبر أو صغر ـ يُخلّد الإنسان في النّار أو يُزيل عنه الإيمان، ما خلا الشّرك، كما ليس هُناك أيٌّ عملٍ صالح ـ كبُر أو صغر ـ يُدخل الإنسان الجنّة، إذا كان هذا العمل مقروناً بالشّرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾(١).

فالحديث الشّريف من الأحاديث التي تُطمئن المُوحّدين إلى رحمة الله ولُطفه؛ لأنّ فيه قد بيّن الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله إمكان العفو عن المعاصي والذّنوب جميعاً، ما خلا الشّرك.

وهذا الحديث الشّريف خيرٌ لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشّمس؛ لأنّه لولا الأمل الذي أعطاه الله تعالى لعباده، وجعل باب التّوبة مفتوحاً لهم، لتمادى الكثيرون ممّن يرتكبون المعاصي العظيمة بمعاصيهم، ويقنطون من رحمة الله وغُفرانه إلى الأبد، فيتسبّب قُنوطهم في أن يسيروا بقيّة عُمرهم في طريق المعصية والخطأ، فجاء هذا الحديث، والذي كُلّه أمل ورحمة، يُبشّر في عفو الله وغفرانه، وأنّه خير وسيلة رادعة بالنّسبة إلى هؤلاء، وخير مانع من تماديهم في المعصية والطّغيان، وعلى هذا الأساس فإنّ هذا الحديث يهدف في الحقيقة إلى مسألة تربويّة علاجيّة.

فلا شكّ، أنّ الاعتقاد بالله، وعدم الشّرك به، سواء كان في الذّات أو في

(١) النّساء: ٤٨.

الصّفات والأفعال، أي أن يعتقد لا ذات في الوجود إلاّ سواه، ولا وجود حقيقي لما عداه، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، بحيث يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً﴾(١) فهذا الاعتقاد موجب لدُخول الجنّة، والفوز بالقُرب الإلهي، ورضوانه عزّ وجلّ.

فاعلم، أيّدك الله بتأييده! أنّ الآيات والأخبار، قد اختلفت ظاهراً، في من يستحق دُخول النّار، ومن يُخلّد فيها، ومن يدخُلها ثمّ يخرُج منها، وهذه المسألة من الأصول العامّة البلوى، والتي تحتاج إلى مزيد من التّحقيق والتّدقيق.

عقاب أصحاب الكبائر

أجمع عُلماء المُسلمين، على أنّ الكافر عذابه مؤبّد لا ينقطع، واختلفوا في أصحاب الكبائر، غير الشّرك بالله، فمنهم من قال بخُلودهم في النّار، إلاّ أنّ عُلماء الفُرقة الحقّة الإماميّة (أعلى الله مقامهم) قالوا: بأنّ عقاب أصحاب الكبائر غير الشّرك بالله مُنقطع(٢) لوجهين:

الوجه الأوّل- الإيمان أعظم أفعال الخير

إنّ استحقاق الثّواب بالإيمان رادع لاستحقاق العقاب، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه﴾(٣) فإنّ الإيمان أعظم أفعال الخير، فكيف يُخلد صاحبه في النّار؟!

---

(١) الفُرقان: ٣.

(٢) ذهبت أيضاً طائفة كبيرة من المُعتزلة والأشاعرة إلى ذلك.

(٣) الزّلزلة: ٧.

الوجه الثّاني- القُبح العُقلائي

يلزم من ذلك، أنّ من عبد الله تعالى مُدّة عُمره، بأنواع القُربات إليه، ثمّ عصى في آخر عُمره معصية واحدة، مع بقاء إيمانه، يكون مُخلّداً في النّار؟! فهذا يكون كمن أشرك بالله مُدّة عُمره، وذلك محال؛ لقُبحه عند العُقلاء.

وهذا الحديث، الذي نحن بصدده، هو دليل نقلي، يُرشدنا إلى حُكم العقل، على نفي الخُلود في النّار للمؤمنين، الذين يرتكبون الكبائر.

حُكم من أنكر إمامة الأئمة المعصومين

وأمّا من أنكر إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام فقد اختلف العُلماء في حُكمهم، فمنهم من قال بخُلودهم في النّار؛ لأنّهم دفعوا ما علم ثبوته من الدّين ضرورة، وهو النّصّ الجليّ، الدّالّ على إمامتهم عليهم السلام مع تواتره، وإجماع الفُرقة المُحقّة على ذلك، وإجماعهم حُجّة؛ لكون المعصوم الذي لا يجوز عليه الخطأ داخلاً فيهم، وأنّ المُنكرين لإمامتهم عليهم السلام والجاحدين لها، كجاحدي النّبوّة ومُنكريها، فهُم في الحُكم سواء، بدلالة قوله صلى الله عليه وآله: "من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة"[(١)].

وهذا يُدلّل على أنّ مقام الولاية الكُبرى لعليّ وآل عليّ، هو نفس مقام النّبوّة للأنبياء جميعاً، وخُصوصاً مقام الخاتميّة العُظمى لنبيّنا الأكرم مُحمّد صلى الله عليه وآله فالموالي والتّابع لعليّ وآل عليّ عليهم السلام هو موالي وتابع للنّبوّات الإلهيّة جميعاً، وخُصوصاً نبوّة نبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله والمُنكر لولاية عليّ وآل

(١) الكافي: ١/ ٣٧٧، باب، أنّ من عرف إمامه لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّر.

عليّ عليه السلام هو مُنكر لما جاءت به النّبوّات جميعاً، ومن ضمنها نبوّة نبيّنا مُحمّد صلى الله عليه وآله بلا أدنى شكّ أو ترديد.

نقل الشّيخ الكُليني (أعلى الله مقامه) عن حسّان الجمّال، عن عُميرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "سمعته يقول: أُمر النّاس بمعرفتنا، والرّد إلينا، والتّسليم لنا، ثمّ قال: وإن صاموا وصلّوا وشهدوا أنّ لا إله إلاّ الله، وجعلوا في أنفسهم أن لا يردّوا إلينا، كانوا بذلك مُشركين"[(١)].

فالمُنكرون لهم مُخلّدون في النّار؛ لعدم استحقاقهم الجنّة، بالإيمان المُقتضي لاستحقاق الثّواب، الموجب للدّخول إليها[(٢)].

(١) المصدر السّابق: ٢/ ٣٩٧.

(٢) تقدّم الكلام مُفصّلاً، بأنّه لا يُمكن الفصل بين الإيمان بالله سبحانه وبرسوله صلى الله عليه وآله والإيمان بالولاية للمعصومين عليهم السلام فهنا أيضاً يثبُت، بأنّ إنكار الولاية هو إنكار للتّوحيد والنّبوّة معاً.

الحديث السّادس

❖ حقيقة التّقوى
❖ معنى التّقوى لُغةً واصطلاحاً
❖ التّقوى بلسان المعصومين
❖ التّقوى والإيمان
❖ حقيقة التّقوى ولاية أهل البيت عليهم السلام

الحديث السّادس

حدّثَنا مُحمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليدرضي الله عنه قال: "حدّثَنا مُحمّد بن الحسن الصّفار، قال: حدّثَنا مُحمّد بن الحُسين بن أبي الخطاب، عن عليّ بن أسباط، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾(١) قالَ: "قالَ الله تبارك وتعالى: أنا أهلٌ أنْ أتقى ولا يُشركَ بي عَبدي شيئاً، وأنا أهلٌ إنْ لم يُشركْ بي عَبدي شيئاً، أنْ أدخله الجنّةَ. وقال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أقسَم بِعزّته وجلاله أنْ لا يُعذّب أهل تَوحيدهِ بالنّار أبداً"(٢).

حقيقة التّقوى

إنّ لكُلّ شيء حقيقة، وهذه الحقيقة هي أصل وجود وتحقّق الشّيء،

---

(١) المدّثر: ٥٦.

(٢) الحديث الشّريف ورد ذكره في مصادر مُعتبرة، حيثُ ورد في بحار الأنوار: ٣ / ٤، وكذلك في تفيسر نور الثّقلين للعلامة الجزائري: ١/ ٦٦.

فبدونها لا تحقّق للشّيء مُطلقاً، لا في ظرف الخارج ولا في الذّهن... ونستطيع أن نُقسّم حقيقة الشّيء إلى قسمين:

الحقيقة المعنويّة: وهي التي تتقيّد بالشّيء المعنوي غير المحسوس، مثل: الصّدق والكذب، فهذان شيئان معنويّان، حيث لا يوجد في الخارج شيء محسوس بالحواس الظّاهريّة اسمه كذب، أو صدق، أو...

الحقيقة المادّيّة: وهي التي تتقيّد بالشّيء المادّي، المحسوس بالحواس الظّاهريّة، مثل: هذه الشّجرة، وهذا الجدار، وزيد وعمرو وهكذا...

فلو لم تكُن حقيقة للصّدق ـ وهي شيء معنويّ ـ لم نجد شيئاً اسمه صدق، ولو لم يكُن حقيقة للشّجرة ـ وهي شيء مادّي ـ لم يوجد شيء اسمه شجرة.

إذاً، الحقيقة أصلُ كُلّ شيءٍ موجود في الحياة، سواء كان شيئاً معنويّاً أو مادّيّاً.

معنى التّقوى لُغةً واصطلاحاً

التّقوى لُغةً مُشتقة من كلمة: وقى يقي وقاية، فمثلاً، وقاه الله وقياً ووقاية، وقاه، يعني، صانه [(١)].

فنستوحي أنّ التّقوى، هي وقايةٌ وصونٌ من شيء ما، فمثلاً نقولُ: لبستُ الحذاءَ وقاية من الشّوك، أو نقولُ: اتّق أن يصل الماء إلى ملابسك، أي، صن ملابسك من أن يصلها الماء.

(١) لسان العرب: ١٥/ ٤٠١.

أمّا التّقوى إصطلاحاً، فهي بمعنى الحاجز الذي يحجزك عن إرتكاب المعاصي والآثام، أي، أن تجعل بينك وبين المعصية حاجزاً، وعليه قيل: المُتقي هو الذي يجعل بينه وبين عذاب الله وعُقوباته العاجلة والآجلة وقاية، من فعل الطّاعات وترك المنهيّات[١] فمثلاً، تجعل بينك وبين شُرب الخمر حاجزاً، يصونك ويقيك عن ذلك، وتجعل بينك وبين الكذب وقاية، بحيث كُلّما أردت أن تكذب، يصونك ويقيك شيء من أن تكذب، وهذا الشّيء هو الذي نصطلح عليه بالتّقوى.

التّقوى بلسان المعصومينعليهم السلام

نُلاحظ بأنّ كلام المعصومعليه السلام هو الكلام الدّقي لحقيقة كُلّ شيء، ولكن فهم كلام المعصوم يحتاج إلى عناية وميزة، يجب أن تتوفّر في الإنسان؛ حتّى يقف على بُطون وأسرار كلام المعصوم، فمثلما للقُرآن ظاهر وباطن، أيضاً كلام المعصوم له ظاهر وباطن، أمّا الظّاهر فيشترك في فهمه أغلب النّاس، الذين يفهمون اللّغة التي يتكلّم بها المعصوم، أمّا فهم باطن كلام المعصوم فلا يتهيّء لأغلب النّاس، بل للخواص، وهؤلاء فيه مراتب.

فلو دقّقنا في كلام أمير المؤمنين، ويعسوب الدّين عليّ بن أبي طالبعليه السلام في معنى التّقوى، حيث قال في تعريفها: "هي الخوف من الجليل، والعمل بالتّنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرّحيل"[٢] لوجدنا بأنّ

(١) شرح أصول الكافي: ٤/ ٢١٦.
(٢) سُبل الهُدى والرّشاد للصّالحي: ١/ ٤٢١.

جميع المعاني الجامعة لكلمة التّقوى مجتمعة في كلامه عليه السلام فهل تجد معنى آخر للتّقوى لم يشمله كلام المولى؟! أو معنى لا يدخل ضمن التّقوى وقد ورد في كلامه؟! فالتّمعن في كلام الإمام يُصوّر لك المعنى الحقيقي للتّقوى، خصوصاً إذا تدبَّرتَ كلمته الجامعة: "الخوفُ منَ الجَليل" لرأيتَ العجب العُجاب؛ وذلكَ لأنَّ الخوفَ أثَرُ المعرفة، كما صرَّح عليه السلام في خطبته التّوحيديّة الغرّاء، بقوله فداهُ مَن سواه: "أوّل الدّين معْرفتُه" فمعرفتُه متوقّفة على مراتبَ لا بُدَّ من طيِّها، وهي كما وردتْ على لسانه الحقّ: "وكمالُ معرفته توحيدُه، وكمالُ توحيده التّصديقُ به، وكمالُ التّصديق به الإخلاصُ له، وكمال الإخلاص له نفيُ الصّفات عنهُ" وبهذا يَنكشفُ لك سرّ التّقْوى المُترتّبة على معرفة الجليل، فتدبّر القولَ وما حوى.

فالتّقوى إذاً، منبع الفضائل كُلّها، فالرّحمة والوفاء والصّدق والعدل والورع والبذل والعطاء، كُلّها ثمرات من ثمار شجرة التّقوى، إذا أينعت في قلب المؤمن،

فالتّقوى هي التي تصحبك إلى قبرك، فهي المؤنس لك من الوحشة، والمُنجية لك من العذاب.

دخل الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى مقبرة، فقال: "يا أهل القُبور، يا أهل التّربة، يا أهل الغُربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنْتم لنا فرط سابق، ونحن لكُم تبع لاحق، أمّا الدّور فقد سُكنت، وأمّا الأزواج فقد نُكحت، وأمّا الأموال فقد قُسّمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثمّ التفت إلى أصحابه، فقال: أمّا لو أذن لهم في الكلام

لأخبروكم أنّ خيرَ الزّاد التّقوى"[١].

وسُئل الإمام الصّادقعليه السلام عن التّقوى، فقال: "أن لا يفقدك حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك"[٢].

وسُئل بعض السّالكين عن التّقوى، فقال: "هل دخلتم أرضاً فيها شوك؟ فقيل: نعم، فقال: كيف تعمل وما تصنع؟ قيل: نتوقى ونتحرّز، فقال: اصنعوا في طريق الدّين كذلك، فتوقّوا عن المعاصي، كما يتوقّى الماشي رجله من الشّوك. ونظمها بعض الشّعراء، فقال:

خلّ الذّنوب صغيرها وكبيرها ذاك التّقى
واصنع كماشي فوق أرض الشّوك يحذر ما يرى
لا تحقرنّ صغيرةً إنّ الجبال من الحصى[٣]

وقال ابن فهدرحمه الله في محكى عدّة الدّاعي، في تعريف التّقوى: "هي العدّة الكافية في قطع الطّريق إلى الجنّة؛ بل هي الجنّة الواقية من متالف الدّنيا والآخرة، وهي الممدوحة بكُلّ لسان، والمُشرّفة لكُلّ إنسان، وقد شحن بمدحها القُرآن، وكفاها شرفاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الذين أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[٤] ولو كانت في العالم خصلة هي

(١) نهج البلاغة، خُطب الإمام: ٤/ ٣١.
(٢) شرح أصول الكافي: ١/ ١١٨، الوسائل: ١٥/ ٢٣٩، باب، وجوب الصّبر على طاعة الله.
(٣) تفسير مجمع البيان: ١/ ٨٣.
(٤) النّساء: ١٣١.

أصلح للعبد وأجمع للخير، وأعظم بالقدر، وأولى بالايجال، وأنجح للآمال من هذه الخصلة التي هي التّقوى؛ لكان الله أوصى بها عباده؛ لمكان حكمته ورحمته، فلما أوصى بهذه الخصلة الواحدة جميع الأوّلين والآخرين، واقتصر عليها، عُلم أنّها الغاية التي لا يتجاوز عنها، ولا مُقتصر دونها، والقُرآن مشحون بمدحها»[1].

إذاً، اعلم أيّدك الله! بأنّ العبد إذا تمعّن في العظمة الإلهيّة، وتفكّر في الهيبة الرّبانيّة، حصل له خوف وخشية، يوجب حفظ نفسه عن المُخالفة، وميلها إلى الطّاعة، وترك المعصية، ويُسمى ذلك الخوف أو الحفظ أو الميل بالتّقوى، وهي تقوى القُلوب المذكورة في الآيات والرّوايات.

التّقوى والإيمان

ينبغي الالتفات إلى أنّ التّقوى ثمرة شجرة الإيمان، الذي هو من ثمار المعرفة الحقّة، ومن أجل الحصول على هذه الثّمرة النّادرة والغالية، ينبغي أن تكون قاعدة الإيمان راسخة ومُحكمة؛ وبالطّبع فإنّ مُمارسة الطّاعة وتجنب المعصية، والالتفات إلى المناهج الأخلاقيّة، تجعل التّقوى راسخة في النّفس، ونتيجتها ظُهور نور اليقين والإيمان في نفس الإنسان، وكُلّما ازداد نور التّقوى، ازداد نور اليقين أيضاً؛ ولذلك نجد التّقوى في بعض الرّوايات الشّريفة، على أنّها درجة أعلى من الإيمان، وأدنى من اليقين.

يقول الإمام الرّؤوف، ثامن الحُجج الإلهيّة، عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام:

---

(١) عدّة الدّاعي: ٢٨٥.

"الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتّقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التّقوى بدرجة، وما قُسّم في النّاس شيء أقل من اليقين"[١].

فأصل التّقوى هو الإيمان بالله تعالى، فلو لم يكُن هناك إيمان بالله جلّ جلاله لم يكُن هناك تقوى، والمقصود من الإيمان هو الإيمان الحقيّقي بما للكلمة من معنى، والذي حقّقناه فيما سبق، حيث قُلنا: إنّ الإيمان يتمثّل بالوحدة الحقّة له تعالى ومعرفته وتنزيهه، والإيمان بالنّبوّة، والولاية الكُبرى للمعصومين عليهم السلام إذ لو خلت سفينة التّقوى عن الإيمان، بقي صاحبها بعد خُروجه من الدّنيا فقيراً مُضطرباً مُتحيّراً في أمره، ولا يحصل على الكرامة والقُرب منه تعالى، ولا يستحق الفيوضات الدّنيويّة والأخرويّة، مثل الجنّة ودرجاتها وثمراتها وقطوفها الدّانية، وغير ذلك ممّا أعدّه الله لأوليائه الأبرار.

وواضح أنّ الإيمان بالنّبوّة والولاية أصل التّوحيد ومعرفة الله؛ لأنّهما جميعاً داعيان إلى الله، ومناديان لتوحيده، وأنّ كُلّ إنسان كان هدفه ومُعتقده هكذا، كان من أهل تقوى الله سبحانه، وأهل مغفرته، كما أشارت الآية الكريمة: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[٢].

حقيقة التّقوى ولاية أهل البيت

نُقل عن الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام أنّه قال: "نحن كلمة التّقوى والعُروة الوثقى"[٣].

(١) الكافي: ٢/ ٥١، باب، فضل الإيمان على الإسلام، واليقين على الإيمان.
(٢) المدّثر: ٥٦
(٣) الخصال: ٢٠٣.

ونقل ثقة الإسلام الكُليني (أعلى الله مقامه الشّريف) في زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كلاماً يُدلّل على أنّهم عليهم السلام حقيقة التّقوى، حيث قال: "أشهد أنّك كلمةُ التّقوى، وبابُ الهُدى، والعُروةُ الوثقى، والحبلُ المتين، والصّراطُ المُستقيم"(١).

وفي الحديث عن النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: "إنّ الله عهد إليّ في عليّ عهداً، قُلتُ يا ربّ! بيّنه ليّ، قال: استمع! قُلت سمعتُ، قال: إنّ عليّاً عليه السلام آية الهُدى، وإمام أوليائي، ونورُ من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المُتقين، من أحبّني أحبّه، ومن أطاعني أطاعه"(٢).

الخلاصة

اعلم، جعلنا الله وإيّاك من المتّسمين بسمات الله! بأنّ الولاية لمُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام هي الكلمة التي ألزمها الله المُتقين، كما تقدّم، وكما أشار النّبيّ المُصطفى صلى الله عليه وآله حيث قال: "نحن كلمة التّقوى، وسبيل الهُدى"(٣) أي، ولايتنا الكلمة التي بها يُتّقى من النّار، أو نحن أهلها، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾(٤) فلا يكون الإنسان من أهل كرامة الله وأهل مغفرته، إلاّ أن يكون ممّن التزم بالتّقوى، وحقيقة التّقوى، والتي هي ولاية مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام.

(١) الكافي: ٤/ ٥٧٠، باب، ما يقال عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام.
(٢) الأمالي للشّيخ الصّدوق: ٥٦٥
(٣) بحار الأنوار: ٢٤/ ١٨٤.
(٤) الفتح: ٢٦

الحديث السّابع

❖ حقيقة الموحّدين
❖ معرفة الإمام وتوحيد الله
❖ ولاية أهل البيت عليهم السلام حجاب من النّار

الحديث السّابع

حدّثَـنا مُحمّـد بن أحمد الشّيباني رضي الله عنه قال: حدّثَنا مُحمّد بن أبي عـبد الله الكوفـي، قـال: حدّثَـنا موسـى بـن عُمران النّخعي، عن عمّه، الحُـسين بـن يزيد النّوفلي، عن عليّ بن سالم، عن أبي بصير، قالَ: قالَ أبـوُ عـبد الله عليه السلام: "إنّ اللهَ تـبارك وتعالـى حَـرّمَ أجسادَ المُوحّدينَ عَلى النّار"[1].

حقيقة الموحّدين

إنّ هـذا الحديث الشّريف يُبيّنُ قيمة وأهمّيّة التّوحيد، فالمُوحّد الكامل، ولـو بأدنـى درجـات الكمـال، هـو الـذي يُحـرّم جـسده علـى الـنّار، فـبدون التّوحيد لا تكون الأعمال الأخرى مُنجـية من عذابه سبحانه.

اعلـم، أيّـدك الله! بـأنّ إطلاق الحديث سهل المنال والتّحقيق، وحقّاً، أنّ مـنْ وحّـده دخـل الجـنّة، ونجا مـن الـنّار، ومـن لـم يُـوحّده دخـل النّار؛ إذ

(١) الحديث الشّريف ورد ذكره في كتاب بحار الأنوار: ١٠٨/ ٣٦، وكذلك في كتاب تفسير نور البراهين: ١/ ٦٦.

التّوحيد نافٍ لما هو موجبٌ وسببٌ للوقوع في المعصية والغضب الإلهي، وبالتّالي النّجاة من النّار.

عن ابن عباس، قال: قال رسول اللهﷺ: "والذّي بعثني بالحقّ بشيراً! لا يُعذّب الله بالنّار مُوحّداً أبداً، وإنّ أهل التّوحيد ليشفعون فيشفعون" ثمّ قالﷺ: "إنّه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقومٍ ساءت أعمالهم في دار الدّنيا إلى النّار، فيقولون يا ربّنا، كيف تُدخلنا النّار، وقد كُنّا نوحّدك في دار الدّنيا؟ وكيف تُحرق بالنّار ألسنتنا، وقد نطقت بتوحيدك في دار الدّنيا؟ وكيف تحرق قُلوبنا، وقد عقدت على أن لا إله إلاّ أنْت؟ أم كيف تُحرق وجوهنا، وقد عفّرناها لك في التّراب؟ أم كيف تُحرق أيدينا، وقد رفعناها بالدّعاء إليك، فيقول الله جلّ جلاله: عبادي، ساءت أعمالكم في دار الدّنيا، فجزاؤكم نار جهنّم، فيقولون: ياربّنا، عفوك أعظم أم خطيئتنا؟ فيقول عزّ وجلّ: بل عفوي، فيقولون: رحمتك أوسع أم ذنوبنا؟ فيقول عزّ وجلّ: بل رحمتي، فيقولون: إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا؟ فيقول عزّ وجلّ: بل إقراركم بتوحيدي أعظم، فيقولون: يا ربّنا! فليسعنا عفوك ورحمتك التي وسعت كُلّ شيء، فيقول الله جلّ جلاله: ملائكتي، وعزّتي وجلالي! ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من المُقرّين لي بتوحيدي، وأن لا إله غيري، وحقّ عليَّ أن لا أُصلي بالنّار أهلَ توحيدي، أدخلوا عبادي الجنّة"[1].

(١) الأمالي للشّيخ الصّدوق: ٣٧٢، وأنظر كذلك مقاطع من دُعاء كُميل الشّريف، الذي علّمه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام لكُميل بن زيادرحمه الله ففيه دلالة كبيرة على المُراد.

معرفة الإمام وتوحيد الله

يُمكن استنباطُ فوائد أخرى من هذا الحديث الشّريف، مُغايرة للفائدة المُتحصّلة من الأحاديث السّابقة، وخلاصتها:

إنّهمعليهم السلام الطّريق والوسيلة إلى التّوحيد الصّحيح، فكراً وعملاً، فهم مُصباح الهُدى ومعدن معارفه وعُلومه، كما أفاد الإمام الصّادقعليه السلام حيث قال: "لولا الله ما عرفناه، ولولا نحن ما عُرف الله"[١].

وليس الارتباط والإيمان بالولاية موجباً للفكر التّوحيدي الصّحيح فقط؛ بل المُمارسة والعمل كذلك، فمنْ لم يتّصل بهم، ويستضيء بنور وجودهم في حياته اليوميّة، يستحيل عليه عملاً تحقيق التّوحيد الحقّ، وهذا ما نُلاحظه من تخبط في العقيدة التّوحيديّة عند أغلب المُسلمين، فكراً وعملاً، حيث ذهبتْ أغلب الفُرق المُنحرفة عن خط وولاية أهل البيتعليهم السلام إلى هذا الانحراف، كالجبريّة والقدريّة[٢] وغيرهما، وقد سبقهم الانحراف الذي حصل نتيجة عزل أهل البيتعليهم السلام عن مقامهم السّامي، الذي نصّبهم

(١) بحار الأنوار: ٣/ ٢٧٣.

(٢) الجبريّة: وهُم الذين يعتقدون أن لا مدخل للعباد في أفعالهم سوى المحليّة، وأنّ الله تعالى يفعل الفعل ويجريه على أيديهم.

وأمّا القدريّة: وهُم فُرقة من المُعتزلة يزعمون أنّ الله تعالى قدّر عباده على أعمالهم على وجه الاستقلال، بحيث أخرجهم ذلك عن ربقة الانقياد له، وأبطل تصرّفه في تلك الأعمال؛ حتّى لا يكون لقضائه وقُدرته وإرادته وتدبيره مدخل فيها. (مشارق الشّموس: ٢/ ٣٩١).

فيه الله عزّ شأنه، فكانت نتيجة هذا العزل صيرورة الآخرين أتباعاً وعبيداً للبعض، كما قال الإمام عليّعليه السلام في وصف بني أميّة وأتباعهم: "قد جعلوا مال الله دولاً، وعباده خولاً"(١) بينما نُلاحظ أعمال من اتّبع ولايتهمعليهم السلام غير ذلك، حيث إنّها تجعل جميع أنحاء الوجود مُوظفة لتحقيق تلك المهمّة السّامية، وهي التّوحيد لله تعالى.

روى زرارة بسند صحيح، عن أبي جعفرعليه السلام أنّه قال: "ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء، ورضا الرّحمن، الطّاعة للإمام بعد معرفته، أمّا لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجَّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه، وتكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان"(٢).

وعن أبان بن تغلب، عن الإمام الصّادقعليه السلام قال: "إذا كان يوم القيامة نادى مُناد: منْ شهدَ أن لا إله إلاّ الله فليدخل الجنّة، قالَ: قُلتُ: فَعلم تخاصم النّاس؟! إذاً كان منْ شهد أن لا إله إلاّ الله دخل الجنّة؟ فقالعليه السلام: إنّه إذا كان يوم القيامة نسوها"(٣).

إنّ ذلك السّلب والنّسيان ليس قهراً وجبراً، بل هو جزاء وعُقوبة للأعمال السّيّئة؛ بل هو أثر تكويني لتلك الأعمال السّيّئة؛ لكونها مُضادّة ومُناقضة للاعتقاد بالتّوحيد، وأعظم تلك المُخالفة والمُناقضة، هو عُبوديّة الغير،

---

(١) نهج البلاغة: ٣/ ، الخطبة ١٢٠، الخطبة رقم ٦٢.

(٢) وسائل الشّيعة: ١/ ١١٩، باب، بُطلان العبادة بدون ولاية الأئمةعليهم السلام.

(٣) المحاسن: ١/ ١٨١.

وخُصوصاً عبدة الطّواغيت، إذ جعلوهم آلهة، فجعلوهم في مُقابل المولى سبحانه وتعالى، وقدّموا طاعتهم على طاعته، ورضاهم على رضاه.

وفي حديث آخر، قال عليه السلام: "إنّه إذا كان يوم القيامة، وجمع الله الأولين والآخرين، فيُسلب منهم لا إله إلاّ الله، إلاّ من كان على هذا الأمر"(١).

وقوله عليه السلام: "إلاّ من كان على هذا الأمر" يعني، إنّ من كان مُقرّاً لأهل البيت عليهم السلام بالولاية، هو فقط المُوحّد الحقيقي، الذي لا يُسلب منه التُوحيد الخالص، وهذا هو الذي يقتضي ويوجب وحدة جهة الطّاعة، والانقياد التّام والتّسليم المُطلق، لا الرّفض والمُخالفة، كما أنّ القبول كذلك، حاكٍ عن الانقياد والصّدق في الاعتقاد بالتّوحيد، وكلمة لا إله إلاّ الله، هي التّوحيد الخالص المُستلزم للطّاعة، بل وحدتها؛ ولذلك ورد عنهم عليهم السلام: "ومن وحّدَه قَبِلَ عنكم"(٢).

أمّا الرّافض لهذا الأمر، أي، ولاية أهل البيت عليهم السلام فهو رافضٌ لأمر الله سبحانه، وهذا تعبير عملي واضح الدّلالة، على الشّرك الخفي، وعدم الإقرار والقبول بالتّوحيد، الذي أمر الله تعالى به، ولا يتحقّق التوحيد الحقّ إلاّ بالانقياد المُطلق لأهل البيت عليهم السلام والاعتقاد بعصمتهم، وأنّهم أئمة وقادة.

أتى رجل إلى الإمام الباقر عليه السلام فسأله عن الحديث النّبويّ: "من قال لا إله إلاّ الله، دخل الجنّة، فقال عليه السلام: الخبر حقّ، فلمّا خرجَ الرّجلُ أمر

(١) الكافي: ٢/ ٥٢١. باب، من قال استغفر الله.
(٢) عُيون أخبار الرّضا: ١/ ٣٠٥.

الإمام عليه السلام برده، ثمّ قال له: يا هذا، إنّ لـ (لا إله إلاّ الله) شُروطاً، ألا وأنّي من شُروطها"[1].

وكذلك الرّواية الواردة عن ثامن أئمة العتّرة الطّاهرة، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "أخبرني جبرئيل الرّوح الأمين، عن الله تقدّست أسماؤه، وجلّ وجهه، قال: إنّي أنا الله، لا إله إلاّ أنا وحدي، عبادي فاعبدوني، وليعلم من لقيني منْكم بشهادة أن لا إله إلاّ الله مُخلصاً بها، أنّه قد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي. قالوا: يا بن رسول الله، وما إخلاص الشّهادة لله؟ قال: طاعة الله ورسوله، وولاية أهل بيته عليهم السلام"[2].

إنّ هذه الأحاديث الشّريفة، تُبيّن علاقة ولاية العتّرة الطّاهرة بالتّوحيد، وأنّ العلاقة هي علاقة القضية الشّرطيّة، كما يَقولُ الفلاسفةُ بنحو القضيّة بشرْط شيء، لا بنحو القضيّة لا بشرْط، فإذا لم توال آل مُحمّد فلست مُوحّداً، والمشروط ينتفي بإنتفاء شرطه؛ وذلك لأنّ التّوحيد الصّادق، يوجب وحده الطّاعة، ونفي ما عداها.

ولاية أهل البيت حجاب من النّار

أجمع عُلماؤنا الأعلام (أعلى الله مقامهم) أن من كان موالياً لأهل البيت عليهم السلام وكان مُذنباً، ولم يتب ممّا ارتكبه من الذّنوب في حياته، فإنّه تحت مشيئة الله تعالى، إنّ شاء عفا عنه وتجاوز، تفضّلاً منه تعالى وكرماً،

(١) مُستدرك الوسائل: ٥/ ٣٥٩.
(٢) الأمالي للشّيخ الطّوسي: ٥٨٩.

وإنّ شاء عذّبه بقدر ذُنوبه؛ كما قال تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[(٢)].

حيث إنّ الله تعالى لا يبخس المُحسن ثواب إحسانه، ولا يُعاقب المُسيء بغير جُرمه؛ وعليه، فإنّ من عُذّب في قبره، من أصحاب السّيّئات والمعاصي، قد يطول عذابه وقد يقصر بحسب ذنوبه، ولا يلزم أن يستمر إلى قيام السّاعة، وعذاب القبر، قد ثبت بالأدلّة الصّحيحة، ولكن مُقداره وكيفيّته، بالنّسبة لهذا الشّخص أو ذاك، هي من الأمور الغيبيّة، التي لا يُمكن معرفتها إلاّ من الشّارع المُقدّس، وأنّ سبب عدم خُلود الموالين لمُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام في النّار لأمور، منها:

الأمر الأوّل- إنّ أصحاب الإيمان، من أهل الكبائر، هم ليس أهل الشّقاء[(٣)] بل هُم قوم من أهل التّوحيد، يدخُلون النّار بذُنوبهم، ثمّ يتفضّل الله عليهم، فيُخرجهم من النّار إلى الجنّة؛ لأنّهم ليس من أهل الخُلود، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك في صدر الحديث: "حَرّمَ أجسادَ المُوحَّدينَ عَلى النّار".

الأمر الثّاني- إنّ وجه حُرمة أجساد المُوحّدين على النّار، هو أنّ النّار مخلوقة من غضب الله جلّ جلاله، كما ثبت في الرّوايات الشّريفة، وهو سبحانه

(١) الأنعام: ١٦٠

(٢) آل عمران: ٢٥.

(٣) الشّقي، مُقابل السّعيد، أي، السّعيد سعيدٌ في بطن أمّه، والشّقي شقيٌ في بطن أمّه، إشارة إلى أنّ كُل من والى مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام فهو السّعيد، ومن عادهم فهو الشّقي.

إنّما ينظر أوّلاً إلى البواطن، فمنشأ النّار إنّما هو من باطن الإنسان، فإذا كان الباطن مُعتقداً بولاية أهل البيتعليهم السلام يعني كان مُوحّداً مؤمناً فليس للنّار، التي هي مخلوقة من غضب الله، منشأ أو مبدأ في باطن ذلك المُوحّد، فلا يُعذّب بالنّار، وإن كان قد يُعاقب بغيرها؛ بسب إساءة الأعمال، كالأمور الجارحيّة(١).

الأمر الثّالث - إنّ أهل التّوحيد يتألّمون من النّار، وسبب ذلك؛ هو رسوخ الأعمال الذّميمة، وآثار الأخلاق القبيحة في أنفسهم، وإن كانت مُنافية لاعتقاداتهم، فيستشعرون بها في حال التّخلّص منها، فصحّ أنّهم لا يُخلّدون في النّار.

الأمر الرّابع - عدم تخليدهم في النّار؛ وذلك لأنّ العارف بالتّوحيد تكون نفسه مُتنوّرة بنور اليقين، مُرتفعة عن العالم الأسفل إلى مقام العلويين، والنّار لا تدخُل في محلّ المعرفة والإيمان، وإنّما سُلطانها على الجُلود والأبدان(٢).

الأمر الخامس - وممّا يجب التّصديق به، ثُبوت الشّفاعة لنبيّنا مُحمّدصلى الله عليه وآله وآل بيته الهادين المهديّينعليهم السلام الذين خصّهم الله تعالى بالشّفاعة، فهُمعليهم السلام أوّل شافع، فيذودوهم عن النّار، حياشة لهم من غضب الجبّار؛ لأنّهم تشرّفوا بولاية الأطهارعليهم السلام ومالوا عن مدرجة الأشرار، وما ذلك بعزيز على الحليم الغفّار.

---

(١) كما أشار القاضي القُمّي في شرحه لكتاب توحيد الشّيخ الصّدوق: ١/ ٣٣.
(٢) الأسفار: ٩/ ٣٢٠.

الحديث الثّامن

❖ الموجبتان لدُخول الجنّة والنّار

الحديث الثّامن

حدّثَنا أبي رَحِمَهُ اللهُ قال: حدّثَنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن مُحمّد بن عيسى، عن الحُسين بن سيف، عن أخيه عليّ، عن أبيه سيف بن عميرة، قال: حدّثني الحجّاج بن أرطاة، قال: حدّثني أبو الزّبير، عن جابر بن عبد الله، عن النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّه قالَ: "الْموجبتان، مَنْ ماتَ يَشهَدُ أنْ لا إله إلاّ الله دَخلَ الجنّة، ومَنْ مات يُشركُ باللهِ دَخَلَ النّار"[1].

الموجبتان لدُخول الجنّة والنّار

الموجبتان، يعني، شهادة لا إله إلاّ الله، في المَقام الإيجابي، الحقّ والفوز بالجنّة، والشّرك في المَقام السّلبي، الباطل والسّقوط في النّار، فشهادة لا إله إلاّ الله بشرطها وشُروطها، وأنّ من أهم شُروطها[2] ولاية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فهي موجبة لدُخول الجنّة، وأنّ الشّرك، بقِسْميه الظّاهري

(١) الحديث الشّريف ورد في كتاب بحار الأنوار: ٩٠/ ٢٠٣، وكذلك في تفسير نور البراهين: ١/ ٦٧، وقريب منه، جاء في الكافي الشّريف: ٣/ ٣٤٣.

(٢) ورد ذلك في قول الإمام الرّضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لا إله إلاّ الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي... بشُروطها وأنا من شُروطها". أنظر ثواب الأعمال: ٧.

والواقعي، موجب لدُخول النّار؛ لأنّ معه لا نفع للأعمال مهما عظُمت.

إذاً، فمن مات على شهادة لا إله إلاّ الله فله الجنّة، ومن مات على غيرها، أو بدونها فله النّار.

فالحديث عبارة عن قضيّتين شرطيّتين، يلزم من تحقّق المُقدّم وجوب التّالي، فكُلّما تحقّقت شهادة لا إله إلاّ الله وجبت الجنّة، وكُلّما تحقّق الشّرك وجبت النّار.

روى الشّيخ الكُليني (أعلى الله مقامه) في الكافي الشّريف، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: "لا تنسوا الموجبتين، أو قال: عليكم بالموجبتين في دُبر كُلّ صلاة، قُلت: وما الموجبتان؟ قال: تسأل الله الجنّة، وتتعوّذ به من النّار"[(١)].

وعن داود العجلي، مولى أبي المغرا، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: "ثلاث أعطين سمع الخلايق، الجنّة والنّار والحور العين، فإذا صلّى العبد، وقال: اللّهم! اعتقني من النّار، وأدخلني الجنّة، وزوّجني الحور العين، قالت النّار: يا ربّ! إنّ عبدك قد سألك أن تعتقه منّي فأعتقه، وقالت الجنّة: يا ربّ! إنّ عبدك قد سألك إيّاي فأسكنه فيَّ، وقُلن الحور العين: يا ربّ! إنّ عبدك قد خطبنا إليك فزوّجه منّا، فإن هو انصرف من صلاته، ولم يسأل الله شيئاً من هذه، قالت الحور العين: إنّ هذا العبد فينا لزاهد، وقالت الجنّة: إنّ هذا العبد فيَّ لزاهد، وقالت النّار: إنّ هذا العبد فيَّ لجاهل"[(٢)].

(١) الكافي: ٣/ ٣٤٣، باب، التّعقيب بعد الصّلاة والدّعاء.
(٢) المصدر السّابق: ٣٤٤/٣.

الحديث التّاسع

❖ معنى الجبّار العنيد

الحديث التّاسع

حدّثَنا أبيرَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حدّثَنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن مُحمّد بـن عيسى، عن الحُسين بن سيف، عن أخيه عليّ، عن أبيه سيف بن عُميـرة، عـن الحـسن بن الصّبّاح، قال: حدّثني أنس، عن النّبيّصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قال: "كُلُّ جَبّارٍعَنيدٍ من أبى أنْ يَقولَ لا إله إلاّ اللهُ"[1].

معنى الجبّار العنيد

الحـديث الـشّريف نـصّ علـى معنيـين مـن المعاني الأخلاقيّة، التي لابدّ للإنـسان أن يـتحذّر منهما في حياته وفي سلوكه، فإنّ الإنسان في ظلّ العمل بالعـبادات، وتطبـيق الواجبات الأخلاقيّة، يستطيع الوصول إلى الكمال الذي خُلق لأجله، ويصل إلى أسمى اللّذائذ الدّنيويّة والأخرويّة.

فالمُـراد مـن الجبّار، كمـا جـاء فـي لـسان أهـل اللّغـة، هـو: "الجائر عن القصد، الباغي الذي يردّ الحقّ مع العلم به"[2].

(١) الحديث الشّريف ورد في عدّة كُتب للمؤلّف، كالأمالي: ٢٦٦، وكذلك في كتاب ثواب الأعمال: ٦، وأورده أيضاً العلامة المجلسي في البحار: ٣/ ٥.
(٢) لسان العرب: ٣/ ٣٠٧.

وأمّا المُراد من العنيد، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قال: "العنيد المُعرض عن الحقّ"[(١)].

سُئل أحد الحُكماء، عن معنى الجبّار، فقال: "هو القهار الذي إذا أراد أمراً فعله، وحكم فيه بما يُريد، لا يحجزه عنه حاجز، ولا يُفكّر فيمن دونه"[(٢)].

اعلم، أيّدك الله! أنّ الجبّار، هو من يقتل على غضبه، والعنيد، هو الكثير العناد، الذي لا يقبل الحقّ، فالإنسان ما دام أسيراً للرّذائل الأخلاقيّة، والمُمارسات القبيحة والسّيئة، فستظل قواه المعنويّة والرّوحيّة في عالم القوّة والاستعداد، ولا تخرج إلى عالم الفعليّة، فالإنسان المُتكبّر العنيد، سوف يبقى عاجراً عن إدراك الحقائق النّورانيّة، بفعل التّكبّر والعناد، فهما أحد الحواجز المانعة من وصول الإنسان إلى مُبتغاه وكماله.

فكُلّ من أبى عن القول بالوحدانيّة، التي تمثّل العقيدة الحقّة، المُتحقّقة بكلمة التّوحيد والشّهادة، والإقرار للأئمة المعصومين عليهم السلام فإنّه يصدقُ عليه أنّه الجبّار العنيد لله جلّ شأنه، حيثُ لا يرى لله تعالى حقّاً عليه، من النّعم الابتدائيّة، والآلاء غير المُتناهية، ولكشْف هذه الحقيقة، وبيان سرّ الارتباط بين التّوحيد، والإقرار بالأوصياء، مظاهر الحقّ في عالم الخلق عليهم السلام فقد نصّ العليّ الأعلى في الكتاب العزيز، بقوله جلّ وعلا: ﴿لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[(٣)]

(١) تفسير الصّافي: ٣/ ٨٢.
(٢) تفسير الثّعلبي: ٩/ ٢٨٨.
(٣) الأنعام: ١٥٨.

وفيه إشارة صريحة في شأن مَن تجبّر أو عاند في قبول ولاية أولياء الحقّ، حتّى ولو أعلن قبوله التّوحيد ظاهراً، أو قال به من قبل مُخادعة، كما فعل جبابرة هذه الأمّة والمُعاندون، فإنّه يُسلبُ منه.

ورد في الكافي الشّريف، بالسّند الصّحيح، عن هُشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام في شرح الآية، قال عليه السلام: "الإقرار بالأنبياء والأوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام خاصّة، قال: لا ينفع إيمانُها لأنّها سُلبتْ"[(١)].

وأنّ الجبّارين والمُتكبّرين في نار جهنّم، مُرصدين بها، واقفين على شفيرها في الدّنيا، مبعوثين إليها في الآخرة، يحشرهم الله على صورة ذّر[(٢)] كما ورد ذلك عن النّبيّ والعترة الطّاهرة عليهم السلام.

قال النّبيّ المُصطفى صلى الله عليه وآله: "يُحشر الجبّارون والمُتكبرون يوم القيامة في صورة الذّر، يطأهم النّاس؛ لهوانهم على الله"[(٣)].

نستجير بالله من هذه الصّفة الذّميمة، التي هي منبع أكثر المفاسد، والتي تجعل النّفس مُستغرقة في ظُلمات بحر الجهل والرّذائل الأخلاقيّة.

---

(١) الكافي: ١/ ٤٢٨، باب، فيه نكت ونتف من التّنزيل بالولاية.

(٢) الذّر في اللّغة: جمع ذرّة، وهي أصغر النّمل، ليس لها قوائم، ومنه سمّي الرّجل ذرّاً، كما جاء في مُختار الصّحاح: ١٢٢. ولعله إشارة إلى الإنسان المُتكبّر في الحياة الدّنيا، من أنّ الله عزّ وجلّ يحشره على صورة نمل صغير، ليس له قوائم، يطئه النّاس بأرجلهم يوم القيامة؛ لتكبّره.

(٣) جامع السّعادات: ٣٠٣/١.

الحديث العاشر

❖ معنى طوبى

❖ المقام النّوراني لأهل البيت عليهم السلام

الحديث العاشر

حدّثـنا جعفر بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن عبد الله بن المُغيرة الكوفـي رضي الله عنه قـال: حدّثنـي جـدّي الحسن بـن عليّ الكوفي، عن الحُسين بـن سـيف، عـن أخيه عليّ، عن أبيه سيف بن عُميرة، عن عُمـرو بـن شمر، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: "جاءَ جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا مُحمّد، طُوبى لِمن قالَ مِن أُمَّتك: لا إلهَ إلاّ الله، وَحدَهُ وَحدَهُ وَحدَهُ"[١].

معنى طوبى

طوبى، اسم شجرة في الجنّة، وقيل هي الطّيب، وقُلبتْ الياء واواً؛ لضمة قبلها، ويُقال: طوباك، وطوبى لك، والمقصود من ذلك الجنّة، تسمية للمحلّ باسم الحال، أو طيب العيش له، فهي صفة لمحذوف، وهو على ما يُستفاد من سياق الحديث، الحياة أو المعيشة؛ وذلك أنّ النّعمة كائنة ما كانت، إنّما

---

(١) الحديث الشّريف ورد ذكره في عدّة مصادر مُعتبرة، منها: الكافي الشّريف: ٢/ ٥١٧، وكذلك في كتاب ثواب الأعمال: ٥.

تُغتبط وتُهنأ إذا طابتْ للإنسان، ولم يحصل ذلك إلاّ لمنْ آمنَ بالله وعملَ صالحاً، فهو الذي يطمئن قلبه، ويطيب له العيش، فهو في أمن من الشّر والخُسران، وسلام له ممّا يستقبله ويُدركه، وقد آوى إلى ركن شديد لا ينهدم، واستقر في ولاية الله الكُبرى، لا يوجه إليه ربّه إلاّ ما فيه سعادته، إن أُعطي شيئاً فهو خير له، وإن مُنعَ فهو خير له، وبما أنّ المُتعلّق محذوف، فإنّ للكلمة مفهوماً واسعاً، غير محدود، ونتيجة طوبى، لمن آمن بالله ورسوله، واستمسك بالعُروة الوثقى، وكان راسخاً في عقيدته، مُخلصاً في عمله، بأن يكون له أفضل الأشياء، كأفضل الحياة والمعيشة، وأفضل النّعم والرّاحة، وأفضل الألطاف الإلهيّة، وكُلّ ذلك نتيجة الإيمان والعمل الصّالح، وما ذكره جمع من المُفسرين، في معنى هذه الكلمة، حيث أوصلها البعض إلى عشرة معانٍ (١) فإنّها في الحقيقة تصب كُلّها في هذا المعنى الواسع والشّامل،

(١) أحدها - إنّ معناه، فرح لهم وقُرّة عين، عن ابن عباس.
والثّاني - غبطة لهم، عن الضّحاك.
والثّالث - خير لهم وكرامة، عن إبراهيم النّخعي.
والرّابع - الجنّة لهم، عن مُجاهد.
والخامس - معناه العيش المُطّيب لهم، عن الزّجاج، والحال المُستطابة لهم، عن ابن الأنباري؛ لأنّه فعل من الطّيب، وقيل: أطيب الأشياء لهم، وهو الجنّة، عن الجبائي.
والسّادس - هنيئاً، يطيب العيش لهم.
والسّابع - حُسنى لهم، عن قتادة.
والثّامن - نعم ما لهم، عن عكرمة.
التّاسع - طوبى لهم، دوام الخير لهم.

الـذي ذكـرناه، وهـذا مـا يهـوّن الأمـر، مـن أنّ مـرجعها إلى الجنّة، التي هي المعنى الجامع والشّامل للمفاهيم المُنطوية تحت هذه الكلمة جميعاً، وهو ما يُقـارب التّعـريف الـذي ذكرناه، فافهم وتدبّر! ففي ذلك الفلاح والنّجاح إن شاء الله تعالى.

المقام النّوراني لأهل البيت عليهم السلام

فهـذه الجـنّة، وهـذا الطّيب، أو النّعمة، أو الشّجرة الطّيّبة، أصلها في بيت النّبـيّ صلى الله عليه وآله الـذي هـو بـيت فاطمـة وعلـيّ عليهما السلام وتنتـشر أغصانها على رُؤوس المؤمنـين جمـيعاً، وعلـى دورهـم وذراريهم، باعتبار أنّ الحقائق الجُزئيّة في عـوالم الإمكـان، مُـستظلّة بالمقـام النّورانـي، الـذي بـه عُـرف الحقّ، وتنفّس الـصُّبْح، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُور﴾[1] وقوله عزّ شـأنه الـصّدق الـذي نـزل: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِـي الـنَّاسِ كَمَـنْ مَـثَلُهُ فِـي الظُّلُمَـاتِ لَـيْسَ بِخَـارِجٍ مِنْهَا﴾[2] وباعتبار آخر، إشـارة إلى الشّجرة المُباركة، التي يُوقَد منها القلْب الواعي من أهل الحقيقة، الطّالبـين لها، والمصعوقين بتجلّي حقائق النّور على قدر، وباعتبار ثالث، هي

العاشـر - إنّ طوبـى شـجرة فـي الجنّة أصلها في دار النّبيّ صلى الله عليه وآله وفي دار كُلّ مؤمن منها غصن، عن عبيد بن عمير، ووهب، وأبي هُريرة، وشهر بن حوشب، وروى عن أبي سعيد الخُدري مرفوعاً... أنظر، تفسير مجمع البيان للطّبرسي: ٦/ ٣٥.

(١) النّور: ٤٠.

(٢) الأنعام: ١٢٢.

بيان لقيادتهم وإمامتهم في مقام الظّهور، وبُزوغ النّور: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾(١) على بساط العوالم الوجوديّة، بما يوجب ربط الفرع بالأصل، وتشرّف الجزء بمقام الكُلّ، وسرّ ذلك القدْح في متن الكتاب المجيد: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٣) وقوله الحقّ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(٤) وما إلى غيره من الآيات المُباركات، خُذ هذا وانتظر مُرابطاً، حتّى يأتيك المزيد؛ لتحظى بالتّسديد.

أمّا تكرار كلمة (وحده) الواردة في صدر الحديث، فقد ذكر البعض، أنّها تأكيد على الوحدة الحقّة، أي، أنّه تعالى مُنفرداً في الذّات والصّفات والأفعال.

ولعل المُراد من هذا التّكرار، هو إشارة إلى الوحدة الحقّة، المُتمّثلة بوحدانيّته تعالى، ووحدة الحضرة النّبويّة الخاتميّة، لنبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله ووحدة الولاية العلويّة، المُتمثّلة بأمير المؤمنين، والأئمة الطّاهرين من آله عليهم السلام.

وهُناك أسرار لا نضنّ بها في المقام، في سرّ التّثليث لكلمة (وحده)

---

(١) الزّمر: ٦٩.

(٢) الأعراف: ٢٩.

(٣) البقرة: ١٥٦.

(٤) الفجر: ٢٧ – ٣٠.

المُـباركة، فـنقول، وبـالله المُـستعان وعلـيه الـتّكلان: إنّ المُـراد بهذه الشّهادة بالوحدانـيّة، هـي الـشّهادة لمقـام اسـمه الجامـع، للصّفات الجماليّة والجلاليّة والكمالـيّة جمـيعاً، وهـو الاسم المُبارك (الله) والوحدة في المقام الأوّل، هي فـي مقـام الحـقّ، حـيث لا مألـوه ولا مخلـوق، بل ولا ذاكر ولا مذكور، ولا اسم ولا مُسمّى، ولا رسم ولا مرسوم، وأمّا الوحدة في المقام الثّاني، هي في مقـام الخلـق، فهـو هـو، لا شـريك لـه ولا نظيـر، ولا عـديل في خلقه ومُلكه وحُكمـه، وأمّـا الـوحدة في المقام الثّالث، فهي ما بعد الفناء وهلاك الأشياء، وإلى ذلك أُشير في النّصّ: ﴿لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلم يُجبْ أحدٌ، ويجيب هو نفـسه: ﴿لِلَّـه الْـوَاحد الْقَهَّـار﴾ هـذا باعتـبار، ووجـه لبـيان الـسرّ فـي (وحده) المُثلّـثة فـي الـنّصّ المذكور، وبوجه آخر، إشارة إلى مقام الوجه في الأولى والدّنـيا والآخرة، أمّا المقام في الخلق وعالم الدّنيا، فقد أشار صريح الكتاب العزيـز، بقـوله الحقّ: ﴿وَلِلَّه الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّه﴾(١) وأمّـا المقـام فـي الآخـرة فمـصرّح بـه فـي القُـرآن المجيد، بقوله جلّ وعلا: ﴿كُـلُّ شَـيْءٍ هَالـكٌ إِلاَّ وَجْهَـهُ لَـهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْه تُرْجَعُونَ﴾(٢) وأمّا المقام في الأولـى، فمُـشار إلـيه بالخطـاب الإلهـي، بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الذي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ﴾(٣) بتقريب أنّ الجبلّة هي الوجه، كما صرّح مُحيي الدّين، فـي إعراب القُرآن الكريم، وعليه فإنّ الجبلّة، المُتعلّق الأمر باتّقائها، كما هو

(١) البقرة: ١١٥.
(٢) القصص: ٨٨.
(٣) الشّعراء: ١٨٤.

الـشّأن بالنّـسبة إلـى الـذي خلقكم، هي الوجه، وبهذا يتّضح أنّ الوجه سابق، ولـم يُـسبق، وهو وحده في ذلك المقام، فخُذ ما آتيتك وكُن من الشّاكرين، واحـتفظ بـه في خزانة العارفين، ولا تكشفه للجَهَلة والمُشكّكين، والحمد لله ربّ العالمين.

الحديث الحادي عشر

- ❖ الإخلاص لُغةً واصطلاحاً
- ❖ مفهوم الإخلاص في القُرآن الكريم
- ❖ الإخلاص والهجرة إلى الله
- ❖ المُراد من الهجرة
- ❖ الإخلاص وولاية أهل البيت عليهم السلام

الحديث الحادي عشر

حدّثنا مُحمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: حدّثنا مُحمّد بن الحسن الصّفار، عن أحمد بن مُحمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: "جاء جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا مُحمّد، طُوبى لمن قالَ مِن أُمَّتك: لا إلهَ إلاّ الله وحدَهُ مُخلصاً"[1].

الإخلاص لُغةً واصطلاحاً

تقدّم الكلام في الحديث السّابق عن معنى طوبى، ونتكلّم في هذا الحديث عن أمور، منها: معنى الإخلاص لُغةً واصطلاحاً، والإخلاص في القُرآن الكريم، والإخلاص والهجرة إلى الله، والإخلاص الواقعي وولاية أهل البيت عليهم السلام فنقول:

الإخلاص لغةً: هو ما اشتق من خَلَصَ، بمعنى الصّفاء والنّقاء؛ إذ يُقال:

---

(١) الحديث الشّريف ورد ذكره في الكافي الشّريف، لكن بسند مُختلف: ٢/ ٥١٧، وكذلك في كتاب ثواب الأعمال للشّيخ الصّدوق: ٥.

يخَلَصَ خُلوصاً وخَلاصاً، أي، صفا وزال عنه شوبه، وأخلص الشّيء، صفّاه ونقّاه، وأخلص لله دينه، أي أمحضه.

والإخلاص في الطّاعة: ترك الرّياء.

والمُخلص: الذي وحّد الله تعالى خالصاً؛ ولذلك قيل لسورة قُل هو الله أحد، سورة الإخلاص[(١)].

الإخلاص اصطلاحاً: هو أن لا يُقصد بالعمل الثّواب، ولا الخلاص من العقاب؛ بل يُقصد بالعمل وجه الله سبحانه، وكونه مُستحقاً للعبادة، بل ظاهر بعض المُحقّقين، أنّ معنى العبادة راجع إلى هذا؛ لأنّ قصد الجنّة، والخوف من النّار شرك في العبادة، والحقّ أنّ هذا القصد غير مُناف للإخلاص؛ بل المُنافي له ظاهراً، إنّما هو الرّياء ونحوه، وذلك أنّ الآيات والأخبار مُتظافرة في الدّلالة على صحّة العبادة بهذا العزم، إلاّ أنّه كما ورد في الحديث المُعتبر، أنّ من قصد الجنّة بعبادته، فهي عبادة التّجار، ومن قصد الخلاص من النّار، فهي عبادة العبيد، ومن قصد الله سبحانه في عبادته، فهي عبادة الأحرار، وهي أفضلهنّ، كما أشار مولى المُوحّدين، ويعسوب الدّين، أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: "ما عبدتُك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنّتك، ولكن وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتُك" [(٢)].

وهذا القسم الأخير من كلام الإمام عليه السلام (ولكن وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتُك) لا يتحقّق إلاّ لمن اندكّت نفسه، واضمحلّت في الله،

(١) لسان العرب: ٧/ ٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦٧/ ١٨٦.

بحيث لـم يـر لذاتـه إنّـيّة إزاء خالقـه، ليقـصد بها خيراً، أو يحذر لها من عقـوبة، وإنّمـا ينظر إلى صانعه ومُوجده، ولا يتوجه إلاّ إليه، وهذه مرتبة لا يـسعنا التّصديق ببلوغها لغير المعصومينعليهم السلام الذين أخلصوا لله أنفسهم، فهُم المُخلصون حقّاً.

رُوي عـن الإمـام علـيّعليه السلام أنّـه قـال: "مـا رأيـت شيئاً إلاّ ورأيت الله فيه وخلفه أو معه"(١).

فـالإخلاص اسـتواء أعمـال العـبد فـي الظّاهر والباطن، بتصفية العمل لله عـن مُلاحظـة المخلوقين، والصّدق في الإخلاص، أن يكون باطنه أعمر من ظاهـره، وإذا أخلـص العـبد اجتـباه ربّه، فأحيى قلبه، وجذبه إليه، وحبّبً إليه الطّاعات، وكرّه إليه المعاصي، بخلاف القلب الذي لم يخلص، فإنّ فيه طلباً وشوقاً وإرادةً، تارةً إلى الرّئاسة، وتارةً إلى الدّينار والدّرهم و...

مفهوم الإخلاص في القُرآن الكريم

قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٢) وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(٣).

اعلـم، أيّـدك الله! أنّ الكمـال والـنّقص لإنسانيّة الإنسان تابع للإخلاص، فمفـتاح الغيب والشّهادة، وباب العُروج إلى كمال الرّوحانيّة، هو الإخلاص،

(١) شرح الأسماء الحُسنى: ١/ ١٨٩.
(٢) غافر: ١٤.
(٣) البيّنة: ٥.

أمّـا النّظر إلى الإنّيّة والأنانيّة، ورؤية النّفس الأمّارة وحُبّها في الإنسان، يُبعده عن كماله، ويجعله أسيراً لشهواته ورغباته، فيكون محجوراً عن مقام القُرب الإلهـي، فمـادام الإنـسان قاصـراً علـى النّظـر إلـى نفـسه، وكمالـه المـزعوم، وجمالـه الموهـوم، فهـو محجـوب ومهجـور من الجمال والكمال المُطلقيْن، وأنّ بـاب الخُـروج مـن هـذا الـوهم الموهـوم، والحجـر المحجور، ليس إلاّ بـإخلاص النّـيّة، والعمـل لـه سـبحانه وتعالـى، حـيث إنّ الإخـلاص شـرط للسّلوك إلى الله؛ بل هو الميزان لحقانيّة الأعمال وبُطلانها.

فكُـلّ إنسان يسلك مسلك الأنانيّة، ورؤية النّفس، ويطوي منازل السّلوك فـي حُجـب الإنّيّة وحُبّ النّفس، تكون أعماله باطلة، ولا يكون عمله لله، بل للـنّفس، فلابدّ للإنسان أن يكون كما أراده الله تبارك وتعالى، وأن لا يخرُج عن دين الحقّ، الذي أراده، قال تعالى: ﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[(١)].

الإخلاص والهجرة إلى الله

يجـب أن تكـون الهجـرة لله وحـده، قـال تعالـى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُـوراً رَحِـيماً﴾[(٢)] وإلاّ لـو كانـت الهجـرة لغيـره تعالـى، فـلا يُـثاب علـيها الإنسان، بل سوف يُعاقب عليها.

المُراد من الهجرة

(١) الزّمر: ٣.
(٢) النّساء: ١٠٠.

للهجرة معنيان:

المعنى الأوّل ـ الهجرة الصّوريّة أو المادّيّة

وهي التي تقع بالبدن، وهذه الهجرة إذا لم تكُن لله وحده، وكانت للحُظوظ النّفسانيّة الدّنيويّة فيها نصيب، فلا تُسمّى هجرة إلى الله ورسوله، بل هي هجرة ماديّة، فإذا اقترنت بدعوى الإخلاص لله تعالى، يسمّيها البعض، مرتبة الإخلاص الصّوري.

المعنى الثّاني ـ الهجرة المعنويّة

الهجرة المعنويّة، أو السّفر الباطن، الذي مبدأه البيت المُظلم للنّفس، وغايته الله تعالى ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ منْ بَيْته مُهَاجراً إِلَى اللَّه وَرَسُوله﴾.

فالهجرة إلى الرّسولصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هي هجرة لله تعالى؛ لأنّ الرّسول بما هو رسول، ليس له استقلال، بل هو آية ومرآة، فالهجرة إليه هجرة إلى الحقّ تعالى.

ولا شكّ، أنّ الإخلاص في الدّين، إنّما يتمّ على الحقيقة، إذا لم يتعلّق قلب الإنسان بغير الله تعالى، من معبود، أو مطلوب، كصنمٍ، أو ند، أو غاية دنيويّة؛ بل ولا مطلوب أخروي، كالفوز بالجنّة، أو الخلاص من النّار؛ وإنّما يكون مُتعلّق قلبه هو الله تعالى، فالإخلاص لله في دينه، إنّما يكون بحُبّه تعالى.

الإخلاص الحقيقي وولاية أهل البيتعَلَيْهِمُ السَّلَامُ

سُئل الإمام الرّضاعَلَيْهِ السَّلَامُ: "يا ابن رسول الله، وما إخلاص الشّهادة لله؟ قال: طاعة الله ورسوله وولاية أهل بيتهعَلَيْهِمُ السَّلَامُ"[1].

(١) بحار الأنوار: ٣/ ١٥، باب، علّة احتجاب الله.

اُنظر أيّدك الله! إلى كلام المعصوم (صلوات الله عليه) كيف قرن طاعة الله بطاعة رسولهﷺ وطاعة أهل البيتعليهم السلام حيث لا فصل بين الطّاعات أبداً، فإخلاص الشّهادة لله لا يتحقّق إلاّ بطاعتهمعليهم السلام.

نعم، إنّ من درجات الإخلاص، تصفية العمل عن رؤية شائبة الشّرك، أو الرّياء، والإنّيّة والأنانيّة، التي مرجعها إلى شجرة الشّيطان الخبيثة، وكذلك تصفية العمل من العُجب، وهذا من مُهمّات سُلوك المُخلصين، إلاّ أنّ هناك مرتبة، هي أعلى مراتب الإخلاص، التي توجب السّعادة الأبديّة؛ بل توجب جوار ربّ العزّة، ومرقاة العُروج إلى مقام الوصول، ألا وهي الاعتراف بمقام الولاية المُطلقة، السّارية في كُلّ شيء وفيء، من العرْش إلى الفرْش، للحقّ المُحمّدي العلوي السّامي، والانقياد والتّمسّك بولايتهمعليهم السلام إذ ليس للإخلاص قيمة، من دون الاعتراف والإقرار بمقامهم وولايتهم؛ بل إنّ الإخلاص الواقعي مُتمثّل بحبّهم وولايتهم، وإن أبيْتَ أيُّها الحبيب الحميد إلاّ المزيد، فأقول مُستعيناً بمَن به البدء وإليه العود: إنّ الإخلاص أعلى مراتب التّوحيد، للنّصّ الوارد عن مولى المُوحّدين، أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالبعليه السلام بقوله: "أوّلُ الدّين معرفتُه، وكمالُ معرفته توحيدُه، وكمالُ توحيده التّصديقُ به، وكمالُ التّصديقِ به الإخلاص له، وكمالُ الإخلاص له نفيُ الصّفات عنه؛ لشهادة كُلّ صفةٍ أنّها غيرُ الموصوفِ، وشهادة كُلّ موصوفٍ أنّه غَيرُ الصّفة" [١] فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال؟!

(١) نهج البلاغة: ١٤/١، خطبة رقم : ١.

الحديث الثّاني عشر

- ❖ لا إله إلاّ اللّه تطلس السّيّئات
- ❖ تنويرٌ هامٌّ في سرّ كلمة لا إله إلاّ اللّه

الحديث الثّاني عشر

حدّثــنا أبــي رضي الله عنه قال: حدّثنا عليّ بن الحُسين الكوفي، عن أبيه، عن الحُــسين بــن سيف، عن أخيه عليّ، عن أبيه سيف بن عُميرة، عن عُمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي الطّفيل، عن عليٍّ عليه السلام قال: "ما منْ عبد مُسلم يَقــول: لا إلــه إلاّ الله، إلاّ صــعدتْ تخــرُق كُلَّ سَقف، لا تَمُرُّ بشيءٍ مِنْ سيّئاته إلاّ طلستها[1] حتّى تنتهي إلى مثلها من الحسنات، فتقف"[2].

لا إله إلاّ الله تطلس السّيّئات

اعلـم، أيّـدك الله بلُطفـه! وأفـاض علـيك مـن علمه! أنّ كلمة **(لا إله إلاّ الله)** تخـرُق الحُجـب، ومـا مـثلها كلمـة، وهـي الكلمـة العظـيمة التـي وصفها الحبيب المُـصطفى صلى الله عليه وآله بقـوله: "إنّ لا إلـه إلاّ الله كلمة عظيمة، كريمة على الله عزّ وجلّ، من قالها مُخلصاً استوجب الجنّة، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه"[3].

---

(١) الطّلـس: المحـو. ويُقـال للـصّحيفة إذا مُحيت: طلست. أنظر لسان العرب: ٦/ ١٢٤، النّهاية: ٣/ ١٣٢، القاموس المُحيط: ٢/ ٢٢٦، تاج العروس: ٨/ ٣٤١.

(٢) الحديث الشّريف ورد ذكره في كتاب ثواب الأعمال للشّيخ الصّدوق: ٣.

(٣) بحار الأنوار: ٣/ ٥.

ومـن الطّبيعي، فإنّ الذّنوب التي يقترفها المُكلّف، تُشكّل حاجزاً يحجبه عن الوصول إلى الكمال المُراد له، فكُلّما أقترف المُكلّف خطيئةً، ازداد هذا الحاجـز سُـمكاً، بحيث يُقيّده، ويُحيط بـه، ويمـنعه من الحركة بحريّة نحو الخير والصّلاح، قال تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾[1].

فـلا مُنجي للإنـسان مـن هذه الإحاطة الشّيطانيّة، إلاّ بشيء قويّ، يُحطّم هـذه القُيود والحُجب، ولا يـوجد شـيء أعظـم مـن كلمـة (لا إلـه إلاّ الله) بـشرطها وشُروطها، فهذه الكلمة العظيمة تُطلس السّيئات، أي تمحوها؛ لأنّها مـن الكـلام الطّيّب، الـذي يصعد إليه تعالى، وأنّها من جنس الأمور العالية، ومن الكلمات التّامّة، فتُخرُق ما أمامها من حُجب السّيّئات.

ورد عن الإمام الرّضا، عليّ بن موسى، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من قال لا إله إلاّ الله في ساعة من ليل أو نهار، طلست ما في صحيفته من السّيّئات"[2].

ولكـن النّكـتة المُهمّـة، التـي يجـب الالـتفات إلـيها، بـأنّ هـذه الكلمـة العظـيمة، يجـب أن تكـون بـشرطها وشُـروطها، ومـن أهـم شُروطها الاعتقاد بـولاية الأئمة الهُداة المهديين عليهم السلام فهُم الحسنة التي لا تضرّ معها سيّئة، وهُم جواهـر العُقـول المُجـرّدة، وهُـم الكلمـات التّامّات، كمـا ورد عـن الرّسـول الأكرم صلى الله عليه وآله: "حُبّ عليّ حسنة، لا يضرّ معها سيّئة، وبُغض عليّ سيّئة لا تنفع

(١) البقرة: ٨١

(٢) وسائل الشّيعة: ٧/ ٢١٣.

معها حسنة"[١] وقوله صلى الله عليه وآله: "لو اجتمع النّاس على حُبّ عليّ لم يخلق الله النّار"[٢].

فلا ريب أنّ هذه الكلمة الشّريفة، تخرُق الحُجُب، وتصل بصاحبها إلى ما هو من جنسه من الباقيات الصّالحات، إذا كانت مُقترنة بموالاتهم ومودّتهم عليهم السلام.

تنويرٌ هامٌّ في سرّ كلمة لا إله إلاّ الله

اعلم، أنّ هذه المراتب المُقرّرة، التي ينالها قائل (لا إله إلاّ الله) لا يُراد منها محضُ التلفّظ بها؛ وإلاّ كان ذكراً لسانيّاً، كما هو عليه جُلّ النّاس، يُردّدونها من دون درْك لمعناها ومغزاها، ولكي تعرف سرّها؛ لتنال أجْرَها، فاستمع لما نذكره من كلام ابن عربي في الفصّ اليونسي، حيث قال ما نصّه: "لا يَعلم قدْر هذه النشأة الإنسانيّة إلاّ مَن ذكر اللهَ الذّكرَ المطلوبَ، فإنّه تعالى جليسُ مَن ذكره، والجليسُ مشهودُ الذّاكر، ومتى لم يَشاهد الذّاكرُ الحقَّ الذي هو جليسُه فليس بذاكر، فإنّ ذكرَ الله سارٍ في جميع العبد، لا مَن ذكره بلسانه خاصَّة، فإنّ الحقّ لا يكون في الوقت إلاّ جليسَ اللّسان خاصّة، فيراه اللّسانُ من حيث لا يراه بما هو راءٍ، فافهم هذا السرَّ في ذكر الغافلين"[٣].

ولكشف القناعِ عن سرٍّ آخرَ، نقول: كُلّ ما أثبتّ له وجوداً وذاتاً

(١) مشارق الشّموس: ٢/ ٣٩١.

(٢) كشف اليقين: ٢٢٥.

(٣) شرح فُصوص الحكم، لمُحمّد داود قيصري: ٩٨٠.

مُتأصّلة، أو صفة حقيقة، فقد صار معبوداً لك، وإلهاً من دون الله سبحانه، فالاعتراف الموجب لطلس السّيئات، ورفع الدّرجات، ونيل المقامات، هو ما أشرنا إليه، وسيأتي الكثير في هذا الأمر المجهول بين النّاس، فانتظر إنّا معكم من المُنتظرين!.

الحديث الثّالث عشر

- ❖ التّوحيد هو الفصل بين الإيمان والكُفر
- ❖ تُعصم بها النّفوس والأموال والأعراض
- ❖ لا إله إلاّ الله والقُرب الإلهي
- ❖ لازم هذه الكلمة العظيمة

الحديث الثّالث عشر

حدّثــنا مُحمّــد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدّثنا مُحمّد ابــن الحــسن الــصّفار، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن الحُسين بن ســيف، عــن أخيه عليّ، عن المُفضّل بن صالح، عن عبيد بن زرارة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: "قَولُ لا إلهَ إلاَّ الله، ثمنُ الجَنّة"(١).

التّوحيد هو الفصل بين الإيمان والكُفر

ممّـا لا شّـك فـيه، أنّ كلمـة التّوحـيد، هي كلمة الفصل بين الكُفر والإسلام، وهـي الكلمـة الكـريمة العزيـزة على الله عـزّ وجـلّ، وقـد أقسم على نفسه، أن لا يُعـذّب قائلهـا، ولا يُدخلـه الـنّار؛ بـل مـن قال (لا إله إلاّ الله) والتزم بلوازمها دخل الجـنّة، كمـا يـدلّ الحـديث الشّريف أعلاه، وغيره من الأحاديث والآيات النّاصّة علـى ذلـك، قـال تعالـى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

---

(١) الحـديث الـشّريف، ذكـره الـشّيخ الصّدوق في كتابه ثواب الأعمال: ٤، والشّيخ الطّبرسي في مكارم الأخلاق: ٣١٠، وكذلك نقله العلامة المجلسي في البحار: ٩٠/ ١٩٦.

(٢) آل عُمران: ١٣٣

تُعصم بها النّفوس والأموال والأعراض

من تلفّظ بهذه الكلمة العظيمة في اللّسان فقط، صار مُسلماً، فعُصم نفسه ومالـه وعرضه، ويخرُج بها من عُصبة الكافرين، وما يترتّب عليها من أحكام دنيويّة، من العُقوبات التي أعدّت للكافرين في ساحة الحرب، كالأسر ومُصادرة الأموال والقتل وغيرها.

لا إله إلاّ الله والقُرب الإلهي

من أراد الدّرجات العُلا، والقُرب الإلهي، فيجب عليه أن يُذعن لهذه الكلمة العظيمة، ويستتبع هذا الإذعان التّصديق القلبي، فمن قالها استحق دُخول الجنّة، كما ورد ذلك عن النّبيّ المُصّطفى صلى الله عليه وآله حيثُ قال: "من قالها مُخلصاً استوجب الجنّة، ومن قالها كاذباً عصمتْ مالهُ ودمه، وكان مصيره إلى النّار"(١).

وهذه الكلمة تدلّ على نفي الأغيار، وإثبات الواحد القهار، إذا كانت عن عرفان وإيقان نفسي، حيث إنّ قائلها، ينفي بها كُلّ وجود وكمال، ويُثبته لله الواحد القهّار، يعني، أنّ أصل كُلّ وجود وكمال منه تعالى وينحصر به ولأجله سبحانه، فمن كان اعتقاده هكذا كان حقّاً على الله أنّ يُسكنه جنّتهُ وفي جواره.

لازم هذه الكلمة العظيمة

اعلم، أيّدك الله! أنّ في هذا الحديث الشّريف نُكتة مُهمّة، مفادها، أنّ

(١) وسائل الشّيعة: ٧/ ٢١٣، باب، استحباب التّهليل واختياره على أنواع الأذكار.

البايع هو الله سبحانه، والمُشتري هو العبد، والثّمن هو هذه الكلمة العظيمة، مع توابعها ولوازمها، وأنّ من أهم لوازمها، بل لا يُمكن أن يترتّب أثر لهذه الكلمة بدونه، هو الإقرار والإذعان بالرّسالة والولاية بلا فصل، فتكون النّتيجة هو الحصول على الجنّة.

جاء أعرابي إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: "يا رسول الله، هل للجنّة من ثمن؟ قال: نعم، قال: ما ثمنها؟ قال: لا إله إلاّ الله، يقولها العبد مُخلصاً بها، قال: وما إخلاصها؟ قال: العمل بما بُعثت به في حقّه، وحُبّ أهل بيتي، قال: فداك أبي وأمّي! وإنّ حبّ أهل البيت لَمِنْ حقّها؟ قال: إنّ حُبّهم لأعظم حقّها"(١).

ولعل معناه، أنّ البيع وقع على الجنّة بهذا الثّمن، إلاّ أنّ عقد البيع ممّا يلحقه الشّروط والخيارات، فتكون ولاية أهل البيت عليهم السلام من شُروط ذلك البيع؛ بل من أهم شُروطها، كما تقدّم في قول البدر الزّاهر، والعلم الباهر، عالم آل مُحمّد عليه السلام: "وأنا من شُروطها" فلا ريب، أنّه إذا اختلّت شرائط البيع، بطل المبيع، وحصل الفسخ منه تعالى.

ومن هُنا يظهر جليّاً، أنّ من لم يكُن مُوالياً لمولانا أمير المؤمنين، وقائد الغُر المُحجّلين، عليّ بن أبي طالب، وأولاده المعصومين عليهم السلام تُسلب منه ثمرة (**لا إله إلاّ الله**) ويكون توحيده وتهليله مُجرّد لقلقة لسان، لا ينتفع به في الآخرة، وإن فعل ما فعل، وهذا دليل على عدم دُخول المُخالفين لأهل البيت عليهم السلام الجنّة، وإن بالغوا واجتهدوا في العبادات بين الرّكن والمقام،

(١) بحار الأنوار: ٣/ ١٣.

حتّى صاروا كالشّن البالي، فإنّهم لن يكونوا من أهل التّوحيد، المُنتفعين بتوحيدهم في الآخرة؛ لما فاتهم من شُروط، بل لوازم هذه الكلمة العظيمة، التي بها يتحقّق الإيمان الموجب لاستحقاق الثّواب ودُخول الجنّة، ولا نضنُّ عليك في المقام، لكشف السرّ الأعلى في قلب هذا الكلام، فنقول وبالله المُستعان: إنّ غاية السّالك في توحيده، والذي له الجنّة ثمنٌ لمعرفته، هو قصد الغاية ومن إليه النّهاية، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾(١) وهي بحسب الحقيقة ولُبّ الواقع، الأسماء العالية الحُسنى، لقول الهادي إلى الحقّ: "مَن أراد الله بدأ بكُم، ومَن قصده توجّه بكُم، ومَن وحّده قَبل عنكُم"(٢) وقولهم الصّدقعليهم السلام: "بنا عُرف الله، وبنا عُبد الله، وبنا وُحّد الله"(٣).

إذاً، فالعالم بمجموعه مظهرٌ لذلك الاسم، فاعرف السرّ ولا تغفل! وفي هذا بحث مُفصّل، سوف يأتي في محلّه، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) النّجم: ٤٢.
(٢) المُحتضر: ٢١٩، الزّيارة الجامعة.
(٣) بحار الأنوار: ٢٦/ ٢٦٠.

الحديث الرّابع عشر

- ❖ أحبّ الكلمات إلى الله سبحانه
- ❖ استحباب المدّ فيها
- ❖ الإخلاص وتناثر الذّنوب
- ❖ حصن الله الحصين

الحديث الرّابع عشر

حدّثَنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثَنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن مُحمّد بن عيسى، عن الحُسين بن سيف، عن سُليمان بن عُمرو، قال: حدّثني عُمران بن أبي عطاء، قال: حدّثني عطاء، عن ابن عباس، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: "ما من الكلام، كلمةٌ أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ من قول لا إله إلاّ الله، وما من عبد يقول: لا إله إلاّ الله، يَمُدّ بها صوته، فيَفْرَغُ، إلاّ تناثرت ذُنُوبه تَحت قَدَمَيه، كما يَتَنَاثرُ ورقُ الشّجَرة تحتها"[1].

أحبّ الكلمات إلى الله سبحانه

إنّما صارت هذه الكلمة الطّيبة، أحبّ الكلمات إلى الله عزّ وجلّ لوجوه، منها:

الوجه الأوّل- إنّها أعلى وأشرف كلمة

كلمة لا إله إلاّ الله أعلى كلمة، وأشرف لفظة، نطق بها ناطق، دالّة على

(١) هذا الحديث الشّريف ذكره الشّيخ الصّدوق في كتابه ثواب الأعمال: ٦، وأورده أيضاً العلامة الطّبرسي، في مكارم الأخلاق: ٣٠٩، وكذلك العّلامة الحُرّ العاملي في الوسائل: ٧/ ٢١٥.

وجوده تعالى مفهوماً، وعلى وحدته منطوقاً، وعلى استجماعها لصفات الكمال جميعاً، وتنزّهها عن مراتب النّقص جميعاً، وليس في الأذكار ما يدلّ على ذلك دونها؛ لأنّ مُقتضى جميع الأذكار، إمّا تمجيد أو تنزيه، بخلاف هذه الكلمة، فإنّها جامعة لمُقتضى الأذكار، ومُنطبقة على مراتب التّوحيد جميعاً.

الوجه الثّاني- لأنّها تدلّ على معرفة الله سبحانه

معرفة الله هي المبدأ لكمال الخلق؛ كما قال مولى المُوحّدين، ويعسوب الدّين، أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "أوّلُ الدّين معرفتُه، وكمالُ معرفته توحيدُه، وكمالُ توحيده التّصديقُ به، وكمالُ التّصديق به الإخلاص له، وكمالُ الإخلاص له نفيُ الصّفات عنه؛ لشهادة كُلّ صفة أنّها غيرُ الموصوف، وشهادة كُلّ موصوف أنّه غيرُ الصّفة..."[1] وحيث إنّها البداية لدعوة الأنبياء، فكان مُقتضى شرفها ومحبوبيّتها بحسب رتبة معناها، ولا يوجد شرف أعلى من معرفة الله وتوحيده، ومعرفة صفاته تبارك وتعالى.

الوجه الثّالث- لأنّها أدلّ كلمة على نفي الشّريك

لمّا كان الشّريك، هو من يمنع صاحبهُ أن يتصرّف فيما اشتركا فيه، على ما يُريد، وهذا يُنافي السّلطنة والمُلك له تعالى، لذا لا يغفر أن يُشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فكان أحبّ الأشياء إليه نقيض الشّرك، الذي هو التّوحيد، المدلول عليه بكلمة (لا إله إلاّ الله) فكانت أحبّ الكلمات إليه تعالى.

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٤، خُطبة، ١.

استحباب المدّ فيها

وأمّا قوله ﷺ: "يمدّ بها صوته" فظاهره يدلّ على صحّة مذهب من قال، بأنّ تطويل المدّة في (لا إله إلاّ الله) مندوب إليه، مُستحسن؛ لأنّ المُكلّف في زمان التّحديد، يستحضر في ذهنه، جميع ما سوى الله من الأضداد والأنداد وينفيهما، ثمّ يعقب ذلك بقوله (إلاّ الله) فيكون أقرب إلى الكمال والإخلاص.

ولا يَخفى عليك أيُّها الحبيب، أنّ مدّ الصّوت بها إشارة إلى إبرازها، صادعاً بها مسامع قُلوب العالمين، ومزلزلاً بمعناها أقدام المُشركين، ومدوّياً بمغزاها صماخ المُغْوين وجنودهم الغاوين، قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] وهي أساساً، قوّةٌ وسلاحٌ للعارفين، تطْرب لها أسماعهم، وتُردّدها ألسنتهم بالغدوّ والآصال، لا تُلهيهم عنها وعن شرطها، تجارةٌ ولا بيعٌ في أسواق الغافلين، فافهم السّرّ وما حوى! ولا تُعر سمعاً لمَن عوى، وعن الحقّ وهداته غوى!.

الإخلاص وتناثر الذّنوب

بيّن الرّسول الأعظم ﷺ في هذا الحديث الشّريف، حقيقة من الحقائق المُهمّة جداً، والتي لابدّ للإنسان من التّوجه إليها، والإخلاص فيها، وتحقيق شرطيّتها، وهي (تناثر الذّنوب) ولا يتحقّق ذلك، إلاّ إذا كانت عن إخلاص تامّ في العقيدة، وعرفانٍ قلبي، وخير أداة لتناثر ذُنوب العبد هذه الكلمة العظيمة.

(١) الحجر: ٩٤.

ومن المعلوم، أنّ وصول الإنسان إلى حقيقة التّوحيد، هو أن ترتكز أشعة الفكر والإرادة عنده، على هدف واحد، أسمى وأعلى من أيّ هدف غيره، بل أن لا يكون هدف سواه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾(١) في بعض الأحيان يكون تمركُز أشعة النّفس الإنسانيّة على نقطة وهميّة، ربّما يُحقّق قُدرات عجيبة، مُحيّرة للعُقول، فكيف إذا تمركزت أشعة فكر الإنسان وإرادته على حقيقة، هي مبدأ ومُنتهى الوجود؟! فقطعاً سوف تملأ قلبه نوراً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢) فأيّ مقام ومرتبة يصل إليها الإنسان؟! فبلا أدنى شكّ، أنّه يصل إلى المقام الذي قال سبحانه وتعالى عنه: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾(٣) فيكون مُرتبطاً بالله، مُتخلّقاً بأخلاقه عزّ شأنه، فيصبح منبعاً للخير والسّعادة والكمال.

حصن الله الحصين

فمسك الختام في هذا المقام، بأنّ كلمة (لا إله إلاّ الله) هي حصن الله

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) النّور: ٣٥.

(٣) الأنعام: ٧٩.

الحصين، التي تتناثر الذّنوب عن قائلها، إذا كانت مُقترنة بولاية الهُداة المهديّين، مُحمّد وآل مُحمّدعليهم السلام كما هو ثابت، وقد قرّرناه في محلّه مراراً؛ لأهميّته، بل لتوقّف العبادة عليه.

الحديث الخامس عشر

❖ لا معبود بحقّ سوى اللّٰه

الحديث الخامس عشر

حدّثَنا أبو نصر، مُحمّد بن أحمد بن تميم السّرخسي، الفقيه بسرخس، قال: حدّثَنا أبو لبيد، مُحمّد بن إدريس الشّامي، قال: حدّثنا هارون بن عبد الله الجمّال، عن أبي أيوب، قال: حدّثني قُدامة بن محرز الأشجعي، قال: حدّثني مخرمة بن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن أبيه، عن أبي حرب بن زيد بن خالد الجهني، قال: أشهد على أبي، زيد بن خالد لسمعته يقول: أرسلني رسول الله ﷺ فَقَالَ لي: "بشّر النّاس، أَنّه مَن قالَ: لا إله إلاّ الله، وَحدهُ لا شريكَ لهُ، فلهُ الجنّة"[1].

لا معبود بحقّ سوى الله

إنّ المُتتبع لمُفردات هذا الحديث المُبارك، يرى فيها دلالة واضحة على توحيده سبحانه، وقد مرّت الإشارة إلى هذا الحديث الشّريف في الأبحاث السّابقة من هذا الباب، إلاّ أنّه من باب التّأكيد، نُشير هنا إلى بعض النّكات المُهمّة.

---

(١) الحديث الشّريف أورده العلامة المجلسي عن التّوحيد، في كتابه البحار: ٩٠/ ١٩٦، وكذلك الميرزا النّوري في المُستدرك: ٥/ ٣٦٠.

فـنقول: الرّسـول الأكرمﷺ يُريدُ أن يُبيّن حقائق وأسرار هذه الكلمة العظيمة، والتي فيها إقرار بالعُبوديّة، بأنّ لا معبود بحقٍّ إلاّ الله، ولا مُستحق للعبادة إلاّ الله وحده، فمن أقرّ بذلك بلسانه، وطابق هذا الإقرار ما في قلبه باعتقاد خالص، بأنّ لا إله إلاّ الله، وأنّه لا ملجأ من الله إلاّ إليه، ولا يُشاركه أحد في ذاته، ولا شبيه يُشاكله في صفاته، المُتفرّد بوحدانيّته وإلوهيّته، له الأمر والخلق، وبيده الخير كُلّه، يكون مثواه الجنّة، **ولا يخفى على مَن له الدّراية في معاريض هذه الكلمة، أنّ الإقرار بالشّهادة بالإلوهيّة، لا بنحو القضية بشرط لا، ولا بنحو القضية لا بشرط، بل هي وجداناً وبُرهاناً بنحو القضية بشرط شيء، أي أنّها مشروطة بالإقرار لمقامهﷺ بالرّسالة، وهي مشروطة ـ بعدم القول بالفصل ـ بالإقرار لأهل بيته المعصومين عليهم السلام بالولاية والإمامة، كما سمعت في ما مرّ من النّصوص المُقيّدة بشرطها وشُروطها، كما أفصح الإمام الرّضا عليه السلام بقوله: "وأنا من شُروطها" وإلاّ لو لم تكُن مشروطة بما قُلنا، لكان كُلّ مَن نطق بها دخل الجنّة، وإن لم يكُن مُقرّاً لهﷺ وهذا باطل بلا خلاف بين أهل القبلة، فثبت أنّ الشّهادة مشروطة، وهو المطلوب، فافهم تَغْنم!**

الحديث السّادس عشر

- ❖ القول والعمل
- ❖ روح العمل الصّالح الإخلاص
- ❖ معرفة مُحمّد وآل مُحمّد والعمل الصّالح

الحديث السّادس عشر

حدّثنا مُحمّد بن موسى بن المُتوكل رضي الله عنه قال: حدّثنا عليّ بن الحُسين السّعد آبادي، قال: حدّثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن مُحمّد بن زياد، عن أبان وغيره، عن الصّادق عليه السلام قال: "مَن خَتَم صيامه بقول صالح أو عمل صالح، يَقبلُ الله منهُ صيامهُ، فقيَل: يَابْن رَسول الله، مَا القولُ الصّالح؟ قالَ: شَهادة أنْ لاَ إله إلاّ الله، والعَملُ الصّالحُ، إخراجُ الفطرة"[1].

(١) الحديث الشّريف نقله الشّيخ الصّدوق في كتابه الآمالي: ١١٠، وكذلك في كتاب معاني الأخبار: ٢٣٦. إلاّ أنّه قد ورد بالواو بدل أو، يعني: "مَن خَتَم صيامه بقول صالح وعمل صالح" وهذا الحديث نقله أيضاً الفتال النّيسابوري في روضة الواعظين: ٣٤٠.
والمُراد من الفطرة في الحديث الشّريف، هي التي بسببها يكون الفطر من شهر رمضان، وسُمّيت صدقة الفطر؛ لأنّها عطيّة عند الفطر، يُراد بها المثوبة من الله، فإعطاؤها من طيب نفس، يُدلّل صدق الرّغبة في تلك المثوبة، وإضافتها إلى الفطر، من إضافة الشّيء إلى سببه.

القول والعمل الصّالحان

العمل الصّالح زكاة للجسد[(١)] والقول الصّالح هو زكاة للّسان، وبما أنّ شرف الشّيء بشرف مُتعلّقه، ومُتعلّقهما هو الله سبحانه لذا شُرّفا- القول والعمل الصّالحان- بشرف مُتعلّقهما...

ولا يخفى على أولي الألباب، أنّ منار الدّين ودلائله من العمل الصّالح، إذ يطّلع منه البصير على حقائق العقائد ومكارم الأخلاق، ويُمهّد لصاحبه طريق الجنّة، كما ورد ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام حيث قال: "إنّ العمل الصّالح يسبق صاحبه إلى الجنّة، فيُمهّد له كما يُمهد الدّار خادمه، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾"[(٢)،(٣)].

وأنّ العمل الصّالح، إذا كتمه العبد وأخفاه، أبى الله عزّ وجلّ، إلاّ أن يُظهره؛ ليزيّنه به، مع ما يدّخر له من ثواب الآخرة، وأنّه بمنزلة القرض، كما أشار إلى ذلك مولى المُوحّدين، أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: "ومن سأله أعطاه، ومن أقرضه قضاه"[(٤)] حيث جعل العمل الصّالح بمنزلة القرض، والثّواب عليه بمنزلة قضاء الدّين؛ إظهاراً لتحقّق الجزاء على العمل، كما وضّحت الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الذي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾[(٥)].

---

(١) المُراد من العمل الصّالح هُنا، هو زكاة الفطرة.

(٢) الرّوم: ٤٤.

(٣) عدّة الدّاعي: ٢١٧.

(٤) نهج البلاغة: ١/ ١٥٩، خُطبة، ٩١.

(٥) البقرة: ٢٤٥.

روح العمل الصّالح، الإخلاص

اعلم، أيّدك الله! أنّ العمل لا يكون صالحاً، ما لم تتجلَّ فيه حقيقة الإخلاص، فالهدف الإلهي يُعطي لعمل الإنسان عُمقاً ونورانيّة خاصّة، ويوجهه الوجهة الصّحيحة، وعندما يتجرّد العمل من الإخلاص، يكون ذا جنبة ظاهريّة، تُشير إلى المنافع الخاصّة فقط، ويفقد عُمقه وأصالته، ووجهته الصّحيحة، ففي الحقيقة، أنّ العمل الصّالح، الذي ينبع من أهداف إلهيّة، ويمتزج بالإخلاص ويتفاعل معه، هو الذي يكون جوازاً للقاء الله تبارك وتعالى[(١)].

فالعمل الخالص، يُعتبر مُرتكزاً أساسيّاً في الإسلام، إلى الحدّ الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: "من أخلص لله أربعين يوماً، فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه"[(٢)].

ويُمكن أن نُسمّي الإخلاص بتوحيد النّيّة، أي، التّفكير بآلآء الله وعجائب صنعه، وإرجاع الأشياء إليه، وبُطلان ما سواه؛ حتّى لا يَرى لشيء أثراً بعد فناء العين، وكيفيّة رضاه سبحانه في الأمور والحالات جميعاً، وهذا لا يُمكن تحصيله ـ كما تقدّم مُفصّلاً ـ إلاّ إذا كان العمل مُساوقاً لولاية أهل البيت عليهم السلام.

معرفة مُحمّد وآله عليهم السلام والعمل الصّالح

إنّ العمل الصّالح، الذي يستحق فيه العبد المواهب الإلهيّة، ويرث

(١) قد أشرنا سابقاً، إلى أنّ للعمل الصّالح مفهوماً واسعاً للغاية، وهو يشمل أيّ برنامج مُفيد وبنّاء، فرديّاً كان أو جماعيّاً.
(٢) عدّة الدّاعي: ٢١٨.

الجنّة، التي وعد الله سبحانه أن يهبها لعباده الصّالحين، هو نتيجة لولاء العبد لمُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام والبرآئة من أعدائهم، حيث إنّ ولايتهم تزكية للقُلوب، وعلامة للإنابة والتّوبة، والوصول إلى حلاوة القُرب الإلهي، وأنّها ترفع العمل الصّالح والكلم الطّيب، وتُبلّغه حدّ القبول، ولا يقبل الله شيئاً بدون ذلك.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الإسلام عريان، فلباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومرؤته العمل الصّالح، وعماده الورع، ولكُلّ شيءٍ أساس، وأساس الإسلام حُبّنا أهل البيت"[(١)].

وأيضاً ورد في تفسير العياشي، عن سماعة بن مهران، قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالحاً وَلاَ يُشْرِكْ بعبَادَة رَبِّه أَحَداً﴾[(٢)] قال: العمل الصّالح، المعرفة بالأئمة ﴿وَلاَ يُشْرِكْ بعبَادَة رَبِّه أَحَداً﴾ التّسليم لعليّ، لا يُشرك معه في الخلافة من ليس ذلك له، ولا هو من أهله"[(٣)].

وعن الإمام الصّادق عليه السلام قال: "الكلم الطّيب، قول المؤمن: لا إله إلاّ الله، مُحمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، وخليفة رسول الله (صلوات الله عليهما وآلهما) قال: والعمل الصّالح، الاعتقاد بالقلب، أنّ هذا هو الحقّ من عند الله، لا شكّ فيه من ربّ العالمين"[(٤)].

---

(١) تُحف العُقول: ٤٣٩.
(٢) الكهف: ١١٠.
(٣) تفسير العياشي: ٢/ ٣٥٣.
(٤) بحار الأنوار: ٦٦/ ٦٤.

إذاً، العمل الصّالح، هو التّوحيد الخالص والتّجريد الحقّ، والمُراد منه، هو الإخلاص لمُحمّد وآل مُحمّد (صلوت الله عليهم) بكُلّ ما تعنيه هذه الكلمة من معان، والتي من أهمها، بل الجامع لها، هو التّولّي والاتّباع لولايتهم، والتّبرّي من أعدائهم ومُنكري فضائلهم، كما مرّت الإشارة إلى ذلك في الأبحاث السّابقة.

الحديث السّابع عشر

❖ معرفة الله أفضل النّعم

الحديث السّابع عشر

حدّثنا أبو منصور، أحمد بن إبراهيم بن بكر الخُوري بنيسابور، قال: حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن مُحمّد بن هارون الخُوري، قال: حدّثنا جعفر بن مُحمّد بن زياد الفقيه الخُوري، قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله الجويباري، ويُقال له: الهروي والنّهرواني والشّيباني، عن الرّضا عليّ بن موسى، عن أبيه، عن آبائهعليهم السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: "ما جزاءُ مَنْ أنعَمَ اللهُ عَليه بالتّوحيد إلاّ الجَنّة؟"[(١)].

معرفة الله أفضل النّعم

اعلم، أصلح الله تعالى مكنون سريرتك! وفتح عين بصرك وبصيرتك! أنّ أفضل النّعم، هي معرفة الله بكمالاته الذّاتيّة والأسمائيّة والصّفاتيّة، ومعرفة الأدلاء عليه، الذين هُم مُحمّد وآله الطّاهرونعليهم السلام الذين لا يقبل الله عملاً إلاّ بمعرفتهم.

فلا شكّ أنّهمعليهم السلام أسماؤه الحُسنى، وعلايمهُ العُظمى، وآياتهُ الكُبرى،

---

(١) كنز العُمال للمُتّقي الهندي: ١/ ٣٠١.

وصفوة الصّفوة، كما ورد التّعبير عن هذا المعنى، من قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: "من رآني فقد رأى الحقّ"[1] باعتبار أنّ مقام الأسماء والصّفات مقامهم عليهم السلام فهُم الذين عرفوا الله حقّ معرفته، واتّصفوا بأسمائه، وتخلّقوا بأخلاقه.

ورد في صريح الكتاب، ومُنيف الخطاب، قول ربّ الأرباب: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وسيأتيك في مطاوي سُطور هذا الكتاب، ما تَقَرُّ به عينُك، ويَثلَج به فؤادُك، فانتظر إنّا منتظرون!

فإنّ هذه لأفضل النّعم التي أنعم الله بها على عباده، وأنّ من عرفها حقّ معرفتها، ما كان على الله إلاّ أن يُدخله مدخله في الجنّة، التي وعد عباده الصّادقين.

(١) بحار الأنوار: ٥٨/ ٢٣٥.

الحديث الثّامن عشر

- ❖ الآثار الدّنيويّة والأخرويّة لهذه الكلمة

الحديث الثّامن عشر

وبهـذا الإسـناد[1] قـالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: "إنَّ (لا إلهَ إلاّ الله) كلمـة عَظـيمة كـريمة على الله عَزَّ وَجلَّ، منْ قالَها مُخلصاً استوجبَ الجنّةَ، ومنْ قالَها كاذِباً عُصِمتْ ماله ودمه، وكانَ مَصيره إلى النّارِ"[2].

الآثار الدّنيويّة والأخرويّة لهذه الكلمة

تقـدّم شـرح هـذا الحـديث في ما سبق[3] إلاّ أنّ هناك نُكتة مُهمّة ينبغي الإشـارة إليها هُنا، **فنقول**: إنّ الأثر الوضعي لهذه الكلمة، حقن دماء القائلين بهـا، وحفـظ أموالهم، وفي هذا بيانٌ لهذه الكريمة الحاصنة لزمرة المُسلمين،

(١) أي، بالإسـناد المُـتقدّم، فـي الحـديث السّابع عشر من هذا الباب، حيث ورد فيه: حدّثنا أبـو منصور، أحمد بن إبراهيم بن بكر الخُوري بنيسابور، قال: حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بـن مُحمّد بن هارون الخُوري، قال: حدّثنا جعفر بن مُحمّد بن زياد الفقيه الخُوري، قال: حدّثـنا أحمد بن عبد الله الجويباري، ويُقال له: الهروي والنّهرواني والشّيباني، عن الرّضا عليّ بن موسى، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) الحديث الشّريف نقله العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار، عن توحيد الصّدوق: ٣/ ٥.

(٣) حيث مـرّ تفـصيل بعـض المطالـب بخُـصوص هـذا الحـديث فـي الحـديث الأوّل والثّاني والحديث الحادي عشر من هذا الباب، فراجع.

من طائلة العقاب الدّنيوي، ولكنّها الحصن الحصين لمَن أقرّ بشرطها القويم، والصّراط المُستقيم، وهو ولايةُ مَن نزل الكتاب آمراً بطاعتهم، والأخذ عنهم، كما قال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(١).

والجدير بالذّكر، ما نُقل عن العارف الشّيخ مهدي الأصفهاني رحمه الله وكان مُشتغلاً بتعلّم الفلسفة المُتعارفة، وبلغ أعلى مراتبها، حيث قال: "لم يطْمئنّ قلبي بنيل الحقائق، ولم تسكُن نفسي بدرك الدّقائق، فعطفت وجه قلبي إلى مطالب أهل العرفان، فذهبتُ إلى أستاذ العُرفاء والسّالكين، السّيد أحمد، المعروف بالكربلائي في كربلاء، وتتلمذت عنده، حتّى نلتُ معرفة النّفس، وأعطاني ورقةً أمضاها، وذكر اسمي مع جماعة، بأنّهم وصلوا إلى معرفة النّفس، وتخليتها من البدن، ومع ذلك لم تسكُنْ نفسي؛ إذ رأيت هذه الحقائق والدّقائق، التي سمّوها بذلك، لا توافق ظواهر الكتاب، وبيان العترة، ولابدّ من التّأويل والتّوجيه، ووجدتُ كلتا الطّائفتين كسراب بقيعة، يحسبه الظّمآن ماءً، حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فطويت عنهما كشْحاً، وتوجّهت وتوسّلت مُجدّاً مُكدّاً إلى مسجد السّهلة، في غير أوانه، باكياً مُتضرّعاً مُتخشّعاً إلى صاحب العصر والزّمان عليه السلام فبانَ لي الحقّ، وظهر لي أمر الله، ببركة مولانا صاحب الزّمان (صلوات الله عليه) ووقع نظري في ورقة مكتوبة

(١) النّساء: ٥٩.

بخطّ جليّ: طلبُ المعارف من غيرنا، أو طلب الهداية من غيرنا ـ الشّك منّي ـ مُساوقٌ لإنكارنا، وعلى ظهرها مكتوبٌ: أقامني الله وأنا الحُجّة بن الحسن، قال: فتبرّأت من الفلسفة والعرفان، وألقيت ما كتبتُ منهما في الشّط، ووجّهت وجهي بكُلّه إلى الكتاب الكريم، وآثار العترة الطّاهرة، فوجدت العلم كُلّه في كتاب الله العزيز، وأخبار أهل بيت الرّسالة، الذين جعلهم الله خُزّاناً لعلمه، وتراجمة لوحيه، ورغب وأكدّ الرّسول صلى الله عليه وآله بالتّمسّك بهما، وضمن الهداية للمُتمسّك بهما، فاخترت الفحص عن أخبار أئمة الهُدى، والبحث عن آثار سادات الورى، فأعطيت النّظر فيها حقّه، وأوفيت التّدبّر فيها حظّه، فلعمري! وجدتها سفينة نجاة، مشّحونة بذخائر السّعادات، وألفيتها فَلَكاً مُزيّناً بالنّيّرات، المُنّجية من ظُلمات الجهالات، ورأيت سُبلها لائحة، وطُرقها واضحة، وأعلام الهداية والفلاح على مسالكها مرفوعة، ووصلت في سلوك شوارعها إلى رياض نضرة، وحدائق خضرة، مُزيّنة بأزهار كُلّ علم، وثمار كُلّ حكمة إلهيّة، المُوحاة إلى النّواميس الإلهيّة، فلم أعثر على حكمة إلاّ وفيها صفوها، ولم أظفر بحقيقة إلاّ وفيها أصلها. والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كُنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله"[١].

ففي هذه القُصّة، التي نقلها علم من أعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام عبرة لمن يعتبر، وعلى هذا، فكُلّ من أخذ من غيرهم، فهو كالرّامي بغير وتر، والسّائر في البيداء من غير هُدى.

(١) مُستدرك سفينة البحار: ١/ ١١.

الحديث التّاسع عشر

❖ السّرّ الكامن وراء التّكرار الظّاهري

الحديث التّاسع عشر

بهـذا الإسناد[1] قالَ: قالَ رسولُ اللهصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ: "منْ قالَ: أنَّ لا إلهَ إلاّ الله، في ساعَةٍ مِن لَيلٍ أو نَهارٍ، طلسَتْ ما في صَحيفَته منْ السّيّئاتِ"[2].

السّرّ الكامن وراء التّكرار الظّاهري

ينبغـي التّـنويه إلى سرّ خَفي على الجلّ، وهامّ جدّاً في مسلكنا، وسوف تراه جليّاً في أبحاثنا الآتية، إن شاء الله تعالى.

فنقول: إنّ هذا الحديث الشّريف، هو تكرار لمعنى الحديث الثّاني عشر مـن هـذا الـباب، حيث ورد فيه: بإسناده عن أبي الطّفيل، عن عليّعَلَيۡهِٱلسَّلَامُ قال: "مـا منْ عبد مُسلم يَقول: لا إله إلاّ الله، إلاّ صَعدتْ تخرُق كُلَّ سَقف، لا تَمُرُّ بشيءٍ منْ سيِّئاته إلاّ طلستها، حتّى تنتهي إلى مثلها من الحسنات، فتقفُ"[3].

(١) أي، بالإسناد المُتقدّم، في الحديث السّابع عشر والثّامن عشر من هذا الباب.

(٢) الحـديث الـشّريف، نقلـه العلاّمـة المجلسي فـي كتابه بحار الأنوار: ٣/ ٥، نقلاً عن توحـيد الـصّدوق، وأيـضاً نقلـه الحرّ العاملـي فـي الوسائل: ٧/ ٢١٣، باب، استجابة التّهليل، واختياره على أنواع الذّكر.

(٣) الحديث الثّاني عشر من هذا الباب، والذي قد تقدّمت الإشارة إليه.

فالكلام حسب الظّاهر، فيه تكرار قد يُفيد التّأكيد، كما يتصوّر الكثير من أهل التّحقيق، ولكن الحقّ الحقيق، الجدير بالتّحقيق، هو لا تكرار ولا تأكيد بالمعنى الصّوري لهما؛ بل الحقيقة، أنّ لهم عليهم السلام في كُلّ مقام مقالاً، يُفيد فائدة أخرى، وسرّاً آخر، لم يُذكر فيما سبق، فأرادوا بيانه، وذلك لحمل الكلام الصّادر من ناحيتهم على الحقيقة؛ باعتبار كونهم في محلّ البيان، وكشف السّرّ في كُلّ مقام، غاية الأمر، بما يُناسب فهم المُخاطبين في المجلس، كما نرى ذلك في ترتيب نُزول الآيات في القُرآن الكريم، حيث ترى تكرار القصص، أو العظات، أو الأحكام والخطابات ظاهراً، ولكن بالدّقة نجد أنّ لكُلّ قصّة وعظة حُكماً، ناظراً إلى جهة مُعيّنة؛ حتّى لا يختلج بالبال، أنّ التّكرار الحاصل مُخالف للبلاغة والفصاحة، فهم عليهم السلام سادة البلاغة والفصاحة؛ بل هُم من سنّ البلاغة والفصاحة للعرب، يُنقل أنّ أحد البُلغاء العرب، سُئل مرّة: من أين لك كُلّ هذه البلاغة والفصاحة؟ فقال: حفظت سبعين خُطبة من خُطب الأجلح [(١)] ففاضت ثمّ فاضت [(٢)].

إذاً، هذا التّكرار ناظر إلى الزّمان والمكان والأمم، كما هو شأن التّكرار في القُرآن الكريم، فهو لا يخلو من حكمة وسرّ وفائدة، ناظرة إلى ظرف الخطاب التي نزلت فيه، أو الجهة التي وجّهت إليها الآية.

وهُناك نُكتة مُهمّة، يجب الالتفات إليها، وهي رشحة من رشحات

(١) يقصد المولى أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويعني بالجَلَح: هو ذهاب الشَّعر من مُقدَّم الرّأس، وفيه إشارة إلى كونه عليه السلام موصوفاً بالأصْلع.
(٢) بحار الأنوار: ٤١/ ١٤٦.

الـنّور الأزلي، والمدد الغيبي، الذي يقذفه الله بقلب من تمسّك بحبل الله المتين، والعُروة الوثقى، مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام فنقول: إنّ الحديث الثّاني عشر، قد ورد النّصّ فيه، عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أمّا في الحديث التّاسع عشر، فقد ورد عن الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وفي هذا إشارة هامّة، إلى أنّ ظرف الخطاب في عهده صلى الله عليه وآله كان مُقتصراً على حفظ العنوان العام للشّهادة، فهو في مقام بيان اللّسان العام للإسلام، وما به يتحقّق، وهذا ما يُطلق عليه بعصر التّنزيل، بخلاف عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي توسّعت فيه القُدرات بقدرٍ ما، وهو ما يُطلق عليه بعصر التّأويل، كما صرّح بذلك صلى الله عليه وآله حيث قال: "ياعليّ، أنت منّي وأنا منك، وأنت تُقاتل على التّأويل، كما قاتلت أنا على التّنزيل"(١).

فلذا نجد، أنّ لفظ النّصّ الوارد عنه صلى الله عليه وآله: **"منْ قالَ: أنّ لا إلهَ إلاّ الله، في ساعَة من لَيلٍ أو نَهارٍ، طلسَتْ ما في صَحيفَته منْ السّيئات"** يتناسب معَ النّظر إلى الآفاق، وهذا هو بيان النّظر الاستغراقي، للزّمان والمكان المحسوسيْن لدى عامّة النّاس، وأمّا قول الحقّ، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: "ما منْ عبدٍ مُسلم يَقول: لا إله إلاّ الله، إلاّ صَعدتْ تخرُق كُلَّ سَقفٍ، لا تَمُرُّ بشيءٍ منْ سيّئاته إلاّ طلستها، حتّى تنتهي إلى مثلها من الحسنات، فتقف" ففيه سرّ نضيد، وأصل عتيد، وهو ناظر بذلك إلى خرق الحُجب بهذه الكلمة، فهو على وزن (سقف) وبذلك يكون رفعاً لمُستوى

(١) ينابيع المودّة: ٣/ ٢٧٨.

النّظـر إلـى العلـيّ الأعلـى، قال عزّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[١].

وثمّـة سـرّ يفتح أسراراً، وهو الغاية، حيث إنّ في العهد النّبويّ، ورد التّعبير: "مَـن قـال" وفـي العهد العلوي: "ما من عبد مُسلم" وفي العهد الرّضوي: "بشرطها وشُـروطها، وأنا من شُروطها" ففي العهد الأوّل، اكتفى صلى الله عليه وآله بالعُموم، وفي العهد الثّانـي خصّص المولى عليه السلام العُموم بالمُسلم، وفي العهد الثّالث، وهو غاية البيان، تخـصيص الخـاصّ بالـولاية، التـي هـي الحصن الحصين، والحسنة التي لا تضرّ معهـا سـيّئة، وجوهـرة العُقـول التّامّة الوجود، الذي هوغاية السّالك في توحيده، والـذي تكـون الجـنّة ثمـناً لمعـرفته، فهـذا هو قصد الغاية، ومن إليه النّهاية، قال الهـادي إلى الحقّ، من آل مُحمّد عليهم السلام: "مَن أراد الله بدأ بكُم، ومَن قصده توجّه بكُـم، ومَـن وحّـده قَـبل عـنكُم"[٢] وقـول صادق العترة الطّاهرة عليه السلام: "بنا عُرف الله، وبنا عُبد الله، وبنا وُحّد الله"[٣].

هـذا مـا أردنـا بـيانه، فـي الحـديث التّاسـع عشر، وهُناك جهات عجيبة، وحيثيات غربية في كلامهم عليهم السلام فلو دققنا النّظر، لوجدنا ما لم تره عين، ولـم تـسمع بـه أذن، فـنحن ببركتهم، توصّلنا إلى السّرّ الذي بيّناه، والجوهر الذي اعتمدناه، فخُذ به وكُن من الحامدين الشّاكرين لفضلهم عليهم السلام!.

---

(١) الأنبياء: ٣٢.

(٢) من لايحضره الفقيه: ٢/ ٦١.

(٣) بحار الأنوار: ٣٦/ ٢٤٧.

الحديث العشرون

- ❖ انحصار المعرفة بهم عليهم السلام
- ❖ المُراد من العمود
- ❖ المُراد من العرش
- ❖ الكُرسي والعرش
- ❖ المُراد من الحوت

الحديث العشرون

بهـذا الإسناد[1] قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: "إنّ لله عَزَّ وجَلَّ عَمُوداً منْ ياقُوتَة حَمْرَاء، رَأسَهُ تَحتَ العَرش، وأسْفلهُ عَلى ظَهْر الْحُوت في الأرض الـسّابعة الـسُّفلى، فإذا قالَ العَبدُ: لا إلهَ إلاّ الله، اهتزَّ العرَشُ، وتَحـرّكَ العَمودُ، وتَحرّكَ الحُوتُ، فَيَقُولُ اللهُ تبارِكَ وتعالى: أسكنْ يا عَرشي! فَيَقولُ: كيفَ أسكنْ[2] وأنتَ لمْ تَغْفرْ لقائلها؟ فَيقولُ اللهُ تَباركَ وتعالى: إشهدُوا سُكّان سَماواتي، إنّي قَد غَفَرتُ لقائلها"[3].

انحصار المعرفة بهم عليهم السلام

فـي الحـديث الـشّريف أسـرار إلهـيّة كُبرى، لا يُمكن إدراك كُنهها، أو

---

(١) أي، بالإسـناد المُـتقدّم، فـي الحـديث الـسّابع عـشر والـثّامن عـشر والتّاسع عشر من هذا الباب.

(٢) ورد في بعض النّسخ: أأسكن، بدل: كيف أسكن.

(٣) إنّ هـذا الحـديث الـشّريف، ذكـره الشّيخ الصّدوق في عُيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١/ ٣٤، وورد ذكـره أيضاً في مُسند الإمام الرّضا عليه السلام: ٢/ ٦، وفي كتاب وسائل الشّيعة: ٧/ ٢١٤.

الإحاطة بها، والوقوف على معانيها؛ إلاّ لمن انتهل من منهل العلم والحكمة، مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام واغترف من عذب مائهم، ولهذا نُلاحظ، أنّ من حاول توضيح بعض المُصطلحات الواردة في هذا الحديث الشّريف، مثل المُراد من الحوت، أو العمود، أو العرش، واستند إلى فهمه، أو أعتمد على تفسيرها على غيرهم عليهم السلام فإنّه ضلّ ضلالاً بعيداً، فهو قطعاً يقع في شُبهة التّجسيم أو الشّرك، أو غيرهما من المحذورات، ولنُحاول نحن ببركتهم، أن نفهم ونستخرج شذرات معاني هذا الحديث الشّريف، ونتعرّف على بعض الأسرار الإلهيّة، المودعة فيه؛ وذلك بتتبّع أقوال المعصومين عليهم السلام في ذلك.

المُراد من العمود

نقول: وردت عدّة معاني وتوجيهات للمُراد من العمود.

المعنى الأوّل– علم الإمام

إنّ المُراد من العمود، هو علم الإمام، الذي عليه يقوم أمر الخلائق، من التّكوين والتّشريع، وكونه من ياقوتة حمراء، هو تعبير عن تلك الحقيقة، التي هي أنفس جوهرٍ من الجواهر الجسمانيّة، كما هو الشّأن في ألسنة بعض العُلماء، فهُم، إن أرادوا بيان حقائق العوالم، التي فوق عالمنا هذا، فإنّهم يُعبّرون عن تلك الحقائق، بنفائس جواهر هذا العالم، إذ ليست عندنا ألفاظ ومفاهيم، تحكى عن تلك الحقائق بالنّص.

المعنى الثّاني– ملك موكل برفع أعمال العباد

المُراد بالعمود، هو ملكٌ موكلٌ برفع أعمال العباد في كُلّ البلاد، كما

ورد ذلك في الكافي الشّريف، حيث قال: "أقبل يونس، فقال: دخلتُ على أبي الحسن الرّضا عليه السلام فقلت له: جعلتُ فداك! قد أكثر النّاس في العمود، قال: فقال لي: يا يونس، ما تراه، أتراه عموداً من حديد يرفع لصاحبك؟! قال: قُلت: ما أدري، قال: لكنّه ملك موكل بكُلّ بلدة، يرفع الله به أعمال تلك البلدة، قال: فقام ابن فضّال، فقبّل رأسه، وقال: رحمك الله يا أبا مُحمّد! لا تزال تجيئ بالحديث الحقّ، الذي يُفرّج الله به عنّا"(١).

المعنى الثّالث ـ الإلوهيّة التي قامت بها السّماوات

إنّ المُراد من العمود، هو الإلوهيّة التي قامت بها السّموات والعرش والكرسي، كما أورد ذلك العارف الرّبّاني، القاضي القُمّي، في شرحة لكتاب التّوحيد، حيث قال: "إنّ العرش إنّما استقرّ بلا إله إلاّ الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله" ولأنّ كُلّ موجود، قام باسم من أسماء الله، كما في الأدعية: "باسمك الذي تقوم به السّماوات" إلى غير ذلك، وجميع الموجودات إنّما قامت باسم الله، الذي هو إمام أئمة الأسماء(٢).

المعنى الرّابع ـ العترة الطّاهرة

إنّ المقصود من العمود، هو العترة الطّاهرة؛ لأنّ العترة بحسب معناها، هي الأصل الذي يُعتمد عليه الشّيء، لذا تُطلق العترة، ويُراد منها الأولاد

(١) الكافي: ١/ ٣٨٨، باب، مواليد الأئمة.
(٢) شرح توحيد الصّدوق للقُمّي: ١/ ٤٥ ـ ٤٦.

والأقـارب، وبعبارة أخرى: العمود المحفوظ في العشيرة، كما ورد ذلك عن أبي جعفرعليه السلام حيث قال: "ونحن بقيّة تلك العترة"(١).

الجمع بين هذه الأقوال والمعاني

ويُمكـن الجمـع بين هذه الأقوال، بأنّ المُراد بالعمود، هُمعليهم السلام كما جاء ذلـك فـي زيارة الإمام الجوادعليه السلام والتي نقلها السيّد ابن طاووس، في كتاب إقـبال الأعمـال، حيـث نقـل في زيارته: "اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا عَمُودَ الدّينَ، اَشْهَدُ اَنَّكَ وَلِيَّ الله وَحُجَّتُهُ في اَرْضه، وَأَنَّكَ جَنْبُ الله وَخيَرَةُ الله، وَمُسْتَوْدَعُ علْم الله وَعلْـم الأنْبِـياء، وَرُكْـنُ الإيمان، وَتَرْجُمانُ الْقُرْآن، وَاَشْهَدُ أنَّ مَن اتَّبَعَكَ عَلَى الْحَـقِّ وَالْهُـدى، وَأنَّ مَـنْ أنْكَـرَكَ وَنَصَبَ لَكَ الْعَداوَةَ عَلَى الضَّلالَة وَالرَّدى، أبْـرَأ إلَـى الله وَإلَـيْكَ مِـنْهُمْ فـي الدُّنْيا وَالآخرَة، وَاَلسَّلامُ عَلَيْكَ ما بَقيتُ وَبَقيَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ"(٢).

فهُـمعليهم السلام العمـود الـذي يقـوّم بـه الدّين، فكما أنّ قوام البيت بالعمـود، فـإذا ثـبت العمود، نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكـسر، لـم يـنفع طـنب ولا وتـد ولا غشاء، فكذلك هُمعليهم السلام قوام الوجود والموجود، والرّابط بين العابد والمعبود، فالإنسان إذا تمسّك بهم، وسار على نهجهم، ثبت عمودُ بيتِ أعماله وعباداته، وإذا تخلّف عنهم، ما نفعه شيء.

---

(١) تفسير العياشي: ١/ ١٦٨.

(٢) أنظر، كتاب إقبال الأعمال: ٣/ ٣٤٢.

روى أنس بن مالك، عن معاذ بن جبل: "إنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: "إنّ الله عزّ وجلّ، خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحُسين، قبل أن يخلق الدّنيا بسبعة آلاف عام، قُلتُ: فأين كُنتم يا رسول الله؟ قال: قُدّام العرش، نُسبح الله تعالى ونحمده ونُقدّسه ونُمجّده، قُلتُ: على أيّ مثال؟ قال: أشباح نور، حتّى إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق صُورنا، صيّرنا عمود نور، ثمّ قذفنا في صُلب آدم، ثمّ أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمّهات، ولا يُصيبنا نجس الشّرك، ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم، ويشقى بنا آخرون، فلمّا صيّرنا إلى صلب عبد المُطّلب، أخرج ذلك النّور فشقّه نصفين، فجعل نصفه في عبد الله، ونصفه في أبي طالب، ثمّ أخرج النّصف الذي لي إلى آمنة، والنّصف إلى فاطمة بنت أسد، فأخرجتني آمنة، وأخرجت فاطمة عليّاً، ثمّ أعاد عزّ وجلّ العمود إليّ، فخرجت منّي فاطمة، ثمّ أعاد عزّ وجلّ العمود إلى عليّ، فخرج منه الحسن والحُسين، من النّصفين جميعاً، فما كان من نور عليّ، فصار في ولد الحسن، وما كان من نوريّ، صار في ولد الحُسين، فهو ينتقل في الأئمة من ولده، إلى يوم القيامة"[1].

المُراد من العرش

ذكر العُلماء عدّة معاني للعرش، منها:

المعنى الأوّل- عرش الوحدانيّة

فالوحدانيّة أنسب بمقام التّنزيه عن الشّريك، وأُستدلّ بقوله تعالى:

(١) علل الشّرائع: ١/ ٢٠٩.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّه رَبِّ الْعَرْش عَمَّا يَصِفُونَ﴾[(١)] أي، ربّ الوحدانيّة، بمعنى، أنّه واحد في الذّات والصّفات[(٢)].

المعنى الثّاني ـ المثل الأعلى

عبّر أغلب المُفسّرين، بأنّ المُراد من العرش في الآية القُرآنيّة: ﴿رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ هو ربّ المثل الأعلى، عمّا مثلوه به، ولله المثل الأعلى، الذي لا يشبهه شيء، ولا يوصف، ولا يتوهم، فذلك المثل الأعلى.

المعنى الثّالث ـ القُدرة والمُلك

أي، مالك جميع المخلوقات، فله أن يفعل ما يشاء، ويحكُم ما يُريد، وليس لغيره ذلك.

ثمّ إنّ الظّاهر من العرش، في هذا الحديث، هو القُدرة التّكوينيّة، واسم الله الأعظم التّكويني، والمثل الأعلى الإلهي، المُتمثّل بالرّسول الأعظم، والأئمة المعصومين عليهم السلام.

فهُم عليهم السلام المثال الأكمل والأتم لأسماء الله الحُسنى، بل هُم اسم الله الأعظم، فهُم حملة العلم والقُدرة، وهُم تمثال ما خلق الله تعالى من النّظام الخاصّ المُتعيّن، بإرادة الله، ومشيئته، وقُدرته، وقضائه، وهُم يعلمون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، ويقدرون على كُلّ شيء بلطف الله عليهم.

---

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٢) كما ذهب إلى ذلك العارف الرّباني، والمُحقّق الصّمداني، القاضي سعيد القُمّي في شرحه لتوحيد الصّدوق.

الكُرسي والعرش

وللعلـم، بـأنّ المُراد بالكُرسي غير العرش، وإن وصل بينهما في كثير من الآيـات، فهُمـا نـوعان مـن علمـه سـبحانه، فالكُرسـي: العلـم المُـتعلّق بأعـيان الموجـودات، ومـنه تظهـر جمـيع الموجـودات بحقائقهـا وأعـيانها، والأمـور الـبديعة فـي السّماوات والأرض وما بينهما. والعرش: العلم المُتعلّق بكيفيّات الأشـياء، ومقاديـرها، وأحوالها، وبدئها وعودها، ويُمكن أن يكون أحدهما، عبارة عن كتاب المحو والإثبات، والآخر عبارة عن اللّوح المحفوظ.

المُراد من الحوت

المُـراد مـن الحـوت، هو: صور الأشياء القائمة بالموادّ الجسمانيّة، المُعبر عـنها، بـالأرض الـسّابعة السّفلى، إذ كما أنّ حياة الحوت بالماء، كذلك بقاء الـصّورة بالمـادّة، التـي عُبّـر عـنها بالماء، كما عبّر القاضي القُمّي، في شرحه على توحيد الصّدوق[(١)].

ثـمّ اعلـم، أيّـدك الله! أنّ هـذه الألفـاظ التـي ورد ذكـرها في الأحاديث الـشّريفة، رُبّمـا تـستنكرها وتستغربها بعض العُقول، ولكن بما أنّها قد وردت فـي كلامهـم عليهم السلام وكـذلك وردت فـي القُـرآن الكـريم؛ فـيجب الإذعـان والتّـسليم المُطلـق لهـا، وإنْ خالـف ذلـك بعـض الـتّوهمات العقليّة؛ لأنّ فيها حقائق وأسراراً لايُمكن الإحاطة بها من قبل الإنسان غير المعصوم.

روى ثقـة الإسـلام الكُلينـي (أعلـى الله مقامه) في الكافي الشّريف، عن

(١) شرح توحيد الصّدوق: ١/ ٤٦ـ٤٧.

أبـي عـبد الله عليه السلام قـال: "إنّ الحـوت الذي يحمل الأرض، أسرّ في نفسه، أنّه إنّمـا يحمـل الأرض بقوّته، فأرسل الله تعالى إليه حوباً، أصغر من شبر وأكبر مـن فتـر، فدخلت في خياشيمه فصعق، فمكث بذلك أربعين يوماً، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ رأف به ورحمه"(١).

وكـذلك ورد أيـضاً عـن الإمـام الصّادق (صلوات الله عليه) أنّه قال: "إنّ الله تـبارك وتعالـى، أمر الحوت بحمل الأرض، وكُلّ بلد من البُلدان على فلس من فلوسـه، فإذا أراد الله عـزّ وجـلّ أن يُزلـزل أرضـاً، أمـر الحـوت أن يُحرّك ذلك الفلس، فيُحرّكه، ولو رفع الفلس، لانقلبت الأرض بإذن الله عزّ وجل"(٢).

ففـي هـذه الكلمـات والألفاظ معان، لا تحصل الإحاطة بها، إلاّ بالاتّـباع والأخـذ، بمـا جاء عنهم عليهم السلام ولمزيد الفائدة وحُصول تمام الثّمـرة، راجع ما دشّنه يَراع القاضي السّعيد رحمه الله بقلمه، في شرحٍ وافٍ لـبعض الأسـرار فـي هـذا الـنصّ الـشّريف، فـي كـتاب الأربعين، وسـنوافيك بمـا يَـسرُّك من بيانٍ في مطاوي شرحنا الكبير للتّوحيد، فارتقبْ إنّا مُرتقبون!.

---

(١) الكافي: ٨/ ٢٥٥، سبب وقوع الزّلزلة.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٥٤٣.

الحديث الحادي والعشرون

- ❖ التّوحيد المُنجي من عذاب الله
- ❖ الإقرار بولاية الميامين مُحمّد وآل مُحمّد

الحديث الحادي والعشرون

حدّثنا أبو الحُسين، مُحمّد بن عليّ بن الشّاه الفقيه بمرو الرّوذ، قال: حدّثنا أبو بكر، مُحمّد بن عبد الله النّيسابوري، قال: حدّثنا أبو القاسم، عبد الله بن أحمد بن عباس الطّائي بالبصرة، قال: حدّثني أبي، في سنة ستّين ومئتين، قال: حدّثني عليّ بن موسى الرّضاعليه السلام سنة أربع وتسعين ومئة، قال: حدّثني أبي، موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي، جعفر بن مُحمّد، قال: حدّثني أبي، مُحمّد بن عليّ، قال: حدّثني أبي، عليّ بن الحُسين، قال: حدثني أبي، الحُسين بن عليّ، قال: حدّثني أبي، عليّ بن أبي طالبعليه السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: يقُول الله جلّ جلاله: "لا إله إلاّ الله حِصْني، فَمَن دَخَلَه أمِن مِنْ عَذابي"(١).

التّوحيد المُنجي من عذاب الله

أعلم، أنّ كلمة لا إله إلاّ الله كلمة عظيمة شريفة، إذا تلفّظ بها الإنسان،

---

(١) الحديث الشّريف ذكره الشّيخ الصّدوق في كتابه ثواب الأعمال: ٧. مع اختلاف يسير لبعض الكلمات، وكذلك أورده أيضاً في كتابه عيون أخبار الرّضاعليه السلام: ١/ ١٤٣، وذكره الفتال النّيسابوري في روضة الواعظين: ٤٢.

وهو عارف بحقيقتها وجوهرها، فإنّه سوف يأمن من عذاب الله وسخطه... فالإنسان إذا وحّدَ اللهَ حقّ توحيده، وكان مصداقاً لكلام أمير المؤمنين عليه السلام: "ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله فيه أو قبله أو معه"[(١)] أي، يرى الحقّ عين الوجود كُلّه، واعتقد أنّ الله هو قيّوم السّماوات والأرض وما فيهما، وأنّ المُمكنات اقتبست من نوره الأعظم، فاتّصفت بالوجود، بعدما كانت ترزح بالعدم، قال الحقّ المُتعال: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئاً﴾[(٢)].

فهذه المعرفة هي التّوحيد المُنجي من عذاب الله تعالى، ولا يخفى بأنّ جميع الموجودات، من العرش إلى الفرش، حقيقتها وجوهرها الولاية لمُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام لأنّها أصل الوجود وكماله، فحقيقة الإلوهيّة قد ظهرت في الموجودات، من مُنتهى عالم الغيب إلى مُنتهى عالم الشّهود، وهذا سرّ الأسرار الإلهيّة، التي يجب على الإنسان دركها والإحاطة بها، ولو على مُستوى الإدراك النّظري؛ فرابطة التّوحيد مع النّبوّة والإمامة رابطة وثيقة، لايُمكن الفصل بينها؛ فهذه مُجتمعة تُمثّل المسيرة التّكامليّة للإنسان، ضمن التّغيير والبناء في المنهج الإلهي للإنسان، وهذا يُمثّل حصن الله المنيع، الذي يحصل بواسطته الإنسان على الفوز الأبدي في الدّارين، وإلاّ ما قيمة العلم أو العمل من دون ولايتهم ومودّتهم عليهم السلام؟!.

روى الشّيخ الصّدوق (أعلى الله مقامه) عن أبي حمزة الثّمالي، قال: "قال لنا

(١) شرح الأسماء الحُسنى: ١/ ١٨٩.

(٢) مريم: ٩.

عليّ بن الحُسين عليهما السلام: أيّ البقاع أفضل؟ فقُلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: أمّا أفضل البقاع، ما بين الرّكن والمقام، ولو أنّ رجُلاً عمّر ما عمّر نوح عليه السلام في قومه ـ ألف سنة إلاّ خمسين عاماً ـ يصوم النّهار ويقوم اللّيل في ذلك المكان، ثمّ لقي الله عزّ وجلّ بغير ولايتنا، لم ينفعه ذلك شيئاً"(١).

وروى ثقة الإسلام الكُليني (أعلى الله مقامه) في الكافي الشّريف، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: "أما لو أنّ رجُلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه، وتكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عزّ وجلّ حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان"(٢).

وقد أشار إلى هذه الحقيقة ربّ العزّة في خطابه لموسى بن عمران، بقوله عزّ من قائل، في الحديث القُدسي الشّريف: "يا ابن عمران، إنّي لا أقبل الصّلاة إلاّ لمن تواضع لعظمتي، وألزم قلبه خوفي ومحبّتي، وقطع نهاره بذكري، وعرف حقّ أوليائي، الذين لأجلهم خلقت سماواتي وأرضي وجنّتي وناري، مُحمّد وعترته، فمن عرفهم وعرف حقّهم، جعلت له عند الجهل حلماً، وعند الظّلمة نوراً، وأعطيته قبل السّؤال، وأجبته قبل الدّعاء"(٣).

فهُم عليهم السلام نور الأنوار، وخزانة الأسرار، وملكوت الواحد القهّار، وخزانة الحكمة ومعدن الرّحمة، خلق الله عزّ شأنه الدّنيا والآخرة

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٢٤٥.

(٢) الكافي: ٢/ ١٩، باب، دعائم الإسلام.

(٣) الجواهر السّنيّة: ٣٦٧، في ما ورد في عليّ والأئمة الطّاهرين.

لأجلهـم، واختـارهم على العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً﴾[1].

الإقرار بولاية الميامين مُحمّد وآل مُحمّد

خلاصـة الخلاصـة وسـرّ الأسـرار، هو أنّ هُناك ربطاً وثيقاً، بين الإقـرار بالـرّبوبيّة، المُتمثّل بكلمة (لا إله إلاّ الله) وبين الإقرار بولاية الهـداة المهديّـين، مُحمّـد وآل مُحمّدعليهم السلام فلا يُمكن الفصل بينهما؛ وهـذه هي المسيرة التّكامليّة للإنسان، التي تُمثّل حقيقة التّوحيد، التي تُنجي من تمسّك بها من عذاب الله، وتُسكنه فسيح جنّاته.

(١) الأحزاب: ٣٦.

الحديث الثّاني والعشرون

❖ المُراد من العامريّة والمُربعة والمطرف

الحديث الثّاني والعشرون

حدّثــنا أبو سعيد، مُحمّد بن الفضل بن مُحمّد بن إسحاق المُذكّر النّيــسابوري بنيــسابور، قــال: حدّثنــي أبــو علــيّ، الحــسن بن عليّ الخزرجــي الأنصاري السّعدي، قال: حدّثنا عبد السّلام بن صالح، أبو الصّلت الهروي، قال: "كُنتُ مع عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام حين رحلَ من نيسابور، وهو راكب بغلة شهباء، فإذا مُحمّد بن رافع، وأحمد بن حَــرب، ويَحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهوَيه، وعدّة منْ أهلِ العلمِ، قــد تعلّقــوا بلجــامِ بغلــته في المربعة، فقالوا: بحقِّ آبائكَ المُطهّرين، حدّثنا بحديثٍ قد سمعتَهُ من أبيك، فأخرَجَ رَأسَه من العُماريّة، وعَلَيه مطــرَفُ خزٍّ، ذُو وَجهَين، وقالَ: حدّثَني أبي، العَبدُ الصّالحُ موسى بن جَعفــر، قالَ: حدّثني أبي الصّادق، جعفر بن مُحمّد، قال: حدّثني أبي، أبــو جعفــر، مُحمّد بن عليّ، باقر علم الأنبياء، قال: حدّثني أبي، عليّ بــن الحُسين، سيّد العابدين، قال: حدّثني أبي، سيّد شباب أهل الجنّة، الحُــسين، قــال: حدّثنــي أبــي، عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: سمعتُ النّبــيّ صلى الله عليه وآله يقــول: قــال الله جــلّ جلالــه: إنّــي أنــا الله لا إله إلاّ أنا

فاعبدونـي، مـن جاء منكُم بشهادة أنّ لا إله إلاّ الله بالإخلاص، دخلَ في حصني، ومن دخل في حصني أمنَ مِن عذابي»[(١)].

المُراد من العامريّة والمُربعة والمطرف

تقدّم الكلام في هذا الحديث في الأبحاث السّابقة، ونُشير هُنا إلى بعض النُكات اللّغويّة، كلفظ (المَربَعة، والعُماريّة، والمطرَف).

فالمَـربَعة ـ بفـتح المـيم والـباء ـ: المَوضع الّذي يتربّعون فيه في الرّبيع، وذكر العلامة المجلسيرَحِمَهُ اللهُ معنى آخر له[(٢)].

والعُماريّة: هودج يُجلس فيه.

والمطرف: هو أحد المطارف، وهي أردية من خز، مربعة لها أعلام[(٣)].

---

(١) الحديث الشّريف ذكره الشّيخ الصّدوق في عدّة كُتب، كالأمالي: ٣٠٦، وكذلك في كتاب عُيون أخبار الرّضا: ١/ ١٤٣.

(٢) حيث قال: يحتمل أن يكـون المُـراد بالمـربعة، الموضـع المُتّـسع، الّـذي كانـوا يخرجون إلـيه فـي الـرّبيع للتّنـزه، أو الموضـع الّـذي كانوا يجتمعون فيه للّعب، من قـولهم: ربـع الحجـر، إذا أشـاله ورفعـه لإظهـار القـوّة، وسـمعت جماعة من أفاضل نيـسابور، أنّ المـربعة اسـم للموضـع الّـذي علـيه الآن نيـسابور، إذ كانـت البلدة في زمانهعَلَيْهِ السَّلَامُ في مكان آخر، قريب من هذا الموضع، وآثارها الآن معلومة، وكان هذا الموضع من أعمالها وقراها، وإنّما كان يُسمّى بالمربعة؛ لأنّهم كانوا يُقسّمونه بالرّباع الأربعـة، فكانـوا يقولون: ربع كذا وربع كذا، وقالوا: هذا الاصطلاح الآن أيضاً دائر بيننا، معروف في دفاتر السّلطان وغيرها. أنظر، بحار الأنوار: ٣/ ٧.

(٣) لسان العرب: ٩/ ٢٢٠.

الحديث الثّالث والعشرون

- ❖ القانون الطّبيعي للتّوحيد الحقّ
- ❖ المُساوقة بين التّوحيد والولاية

الحديث الثّالث والعشرون

حدّثــنا مُحمّــد بن موسى بن المُتوكل رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: حدّثنا أبو الحُسين، مُحمّــد بن جعفر الأسدي، قال: حدّثنا مُحمّد بن الحُسين الصّوفي، قال: حدّثــنا يُوســف بــن عقــيل، عن إسحاق بن راهويه، قال: لَمّا وافى أبو الحــسن الرّضــا عَلَيهِ السَّلَامُ بنيسابور، وأرادَ أن يخرُج منها إلى المأمون، اجتمع إلــيه أصــحابُ الحــديث، فقالــوا لــه: يا ابن رسول الله، ترحل عنا ولا تُحدّثــنا بحــديث، فنــستفيده مــنْك؟ وكان قد قعدَ في العُماريّة، فأطلع رأسه، وقال: سمعتُ أبي، موسى بن جعفر يقول: سمعتُ أبي، جعفر بن مُحمّــد يقــول: سمعتُ أبي، مُحمّد بن عليّ يقول: سمعتُ أبي، عليّ بن الحُــسين يقــول: ســمعتُ أبــي، الحُــسين بن عليّ بن أبي طالب يقول: ســمعتُ أبــي، أميــر المؤمنين، عليّ بن أبي طالب يقول: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ يقــول: ســمعتُ جبرئيل يقول: سمعتُ الله جلّ جلاله يقولُ: "لا إلــه إلاّ الله حصني، فمنْ دخلَ أمنَ منْ عذابي، قال: فلمّا مرّت الرّاحلة، نادانا: بشُروطها وأنا من شُروطها"[1].

---

(١) الحديث الشّريف ذكره الشّيخ الصّدوق في أهم كُتبه، كمعاني الأخبار: ٣٧١، ◄

القانون الطّبيعي للتّوحيد الحقّ

لا يخفى على أولي الألباب، أنّ شرط التّوحيد لله تعالى، والإخلاص له، لا يحصل إلاّ بسلوك مراتبه ودرجاته، والتي لا تحصل إلاّ بالاتّباع والانقياد للحقيقة المُحمّديّة، المُتمثّلة بعدهصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بولاية عليّ وآل عليّعَلَيْهِمُ السَّلَامُ والتي هي نقاوة الإيمان، وأركان التّوحيد الخالص، وهذا ممّا نصّ عليه الإمام الرّضا (صلوات الله عليه) في متن الرّواية أعلاه، حيث قال: "**وأنا من شُروطها**". فإنّه في الحقيقة، توجد علّيّة تامّة وترابط وثيق، بين الإقرار بالرّبوبيّة، المُتمثّلة بكلمة (لا إله إلاّ الله) وبين شُروط هذه الكلمة، والتي من أهمّها ولاية الميامين عليّ وآل عليّعَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومن المعلوم عند أهل العلم، أنّه بانتفاء الشّرط ينتفي المشروط؛ فولايتهمعَلَيْهِمُ السَّلَامُ هي الرّكن الأصيل لتوحيد الله سبحانه، فهذه الحقيقة هي سرّ من أسرار الله الكُبرى، وهي القانون الطّبيعي لتوحيد الله عزّ شأنه، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[(١)].

المُساوقة بين التّوحيد والولاية

فهذه الحقيقة، التي هي ولاية آل مُحمّدعَلَيْهِمُ السَّلَامُ مقرونة بتوحيد الله عزّ شأنه وطاعته، فبين التّوحيد والولاية تساوق تامّ، فلا يحصل التّوحيد

وثواب الأعمال: ٧، وعُيون أخبار الرّضا: ١/ ١٤٥، ونقله أيضاً الفتال النّيسابوري في روضة الواعظين: ٤٢.

(١) الأحزاب: ٧٢.

الخـالص الحـقّ إلاّ بتحقـيقها؛ بـل ينحـصر سـبيل التّوحـيد بولايـتهمعليهم السلام وتُلاحـظ هـذه الحقيقة ناصعة في ألفاظ الزّيارة الجامعة المُقدّسة، حيث قال المعصومعليه السلام فيها: "وأركاناً لتوحيده"(١).

وجاء فـي الكافـي الـشّريف بـسند مُتّـصل، عـن الإمام الصّادقعليه السلام في وصـف الأئمـة، قـال: "جعلهـم الله أركـان الأرض، أن تُمـيد بأهلهـا، وحُجّته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثّرى"(٢).

أي، أنّ الله سـبحانه قـد جعل ولايتهمعليهم السلام هي الميزان والحُجّة علـى الخلق جميعاً، فلا يقبل الله تعالى التّوحيد من أحد، إلاّ إذا كان مقروناً بولاية الهُداة المهديّينعليهم السلام.

روى الكُلينـي (أعلـى الله مقامـه) فـي الكافـي الشّريف، بإسناده عن أبي جعفـرعليه السلام أنّـه قـال: "أمّـا لو أنّ رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدّق بجميع مالـه، وحـجّ جمـيع دهـره، ولـم يعـرف ولاية وليّ الله فيواليه، ويكون جميع أعمالـه بدلالـته إليه، ما كان له على الله عزّ وجلّ حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان"(٣).

(١) كامل الزّيارات: ٥٢٧.
(٢) الكافي: ١/ ١٩٦، باب، أنّ الأئمة هم أركان الأرض.
(٣) الكافي: ٢/ ١٩، باب، دعائم الإسلام.

الحديث الرّابع والعشرون

- ❖ حُكم المُوالين والمُخالفين
- ❖ أهل الإيمان لا يدخُلون النّار
- ❖ المُنكرون لولاية عليّ لايدخُلون الجنّة
- ❖ التّنزيل الإلهي لمقام الولاية الكُبرى
- ❖ المعيار لقبول الأعمال ورفضها

الحديث الرّابع والعشرون

حدّثــنا أبــو نصر، مُحمّد بن أحمد بن تميم السّرخسي، قالَ: حدّثنا أبــو لبــيد، مُحمّــد بن إدريس الشّامي، قالَ: حدّثنا إسحاق بن إسرائيل، قــالَ: حدّثــنا حُريز، عن عبد العزيز، عن زيد بن وهب، عن أبي ذررحمه الله قــال: "خــرجت ليلة من اللّيالي، فإذا رسول اللهصلى الله عليه وآله يمشي وحده، ليس معه إنسان، فظننت أنّه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظــلّ القمــر، فالــتفت فرآنــي، فقــال: من هذا؟ قُلت: أبو ذر، جعلني الله فــداك! قــال: يا أبا ذر، تعال! فمشيت معه ساعة، فقال: إنّ المُكثرين هم الأقلّــون يــوم القــيامة، إلاّ مــن أعطاه الله خيراً، فنفح منه بيمينه وشماله، وبــين يديــه ووارئــه، وعمــل فــيه خيراً، قال: فمشيت معه ساعة، فقال: اجلــس ههُــنا! وأجلــسني في قاع حوله حجارة، فقال لي: اجلس حتّى أرجــع إليك! قال: وانطلق في الحرّة، حتّى لم أره، وتوارى عنّي، فأطال اللّــبث، ثــمّ إنّي سمعتهصلى الله عليه وآله وهو مقبل، وهو يقول: وإنْ زنى، إن سرق، قــال: فلمّــا جــاء، لم أصبر حتّى قُلت: يا نبيّ الله، جعلني الله فداك! من تكلّمــه فــي جانب الحرّة؟ فإنّي ما سمعت أحداً يردّ عليك من الجواب

شـيئاً، قـال: ذاك جبرئيل، عرض لي في جانب الحرّة، فقال: بشّر أمّتك، أنّـه مـن مـات لايُـشرك بـالله عزّ وجلّ شيئاً دخل الجنّة، قال: قُلت: يا جبرئيل، وإنْ زنى وإنْ سرق؟ قال: نعم، وإنْ شرب الخمر"[(١)].

حُكم المُوالين والمُخالفين

تقـدّم الكلام في الأحاديث السّابقة، عن معنى الخُلود في الجنّة أو النّار، ونتكلّم في هذا الحديث عن أمرين:

الأمـر الأوّل ـ هـل أنّ أصـحاب الكبائـر مـن أهل الإيمان، يدخلون النّار أم لا؟

الأمر الثّاني ـ هل المُخالف المُنكر لإمامتهم عليهم السلام يُخلّد في النّار أم لا؟

أهل الإيمان لا يدخُلون النّار

قـد أثبـتت الأحاديـث الـشّريفة، الـواردة عـن أهـل بـيت العـصمة والطّهارة عليهم السلام بأنّ أصحاب الكبائر من أهل الإيمان لايدخُلون النّار.

روى حمـزة بـن حمـران، عـن سـيّدنا ومـولانا أبي عبد الله الصّادق عليه السلام قـال: "تُقـتل حفدتـي بـأرض خراسـان، فـي مدينة يُقال لها: طُوس، من زاره إلـيها، عارفـاً بحقّـه، أخذتـه بـيدي يوم القيامة، وأدخلته الجنّة، وإن كان من أهـل الكبائـر، قُلـت لـه: جُعلـت فـداك! ومـا عرفان حقّه؟ قال: يعلم أنّه إمام

(١) الحـديث الـشّريف ورد ذكـره فـي مـشكاة الأنـوار: ٣٨، وكـذلك ذكـره العلامـة المجلسي في البحار: ٣/ ٨، باب، ثواب الموحّدين والعارفين.

مُفترض الطّاعة، غريب شهيد، من زاره عارفاً بحقّه، أعطاه الله عزّ وجلّ أجر سبعين شهيداً، ممّن استشهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله على حقيقة"[(١)].

وقد استفاضت الأخبار عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: "حُبّ عليّ حسنة، لا تضرّ معها سيّئة، وبُغضه سيّئة، لا ينفع معها حسنة"[(٢)].

وكذلك فإنّ الله تعالى أوجب على نفسه، أنّ لا يُطعم النّار لحم رجل أحبّ عليّاً عليه السلام وإن ارتكب الذّنوب المُوبقات، وإن أراد الله أن يُعذّبه عليها، كان ذلك في البرزخ، كما في بعض الرّوايات، حتّى إذا ورد القيامة، وردها وهو آمن من عذاب الله، فذنوبه لا تضرّه ضرراً يُدخله النّار، وهذا ببركة حُبّ عليّ وآل عليّ عليهم السلام.

ثمّ إنّ الظّاهر من الزّنا والسّرقة وشُرب الخمر، الوارد ذكرها في هذا الحديث الشّريف أعلاه، هي من باب الكناية عن مُطلق الكبائر، فيكون المُراد، أنّ من مات على التّوحيد دخل الجنّة، وإنْ ارتكب الكبائر، وقد أثبتنا بالدّليل، بأنّ الإقرار بالتّوحيد مُساوق للإقرار بالولاية، حيث لا توحيد مقبول بدون ولاية عليّ وآل عليّ عليهم السلام.

ويُمكن توجيه الأخبار الواردة، بأنّ الموالين لأهل البيت عليهم السلام لايدخُلون النّار، مهما كانت أعمالهم؛ وذلك بسبب، أمّا أنّهم حُوسِبوا ومُحّصوا على ما فعلوا، من معاصي وآثام في دار الدّنيا؛ وذلك بابتلائهم بالأمراض وغيرها،

---

(١) وسائل الشّيعة: ١٤/ ٥٥٤، باب، استحباب زيارة قبر الإمام الرّضا عليه السلام.

(٢) الرّوضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٨.

كـدَين أو سـقم أو فقـر، أو أنّهـم يُعذّبـون فـي عـالم البرزخ، كما ورد ذلك في بعض الأخبار.

روى صـفوان الجمّـال، قـال: دخلـت علـى أبـي عـبد الله عليه السلام فقُلـت: "جُعلـت فـداك! سـمعتك تقـول: شـيعتنا فـي الجـنّة، وفـيهم أقـوام مُذنـبون، يرتكبون الفواحش، ويأكلون أموال النّاس، ويشربون الخُمور، ويتمتعون في دُنـياهم، فقـال عليه السلام: هم في الجنّة، اعلم، أنّ المؤمن من شيعتنا، لا يخرُج من الدّنـيا، حتّـى يُبتلـى بـدَين أو بسقم أو بفقر، فإن عُفي عن هذا كُلّه، شدّد الله علـيه فـي النّـزع، عـند خُـروج روحـه، حتّـى يخرُج من الدّنيا ولا ذنب عليه، قُلـت: فـداك أبي وأمي! فمن يرد المظالم؟ قال: الله عزّ وجلّ، يجعل حساب الخلق إلى مُحمّد وعليّ عليهما السلام فكُلّ ما كان على شيعتنا، حاسبناهم ممّا كان لنا مـن الحـقّ فـي أمـوالهم، وكُلّ ما بينه وبين خالقه، استوهبناه منه، ولـم نزل به حتّى نُدخله الجنّة، برحمة من الله، وشفاعة من مُحمّد وعليّ عليهما السلام"[(١)].

ونقـل عـن كـتاب (البشارة لشيعة عليّ عليه السلام) أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله دخل يوماً علـى علـيّ بـن أبـي طالب عليهما السلام فقال: "ما رأيتك أقبلت عليّ مثل هذا الإقبال، فقال صلى الله عليه وآله: جئت لأُبشّرك، اعلم، أنّ هذه السّاعة نزل عليَّ جبرئيل عليه السلام وقال لـي: الحقّ يُقرؤك السّلام، ويقول: بشّر عليّاً وشيعته، أنّ الطّائع والعاصي منهم مـن أهـل الجـنّة، فلمّـا سـمع مقالـته خرّ لله ساجداً، ثمّ رفع يديه إلى السّماء، وقال: شهد الله عليَّ، أنّي وهبت حسناتي لشيعتي، فقالت فاطمة عليها السلام: شهد الله

---

(١) بحار الأنوار: ٦٥/ ١١٥.

عليٍّ، أنّي وهبت لشيعة عليّ نصف حسناتي، فقال الحسن والحُسين عليهما السلام أيضاً كذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنتم بأكرم منّي، شهد الله عليٍّ، أنّي وهبت لشيعة عليّ نصف حسناتي، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى رسوله: ما أنتم بأكرم منّي، إنّي غفرت لشيعة عليّ ومحبّيهم ذنوبهم"[١].

المُنكرون لولاية عليّ لايدخُلون الجنّة

اتّفق أغلب عُلمائنا الأعلام في حُكم من أنكر إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام حيث قالوا بخُلودهم في النّار؛ لأنّ المُنكر، ناكر ضرورة من ضروريّات الدّين الحنيف؛ ولأنّ المُنكر لهُم، مُنكر للنّبوّة وجاحدها، فهُم في الحُكم سواء، بدلالة قوله صلى الله عليه وآله: "من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة"[٢].

فقول المُصطفى صلى الله عليه وآله من الشّواهد المُهمّة، على أنّ معرفة الأئمة ومعرفة حقّهم، وصدّق ولايتهم، ركن من أركان الدّين، ولا يدخُل الجنّة جاهل بهم، ناكر لحقّهم وفضلهم، فهُم الأعراف الذين يعرفون محبّيهم وشيعتهم، فيدخُلون بهم الجنّة، كما ورد ذلك في الكافيّ الشّريف، عن أبي عبد الله عليه السلام حيث قال: "جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، وعلى الأعراف رجال يُعرفون كُلاّ بسيماهم؟ فقال: نحن على الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف، الذي لا يُعرف الله عزّ وجلّ إلاّ بسبيل

(١) كتاب الأربعين للشّيخ الماحوزي: ١٠٧.
(٢) الكافي: ١/ ٣٧٧، باب، أنّ من عرف إمامه لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّر.

معرفتنا، ونحن الأعراف، يعرّفُنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصّراط، فلا يدخُل الجنّة إلاّ من عرفنا وعرفناه، ولا يدخُل النّار إلاّ من أنكرنا وأنكرناه، إنّ الله تبارك وتعالى، لو شاء لعرّفَ العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه، وصراطه، وسبيله، والوجه الذي يُؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا، أو فضّل علينا غيرنا، فإنّهم عن الصّراط لناكبون، فلا سواء، من اعتصم النّاس به، ولا سواء، حيث ذهب النّاس إلى عُيون كدرة، يفرغ بعضها في بعض، وذهب من ذهب إلينا إلى عُيون صافية، تجري بأمر ربّها، لا نفاد لها ولا انقطاع"[1].

وممّا يؤيّد ذلك قوله عليه السلام في نهج البلاغة: "وإنّما الأئمة قوام الله على خلقه، وعُرفاؤه على عباده، لا يدخُل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه، ولا يدخُل النّار إلاّ من أنكرهم وأنكروه"[2].

وعليه أنّ دُخول الجنّة، يستوجب الاتّباع للشّريعة النّبويّة، والعمل بما جاء فيها، ولا يحصل ذلك إلاّ بمعرفتها، ومعرفة صاحب الشّريعة، وما أمر ونهى، فلابدّ من معرفة الإمام، وحقيقة إمامته، وصدق ولايته؛ ليُقتدى به.

التّنزيل الإلهي لمقام الولاية الكُبرى

إنّ لمقام الولاية الكُبرى لعليّ وآل عليّ عليهم السلام تنزيلاً إلهيّاً خاصّاً، بحسب التّأثير والتّأثّر، وترتّب الآثار، والمعرفة والأنكار، ففي الحقيقة، أنّ منزلة الولاية الخاتميّة العُظمى، لمولانا أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام

(١) الكافي: ١/ ١٨٤، باب، معرفة الإمام والرّد عليه.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ٤٠، خُطبة، ١٥٢.

كمنزلة مقام النّبوّة الخاتميّة العُظمى، لنبيّنا الأكرم مُحمّد صلى الله عليه وآله والأنبياء والمُرسلين عليهم السلام فالموالي والتّابع لعليّ وآله المعصومين عليهم السلام هو موالي وتابع للنّبوّات الإلهيّة جميعاً، وخُصوصاً نبوّة نبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله والمُنكر لولايته وولاية أولاده المعصومين عليهم السلام هو مُنكر لما جاءت به النّبوّات جميعاً، سيّما نبوّة نبيّنا مُحمّد صلى الله عليه وآله بلا أدنى شكّ أو ترديد...

المعيار لقبول الأعمال ورفضها

فالولاية العُظمى لعليّ وآل عليّ عليهم السلام هي المعيار الحقيقي في قبول ورفض الأعمال جميعاً، مهما كبُرت، وهذا المُعيار هو المُصحّح للاعتقاد القائل، بأنّ الموالين لعليّ وآل عليّ عليهم السلام لا يدخُلون النّار، وإن سرقوا أو زنوا أو شربوا الخمر؛ لأنّ أمرهم- كما صرّحت به الرّواية السّابقة الذّكر- موكول إلى من إليهم الإياب، وعليهم الحساب، وعندهم فصل الخطاب، مُحمّد وآل مُحمّد، صلوات الله عليهم، وأنّ المُنكرين لمقام الولاية العُظمى لا يدخُلون الجنّة، ويُخلّدون في النّار، وإن صاموا أو صلّوا أو عملوا ما عملوا من طاعات.

الحديث الخامس والعشرون

- ❖ الأثر يدلّ على المؤثّر
- ❖ أهم الطّرق لمعرفة خالق الكون
- ❖ القاهريّة تقتضي الغنى الذّاتي
- ❖ الآيات والدّلائل على وجوده سبحانه
- ❖ الوُصول إلى مرحلة اليقين
- ❖ علم التّوحيد علم اكتسابي
- ❖ أظهر دليل على معرفة اللّه سبحانه
- ❖ أتمّ دليل على وجود اللّه الكُمّل من خلقه

الحديث الخامس والعشرون

حدّثنا أبو الحسن، أحمد بن مُحمّد بن أحمد بن غالب الأنماطي، قال: أخبرنا أبو عُمرو، أحمد بن الحسن بن غزوان، قال: حدّثنا إبراهيم بن أحمد، قال: حدّثنا داود بن عمرو، قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: "بينا رجل مُستلق على ظهره، ينظر إلى السّماء وإلى النّجوم، ويقول: والله، إنّ لك لربّاً هو خالقك، اللّهم اغفر لي! قال: فنظر الله عزّ وجلّ إليه، فغفر له"[1].

الأثر يدلّ على المؤثّر

إنّ في هذا الحديث دُروساً ومباحث عقائديّة مُهمّة، حيث استدلّ الرّجل، على وجود الصّانع بآثاره الموجودة في الكون؛ باعتبار أنّ معرفة الله هي المبدأ للدّين الإلهي، والبداية لدعوة الأنبياء، فيجب أن يكون أوّل تفكير للبشر حول خالقه وصانعه، فأوّل السّير في هذا المَسير، هو النّظر

(١) الحديث الشّريف ذكره العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ٣/ ٩.

والتّفكير حول الخالق الخَبير، اُنظر إلى النّصّ القُرآنيّ المُحكم: ﴿الذّين يَذكرون اللهَ قياماً وقُعُوداً وعلى جُنُوبهم ويتفكّرون في خلْق السّموات والأرض ربّنا ما خلقْتَ هذا باطلاً سُبحانكَ فَقنا عذابَ النّار﴾(١) والذي من خلاله، تتكامل المعرفة الإجماليّة الفطريّة لدى الإنسان؛ حتّى يصل إلى المعرفة التّفصيليّة، وقد ذكر العُلماء عدّة طُرق، لمعرفة خالق الكون، من أهمّها:

أهم الطّرق لمعرفة خالق الكون

الطّريق الأوّل- تجلّي الحقّ

فالتّجلّي الإلهي من أهم الطّرق والأدلّة على معرفته سبحانه، كما قال عزّ اسمه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٢).

وقول أمير المؤمنين ويعسوب الدّين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "يا مَنْ دلّ على ذاته بذاته" (٣).

وقول الإمام زين العابدين، وسيّد السّاجدين عليّ بن الحُسين عليه السلام: "بك عرفتُك، وأنت دللتني عليك"(٤).

فإنّ الله تبارك وتعالى أظهر الأشياء كُلّها، بل له الظّهور كُلّه، كما قال سيّد الشّهداء، الإمام الحُسين عليه السلام في دُعاء عرفة: "أيكون لغيرك من الظّهور

(١) آل عُمران: ١٩١.
(٢) فُصّلت: ٥٣.
(٣) نهج السّعادة: ٦/ ١٢٨، بحار الأنوار: ٩١/ ٢٤٣.
(٤) الصّحيفة السّجاديّة: ٢١٤، في دُعائه عليه السلام في سحر شهر رمضان.

ما ليس لك، حتّى يكون هو المُظهر لك، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك"[(١)].

فالأشياء تُعرف به، كما قال الإمام سيّد السّاجدين عليه السلام أعلاه: "بك عرفتُك" لكن جهل الإنسان، وقصر نظره عن الأسباب الموصلة إليه تعالى، حجبه عن معرفته، وأبعده عن قُربه سبحانه، فكُلّما أنفذ الإنسان بصيرته إلى الأسباب، وربطها بمُسبباتها ازداد معرفةً، وابتعاداً عن الظّلمات، واقتراباً إلى عالم النّور.

الطّريق الثّاني- التّدبّر والنّظر في مخلوقات الله

عندما يرى الإنسان حركات الأجرام السّماويّة، غير القابلة للحصر، وهي تدور في مدارات مُنظّمة بدقّة، فإنّ نظام هذه الأجرام شاهد على أنّ هُناك مُحرّكاً لها، وهذه هي الخُطوة الأولى في مضمار معرفة الله، وهي التّصديق بالواقعيّات.

فإنّ ما في الكون من سنن وقوانين لا ينفكّ عن علّة توجده، وأن تكوين الشّيء بلا مكوّن، وتحقّقه بلا علّة أمر محال، لا يعترف به العقل، بل تأباه الفطرة والوجدان؛ وعلى ذلك، فكُلّ الكون، وما فيه من نُظم وعلل، يدلّ على أنّ هُناك علّةً أوجدته وكوّنته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ التي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا

(١) بحار الأنوار: ٦٤/ ١٤٢.

مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

وسُئل أمير المؤمنين وسيّد المُتّقين عليه السلام عن إثبات الصّانع، فقال: "البعرة تدلّ على البعير، والرّوثة تدلّ على الحمير، وآثار القدم تدلّ على المسير، فهيكل علويّ بهذه اللّطافة، ومركز سُفليّ بهذه الكثافة، كيف لا يدلان على اللّطيف الخبير؟!"[2].

القاهريّة تقتضي الغنى الذّاتي

فإنّ احتياج المُمكنات وافتقارها إلى مُخرج يُخرجها من الإمكان إلى الوجود والفعليّة، وسدّ احتياجها بالكُلّيّة؛ لايُمكن إلا بالإيمان بالغني المُطلق والواحد الحقّ؛ وذلك أنّ القهّاريّة تقتضي الغنى الذّاتي، الذي هو أعلى مراتب الغنى المُطلق[3].

قال سيّد البُلغاء، وباب حكمة مدينة الرّسول، والتي هي حقّاً من مُعجزات أمير المؤمنين عليه السلام ولو لم تكُن له مُعجزة سواها لكفى، كما لو لم يكُن لرسول الله صلى الله عليه وآله مُعجزة سوى أمير المؤمنين لكفى، حيث قال: "ولا يشمل بحدّ، ولا يُحسب بعدّ، وإنّما تُحدّ الأدوات أنفسها، وتُشير الآلات إلى

---

(١) البقرة: ١٦٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٨/ ٣٨.

(٣) كما أشار إلى هذا المُحدّث العارف المُحقّق الشّهير، الشّيخ القاضيّ سعيد القُمّي في كتابه شرح توحيد الصّدوق: ٥٠.

نظائرها، منعتها منذ القدمة، وحمتها قد الأزليّة[١] وجنبتها لولا التّكملة، بها تجلّى صانعها للعُقول، وبها امتنع عن نظر العُيون، لا تجري عليه الحركة والسّكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، ويعود إليه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه؛ إذاً، لتفاوتت ذاته، ولتجزّأ كنّهه، ولامتنع من الأزل معناه»[٢].

فجمع أمير البلاغة والكلام، أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالبعليه السلام في هذه الخُطبة، أصول معرفة الخالق جميعاً.

الآيات والدّلائل على وجوده سبحانه

جميع أجزاء عالم الوجود، هي آيات ودلائل، نصبها الله سبحانه للإنسان؛ بأنْ ينظر إليها بعنوان العبرة والاعتبار، والمُشاهدة الحقّة؛ وذلك لما أودع فيها سبحانه من إبداع في الخلق والصّنع، فالكواكب المركوزة، والأفلاك والأجرام السّيّارة وغيرها، وما تسير عليه من نظام في حركتها،

(١) هذا أبلغ ما رأيناه في كلام العرب؛ حيث أراد المولى أمير المؤمنينعليه السلام أن يُبيّن بأنّ هذه الكلمات هي من لوازم المخلوقات، حيث إنّ جميع المخلوقات تتّصف بمنذ وقد ولولا، فهي تُفيد الابتداء أو التّقريب أو التّعليق، وهذا الاتّصاف دليل على عدم القدم والأزليّة والكمال الذّاتي للمُتّصف بها، والخالق عزّ شأنه مُنزّه عنها؛ فبخلقه سبحانه لهذه الأدوات، التي هي من لوازم المخلوق تجلّى سبحانه للعُقول، وبها احتجب عن الرّؤية، لأنّ عُقولنا كمُلت بالمشاعر والحواس، وبعُقولنا استخرجنا الدّلالة على أنّه لا تصحّ رؤيته.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ١٢٠، خُطبة، ١٨٦.

وترابط وثيق فيما بينها، كُلّ ذلك دليل على وجود آمر يُدبّر أمرها، ويربط إحداها بالأخرى.

قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(١).

وفي آية أخرى، يقول عزّ شأنه: ﴿اللَّهُ الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾(٢).

الوُصول إلى مرحلة اليقين

يجب على الإنسان أنّ لايكتفي بهذا القدر من المعرفة؛ بل يسعى غاية سعيه، حتّى يصل إلى العلم، ويعرف الله بالعلم، لا بهذه المعرفة الاستدلاليّة للفعل فقط، والوُصول إلى العلم الذي هو الإدراك، الذي لا يتزلزل بالشّكّ والتّشكيك، ولا تُزيله الشّبهات، ونستطيع أن نُعبّر عنه (العلم بمرحلة اليقين) وهو الذي أمرنا الله به.

علم التّوحيد علم اكتسابي من وجه

وبالجُملة، فإنّ جميع العُلوم قابلة للاكتساب والتّعلّم، حتّى علم التّوحيد، فالعلم هو الإدراك الحقيقّي، وشُهود الحقّ والواقع، وهو النّور الذي يقذفه الله سبحانه في قلب من يشاء، فيُضيء قلبه، ولكن هذه الإشاءة لا تأتي

(١) الغاشية: ١٧ـ ٢٠.

(٢) الطّلاق: ١٢.

اعتباطاً، بل عن حكمة واتقان.

فالذي ينظر إلى موجودات العالم، لابدّ من أن تكون نظرته نظرة العبرة والبصيرة؛ بأنّ يرى العالم وسيلة للمعرفة، والوصول إلى مقام العُبوديّة السّامي، الذي خُلق من أجله الإنسان، كما قال عزّ من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(١) وقوله عزّ شأنه في الحديث القُدسي: "يا ابن آدم، خلقتُك من أجلي"(٢).

أمّا من نظر إلى عالم الدّنيا والوجود، لا بعين البصيّرة، بل نظر إليها واتّخذها هدفاً للوصول إلى المقاصد المادّيّة والدّنيويّة، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً، كما أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين وسيّد الوصّينعليه السلام حيث قال: "من أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته"(٣).

فإذا تأمّل المُتأمّل في قول سيّد الوصيّينعليه السلام:"من أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته" وجد فيه من المعنى العجيب، والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته، ولا يُدرك غوره.

أظهر دليل على معرفة الله سبحانه

خلقة الإنسان أظهر دليل على وجود معرفة الله؛ وذلك لتركيبة الإنسان الخاصّة، من علمه وعجيب خلقه، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ

(١) الذّاريات: ٥٦.

(٢) الفُتوحات المكّيّة: ٣/ ٥٠٤.

(٣) نهج البلاغة: ١/ ١٣١، من كلام لهعليه السلام في صفة الدّنيا، في خُطبة، ٨٢

الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾(١).

فإذا نظر الإنسان إلى نفسه، وما يصل إليه إدراكه، ولاحظ أجزاءه وذرّاته، وجد أنّه محتاج إلى سبب يوجده، فمُعطي الوجود له، إمّا هو نفسه، أو مثله من سائر الموجودات، فأمّا الأوّل، فالمفروض أنّه فاقد للوجود، فكيف يكون مُعطياً لما يفقُده؟! وأمّا مثله، فكذلك؛ لأنّه إذا لم يُمكنه أن يُعطي الوجود لنفسه، فكيف يُعطيه لغيره؟! فمن هُنا كان وجود الكائنات وكمالات الوجود دليلاً على وجود مُبدأ وخالق أوجدها، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾(٢).

وكما أجاب الإمام الصّادقعليه السلام حين سأله أبو شاكر الدّيصاني: ما الدّليل على أنّ لك صانعاً؟ فقالعليه السلام: "وجدتُ نفسي لا تخلو من إحدى الجهتين، إمّا أن أكون صنعتها وكانتْ موجودة، أو صنعتها وكانتْ معدومة، فإنْ كنْتُ صنعتها وكانت موجودة، فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة، فإنّك تعلم أنّ المعدوم لا يُحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثّالث، أنّ لي صانعاً، وهو الله ربُّ العالمين"(٣).

أتمّ دليل على وجود الله الكُمّل من خلقه

اعلم، أيّدك الله بتأييداته! وأفاض عليك من علمه الأزلي بما يُنير بصرك

---

(١) الانفطار: ٦ـ ٨.

(٢) الطّور: ٣٥.

(٣) بحار الأنوار: ٣/ ٥٠، باب، الاستدلال على الصّانع.

وبصيرتك! أنّ الدّلائل غير محصورة لإثبات وجوده تعالى، بل الأدلّة على وجوده بعدد أنفاس الخلائق، سيّما الكُمّل من خلقه، وصفوة الصّفوة، والمُظهر الأتم لجماله وكماله، مُحمّد وآل مُحمّدعليهم السلام **فهُم أسرار الله العُظمى ودلائله الكُبرى، لا يُدرك عظمتهم إلاّ من شمله فيضهم الأقدس، وغرف من حوضهم غرفة لا يَظمَأ بعدها أبداً، وسار على صراطهم المُستقيم، فهُم أصول الدّين و فُروعه، وبهم علّمنا الله معالم دينـنا، وأصلح ما كان فسد من دُنيانا، فهُم أصل المعرفة والعبادة، وبهم عُرف الله، وعُبد الله، وهُم الأدلاء على الله، ولولاهم ما عُبدَ الله، كما قال الإمام الصّادقعليه السلام لابن أبي يعفور: "نحن حُجّة الله في عباده، وشُهداؤه على خلقه، وأُمناؤه على وحيه، وخُزّانه على علمه، ووجهه الذي يؤتى منه، وعينه في بريّته، ولسانه النّاطق، وبابه الذي يدلّ عليه، نحن العالمون بأمره، والدّاعون إلى سبيله، بنا عُرف الله، وبنا عُبد الله، نحن الأدلاء على الله، ولولانا ما عُبد الله"[(١)].**

(١) كفاية الأثر: ٣٠٠.

الحديث السّادس والعشرون

- ❖ الاعتصام بكلمة لا إله إلاّ الله
- ❖ الآداب الظّاهريّة للصّلاة
- ❖ الآداب الواقعيّة للصّلاة
- ❖ الآداب الواقعيّة لكلمة لا إله إلاّ الله
- ❖ إخلاص الشّهادة لله سبحانه

الحديث السّادس والعشرون

حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن مُحمّد بن أبي عُمير، عن مُحمّد بن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "من قال: لا إله إلاّ الله مُخلصاً دخلَ الجنّة، وإخلاصه أن تحجزه لا إله إلاّ الله عمّا حرّم الله عزّ وجلّ"[1].

الاعتصام بكلمة لا إله إلاّ الله

قد مرّ آنفاً شرح كلمة الإخلاص وكلمة التّوحيد، وفي المقام بحثٌ هامٌّ في متن الجزء الأخير من هذا النّص الشّريف، وهو: "وإخلاصه، أن تحجزه لا إله إلاّ الله، عمّا حرّم الله عزّ وجلّ" فنقول، وبالله المُستعان: إنّ الشّطر الأوّل من النّصّ يُفيد، أنّ الحجْز المُنكشَف قهراً، بالنّظر العلمي والسّلوك العملي في واقع الأمر، سواء في ميدان الأصول أو الفُروع، هو المنع، أي، المنع والعصمة من الوقوع في ميادين الشّرك، وساحات المُشركين، وهو المُعبّر

(١) الحديث الشّريف ذكره الشّيخ الصّدوق في كتابيه: ثواب الأعمال: ٥، وصفات الشّيعة: ٥، وكذلك العلامة المجلسي في البحار: ٩٠/ ١٩٠.

عـنه بالكـشف الإنّي، أي، الاستدلال بالمعلول للوصول عن طريقه إلى العلّة الموجـبة لـتحقّقه فـي الخـارج، وسـرّه، هـو معـرفة التّفـريق بين مقام أسمائه وصفاته، وبين ذاته المُنزّهة عن كُلّ وصف ونعت، وأنّ الاسم غير المُسمّى، طـبقاً لفهـم الـنّصّ القُرآنـي الصّريح: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُـوا فَلَـهُ الأَسْـمَاءُ الْحُـسْنَى﴾[1] وبالـتّأمّل فـي قـوله تعالـى: ﴿فَلَـهُ الأَسْمَاءُ الْحُـسْنَى﴾ نجـدْ أنّ كلمـة (لـه) كاشـفةٌ عـن أنّ هـذه الأسماءَ هي له، لا أنّها عيـنُه، فـافْهَمْ ولا تَغفـلْ، واغْتَـنمْ ولا تُسْلبْ! ولئلا تفوتك هذه الحقيقة، التي هـي فـيض الحقّ ونور الاسم، نقول: إنّ اللام في كلمة (له) هي لام الملكيّة، أي، أنّ الأسـماء ملـك لـه، وتابعـة لجلالـه، ومعلوم، أنّ المملوك والتّابع غير المالـك والمتـبوع، وبهـذا يتّـضح أنّ حاجـزيّة هـذه الكلمـة (لا الـه إلاّ الله) مُـتوقفة على فهم حقيقة المُراد منها، وهذا هو الأساس في تحقّق المُقدّم من هـذه القضيّة، وبه يتميّز التّالي منها، وهو (عمّا حرّم الله) وإن أردت الغاية في البـيان، فارجـع البـصر إلـى صـحيحة هُشام الثّبت، في حواره مع قُطب دائرة التّوحـيد، أبي عبد الله عليه السلام فيما ورد من سؤاله، عن الله ممّا هو مُشتق، فأجابه الإمـام عليه السلام: "مـن إلـه، وإلـه يقتـضي مألـوهاً، والاسـم غير المُسمّى..." فدقّق النّظر، ولا تُخفي الخبر إلاّ عن أتباع حبتر.

وأمّا قوله: "عمّا حرّم الله عزّ وجلّ" فإنّه إذا كانت الكلمة التّوحيديّة تامّة

(١) الإسراء: ١١٠.

لـدى العـارف، فـلا محالـة يتـرتّب عليها واقعاً[١] الاعتـصام عن الوقوع في المُخالفـة، والحـرام مـن الـشّرك فـي كُـلّ مقـال ومقـام، وخيـر دلـيل علـى الإمكـان، الوقـوع، ومـا نـراه ونـسمعه فـي سِيَر المُـوحّدين والعارفـين، مـن امتـناعهم عن المعاصي وفعل المناهي، وذلك لأنّهم وجدوا الله حاضراً، كما هـو الحـقّ، ولـم يجـدوا غيـره أبـداً، وعلـى هـذا فـإنّ روح المُـراد، وجوهـر المقـصود مـن (حـرّم) هـو الـشّرك الخفـيّ، المُبتلـى بـه، كمـا صرّح الكتاب المجـيد: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ولتأكيد هذا الأمر، أُنظر الآيات النّاهية عن إرتكاب الشّرك، كقوله جلّ وعلا، على لسان لُقمان الحكـيم، فـي وصـيّته لابـنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لأَبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢] ونحو ذلك من الآيات الكريمات.

وكـذلك مـا يتـرتّب على الشّرك، من الاستخفاف والانتهاك لمحارم الله عـزّ وجـلّ، ولـو تأمّلـت فـي غابـر التّأريخ، من أحوال أهل الشّرك، لوجدت أيّامهم مليئة بالمُخالفات، من هتك وفتك وقتل وتشريد لعباد الله المُوحّدين، ومـا تـأريخ بني أميّة ببعيد، حتّى وصل بهم الأمر إلى رفع رؤوس أولياء الله، وخـزّان علمـه، علـى رؤوس الـرّماح، وتـسييرهم لبنات الرّسالة، سبايا، يُجال بهنّ من بلد إلى بلد.

عـصمنا الله وإيّـاكم من الزّلل! ونوّر أبصار قُلوبنا بالنّظر إلى وجهه الكريم! إنّه وليّ قدير.

---

(١) وإن كانت هي كاشفة ظاهراً.

(٢) لُقمان: ١٣.

الآداب الظّاهريّة للصّلاة

وها هُنا نُكتة، استفدناها من هذا الحديث الشّريف، وهي في حقيقة هذه الكلمة العظيمة، ومدى فائدتها للإنسان؟

فنقول: مَثل هذه الكلمة العظيمة مَثل الصّلاة[١] فكما أنّ الصّلاة، لها آداب ظاهريّة صوريّة، فكذلك لها آداب باطنيّة معنويّة قلبيّة، فالآداب الظّاهريّة للصّلاة، تُدخل فاعلها في زُمرة المُسلمين ظاهراً، والاختصار عليها، والتّجرّد من الآداب المعنويّة الباطنيّة للصّلاة، تُدخل صاحبها في زُمرة المُنافقين، فلا تأمره على فعل المعروف، ولا تنهاه عن فعل المُنكر، وتُزيده بُعداً عن الله سبحانه وتعالى، كما ورد ذلك عن ابن عباس، حيث قال: "من لم تأمرُه صلاته بالمعروف، وتنهاه عن المُنكر، لم يزدد بها من الله إلاّ بُعداً"[٢].

الآداب الواقعيّة للصّلاة

أمّا الآداب المعنويّة الباطنيّة للصّلاة، فهي المطلوبة بعينها، وهي التي تنهى فاعلها عن الفحشاء والمُنكر، وتُقرّبه من الله سبحانه وتعالى، ولهذا ورد في وصفها، والحثّ عليها، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[٣].

(١) لا يخفى أنّ سماحة العلامة الدّكتور الشّيخ العُقيلي (دام ظله) مؤلّف هذه الموسوعة العقائديّة الفريدة، قد جاء بهذا المثال، أي، قياس كلمة لا إله إلاّ الله بالصّلاة، من باب التّقريب، والأمثال ـ كما قالو ـ تُضرب ولا تُقاس، وإلاّ لا يصحّ قياس عُمدة الأصول الدّينيّة، الذي هو التّوحيد، المُتمثّل بكلمة (لا إله إلاّ الله) بفرع من الفُروع الدّينيّة، الذي هو الصّلاة، وأن كانت تُعد من عُمدة الفُروع.

(٢) جامع البيان: ٢٠/ ١٨٩.

(٣) العنكبوت: ٤٥.

فالـصّلاة قُـرّة عـين الرّسول، كما صرّح بذلكﷺ بقوله: "قُرّة عيني في الصّلاة"[(١)].

فهـي إذاً، عُمـدة الفُروع ورأسها، فإن قُبلت قُبل ما سواها، وإن رُدّت رُدّ ما سواها.

الآداب الواقعيّة لكلمة لا إله إلاّ الله

وأيـضاً، كلمـة (لا إلـه إلاّ الله) لها آداب ظاهريّة صوريّة، وآداب باطنيّة معـنويّة، فـالآداب الظّاهـريّة لهذه الكلمة العظيمة، تعني التّلفّظ بهذه الكلمة، مع الـتّلفّظ برسـالة الرّسـولﷺ (أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ مُحمّداً رسـول الله) وهـذه الكلمـات تعـصم مـال ونفس قائلها من الهلاك في الدّار الدّنـيا فقـط، أمّـا الإقـرار والإيمـان بـالآداب الباطنـيّة المعـنويّة لهـذه الكلمة العظـيمة، فلا يُعصم مال ونفس قائلها من الهلاك في الدّار الدّنيا فحسب، بل مـن بـركاتها وكمالاتهـا، أن يـتمكّن العبد بواسطتها قطع المراحل النّاسوتيّة، وبلـوغ المـنازل اللاهوتـيّة، ويـرى عـند أبـوابها الملائكـة المُقرّبين، ومشارق أنـوار حـقّ اليقـين، ومرقاة للعُروج إلى مقام الوصول إلى المحبوب المُطلق، الذي هو غاية أمال الأولياء، ومُنتهى أصحاب المعرفة، وأرباب القُلوب.

فـلا يُمكـن للإنـسان أن يـصل إلـى تلكُـم المـراحل والمـنازل الرّحمانيّة، إلاّ باتّـباع الآداب المعـنويّة الباطنـيّة لهـذه الكلمـة العظـيمة، فبها يحصل الإنسان على الخير كُلّه، ويصل إلى القُرب المُطلق، ويستحق رضا الله تبارك وتعالى قطعاً.

---

(١) بحار الأنوار: ٨٠/ ١٦.

وأمّا بالاختصار على الآداب الظّاهريّة الصّوريّة لهذه الكلمة العظيمة، فلا يتمكّن العبد، من طيّ المراحل النّاسوتيّة، وبلوغ المنازل اللاهوتيّة؛ لأنّ الآداب الظّاهريّة الصّوريّة، غير قابلة بنفسها لتوصيل الإنسان لمراحل الكمال والجمال، فيزداد بُعداً عن الحقيقة المُطلقة.

إذاً، من قالها عارفاً ومُدركاً بحقّها وحقيقتها، طوى جميع المراحل النّاسوتيّة، وبلغ المنازل اللاهوتيّة.

إخلاص الشّهادة لله سبحانه

المُتتبع من أقوال وأحاديث أهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام يستنتج بأنّ الإخلاص والتّوحيد لله تعالى، مقرون بطاعة أهل البيت عليهم السلام نُقل عن الإمام الرّضا عليه السلام أنّه قال، حينما سُئل في حديثه المُتواتر المشهور: قالوا: يا ابن رسول الله، وما إخلاص الشّهادة لله، قال عليه السلام: "طاعة الله، وطاعة رسول الله، وولاية أهل بيته عليهم السلام"[1].

وفي حديث آخر عن الإمام الرّضا عليه السلام أيضاً، أنّه قال: "من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنّة، بشرطها وشُروطها، وأنا من شُروطها"[2].

والمقصود من كلامه (صلوات الله عليه): "وأنا من شُروطها" بأنّه إمام مُنصّب على العباد من قبل الله عزّ وجلّ، مُفترض الطّاعة عليهم، حيث قرن التّوحيد بشرط طاعته عليه السلام.

ونُقل عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: "لو أنّ عبداً عبد الله مئة عام، ما

(١) أمالي الشّيخ الطّوسي: ٥٨٩.
(٢) ثواب الأعمال: ٧، الأنوار اللامعة في شرح الزّيارة الجامعة: ١٩٤.

بين الرّكن والمقام، يصوم النّهار ويقوم اللّيل، حتّى يسقُط حاجباه على عينيه، ويلتقي ترافيه هرماً، جاهلاً بحقّنا، لم يكن له ثواب"[1].

إذاً، يجب الالتفات جيّداً، إلى أنّه لا يُمكن الوصول إلى الآداب المعنويّة الباطنيّة لهذه الكلمة العظيمة، إلاّ بواسطة الحقيقة المُحمّديّة العلويّة؛ وذلك للمُساوقة بين هذه الكلمة، وهذه الحقائق النّورانيّة العظيمة، فلا توحيد خالص حقّ، إلاّ باقترانه بولاية الميامين، مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام وهذا هو سرّ الأسرار، ومرقاة الأنوار، ومعقد الأبحاث التي عقدنا بحثنا هذا لأجلها، أي بحث (التّوحيد الجليّ، ونسف قواعد الشّرك الخفي).

---

(١) المحاسن للبرقي: ١/ ٩٠، باب، من أنكر ولاية آل مُحمّد عليهم السلام.

الحديث السّابع والعشرون

- ❖ الإخلاص والاعتقاد
- ❖ أعلى مراتب الإخلاص
- ❖ مرتبة حقّ اليقين

الحديث السّابع والعشرون

حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن مُحمّد بن عيسى، والحسن بن عليّ الكوفي، وإبراهيم بن هاشم، كُلّهم، عن الحُسين بن سيف، عن سُليمان بن عُمرو، عن المُهاجر بن الحُسين، عن زيد بن أرقم، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: "مَن قالَ: لا إله إلاّ الله مُخلصاً دخلَ الجنّة، وإخلاصه أن تحجزه لا إله إلاّ الله، عمّا حرّمَ الله عزّ وجل"[(١)].

---

(١) الحديث الشّريف ذكره الشّيخ الصّدوق في كتابيه: ثواب الأعمال: ٥. وكذلك في صفات الشّيعة: ٥، وأيضاً ذكره العلامة المجلسي في البحار: ١٩٠/٩٠.
علماً، أنّه قد تقدّم نصّ هذا الحديث، في الحديث السّادس والعشرين من هذا الباب، ولكن باختلاف في سند الحديثين، حيث نُقل ذاك الحديث، عن مجموعة رواة، عن أبي عبد الله عليه السلام أمّا هذا الحديث فنُقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأمر هيّن، كما أوضح سماحة المؤلّف العلامة الدّكتور الشّيخ العُقيلي "دام ظلّه" في شرح الحديث التّاسع عشر من هذا الباب، حيث عالج سماحته المسألة بطريقة علميّة عرفانيّة، أثبت من خلالها، أنّه لا تكرار في كلام أهل البيت عليهم السلام وإذا حصل التّكرار الظّاهري في اللّفظ، فلابدّ من حمل كلامهم عليهم السلام على معان ومدلولات أخرى، والتي منها على سبيل الإشارة، كما في المقام، هو ظرف الخطاب وعصر الصّدور، فإنّ النّصّ الصّادر في عصر النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله يتناسب مع فهم الأوائل ◄

الإخلاص والاعتقاد

من الواضح أنّ العُروج إلى الحضرة الإلهيّة، ومقام جوار ربّ العزّة، كما عبّر ربّ العزّة: ﴿في مقْعَد صدْق عنْدَ مَليك مُقْتدر﴾[1] فالوصول إلى هذا المقام الرّفيع، لا يتيسّر مع الفتور والتّخاذل، والبناء على الشّكّ، فلابدّ من القيام بالعمل الذي يوصل إلى المطلوب، فطالما أنّ الإنسان يؤمن بالآخرة، ويعلم أنّ النّشأة الآخرة عالم أبديّ، سرمديّ، لا موت فيه ولا فناء، وأنّه إمّا أن يدخُل الإنسان الجنّة بعمله الصّالح، وينال النّعيم الدّائم، الذي لاوصف له، من حيث العدّة والشّدّة، أو يدخل النّار بعمله الطّالح، ويُحشر في جهنّم مذموماً مدحوراً، وليس هُناك طريق للوصول إلى السّعادة، إلاّ طريق طاعة ربّ العزّة والجلالة، والإخلاص له في العبادة والاعتقاد، ولا يُوجد شيء يُضاهي الإخلاص، فإنّه المُتكفّل بسعادة البشر، والوصول بهم إلى نيل مُرادهم الحقيقي منه تعالى، فلابدّ للسّالك، الذي يطمح بالوصول إلى نور الحقيقّة المُحمّديّة، والعصمة العلويّة، من الإخلاص في العمل، فإنّه الجامع الذي يتكفّل بالسّعادة الحقيقيّة، فبالإخلاص يحصل الخُشوع القلبي، وبالمُداومة عليه ينفتح طريق السّعادة الأبديّة، الذي هو طريق الجنّة، والذي

منه على ظاهره، ولمّا يَرد النّصّ في عصر الإمام الصّادق عليه السلام فإنّه يأخُذ بُعْداً أوسع، لينتقل إلى الباطن والواقع، فتنبّه وكُن من الشّاكرين! وإن شئت فراجع ما ذكره سماحة المؤلّف هُناك، وقِسْ عليه نظائره.

(١) القمر: ٥٥.

عبّر عنه المُصطفى صلى الله عليه وآله بقوله: "مَن قالَ: لا إله إلاّ الله مُخلصاً دخلَ الجنّة".

ومن الواضح والمعلوم عند أصحاب المعرفة وأرباب القُلوب، أنّه كما أنّ للأبدان غذاءً جسمانيّاً تتغذّى عليه، ولابدّ أن يكون هذا الغذاء مُناسباً لحالها، وموافقاً لشأنها؛ حتّى تتيسّر لها التّربية الجسمانيّة، والنّمو السّليم، كذلك فإنّ للقُلوب والأرواح غذاءً لابدّ أن يكون مُناسباً لحال كُلّ منهُما، موافقاً لشأنهما؛ كي تتربّى به، وتتغذّى منه، وتنمو نمواً معنويّاً، وتترقّى ترقّياً باطنيّاً، والغذاء المُناسب لنشأة الرّوح، هو الإخلاص في المعارف الإلهيّة، والتي قوامها التّوحيد، الذي نحن بصدد شرحه، إن شاء الله تعالى، باعتباره بداية المعارف الإلهيّة، ودعوة الأنبياء، كما صرّح بذلك، باب مدينة علم النّبيّ، أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: "أوّلُ الدّين معرفتُه، وكمالُ معرفته توحيدُه، وكمالُ توحيده التّصديقُ به، وكمالُ التّصديق به الإخلاص له، وكمالُ الإخلاص له نفيُ الصّفات عنه؛ لشهادة كُلّ صفة أنّها غيرُ الموصوف، وشهادة كُلّ موصوف أنّه غيرُ الصّفة..."(١)

واعلم، أنّ الإخلاص الحقيقي لا يتحقّق إلاّ باتّباع ولاية وليّ الله الأعظم عليه السلام فإنّ به يصل الموالي إلى الكمال اللائق بإنسانيّته، التي خُلق من أجلها، وأنّه رأس ماله، الذي يحذو به إلى مدارج الإنسانيّة العالية، وإلاّ سوف يعطي النّتيجة العكسيّة ـ والعياذ بالله ـ ويسوق الإنسان إلى الهاوية المُظلمة، فيدخل في مضمار الشّرك الحالك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "دبيب

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٤، خُطبة، ١.

الـشّرك فـي أمّتـي أخفـى مـن دبيب النّملة السّوداء على الصّخرة الصّمّاء في اللّيلة الظّلماء"[(١)].

فعلـى الإنـسان، مهمـا بلـغ، أن يحـذر مـن حيل الشّيطان، وحبائل النّفس الأمّـارة بالـسّوء، فإنّهمـا يُخـرجان الإنـسان عـن الطّاعـة المُطلقـة لـه تعالـى، ويوقعانه بالهاوية والعياذ بالله.

إذاً، علـى الإنـسان الـسّعي والجد؛ لكي يصل إلى المقام الذي أخبر عنه تعالـى فـي مُحكـم كـتابه الكـريم: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[(٢)].

وكمـا يرشـد إليه ما روي عن الرّسول الأكرمصلى الله عليه وآله أنّه قال: "من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه"[(٣)].

أعلى مراتب الإخلاص

بالتّحقـيق والتّدقـيق فـإنّ هـناك أُناسـاً قـد وصـلوا إلـى أعلـى مـراتب الإخـلاص، واعطـوا المـثل الأعلـى بإخلاصـهم، حـيث أخلـصوا لله تـبارك وتعالـى في كُلّ حركاتهم وسكناتهم الماديّة والمعنويّة... ولا ينطبق هذا إلاّ على مُحمّد وآل مُحمّدعليهم السلام.

فهُـم صفوة الصّفوة، وأفضل الخلق، وهُم سرّ الأسرار وخزانة الأحكام، وإخلاص الشّهادة للواحد القهّار.

(١) شرح أصول الكافي: ٨/ ٤٩.
(٢) الكهف: ١١٠.
(٣) عدّة الدّاعي: ٢١٨.

نُقل عن ثامن أئمة الهُدىعليهم السلام أنّه قرنَ الإخلاص والتّوحيد لله تعالى بطاعة أهل البيتعليهم السلام فقال حينما سُئل: يا ابن رسول الله، وما إخلاص الشّهادة لله؟ قالعليه السلام: "طاعة الله، وطاعة رسول الله، وولاية أهل بيتهعليهم السلام"[(١)].

وممّا جاء في الحديث القُدسي، حين كلّم الله تعالى موسى بن عمران ليلة الخطاب: "يا بن عمران، إنّي لا أقبل الصّلاة إلاّ لمن تواضع لعظمتي، وألزم قلبه خوفي ومحبّتي، وقطع نهاره بذكري، وعرف حقّ أوليائي، الذين لأجلهم خلقت سماواتي وأرضي، وجنّتي وناري، مُحمّد وعترته، فمن عرفهم وعرف حقّهم، جعلت له عند الجهل حلماً، وعند الظّلمة نوراً، وأعطيته قبل السّؤال، وأجبته قبل الدّعاء"[(٢)].

مرتبة حقّ اليقين

مُحمّد وآل مُحمّدعليهم السلام نالوا هذا الشّرف والسّمو، في كُلّ جهة من جهات الكمال والجلال والجمال، بإخلاصهم للواحد القهّار، فهُم الذين اخلصوا لله حقّ الإخلاص، فاجتباهم، ونعتهم الباري العليم، في خطابه القويم، وقُرآنه الكريم: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[(٣)].

(١) أمالي الشّيخ الطّوسي: ٥٨٩.

(٢) الجواهر السّنيّة: ٣٦٧، في ما ورد في عليّ والأئمة الطّاهرينعليهم السلام.

(٣) البيّنة: ٥.

أُنظر إلى ما تجلّى في مولانا الإمام أمير المؤمنين، ويعسوب الدّين، عليّ بن أبي طالب عليهما السلام من درجات الإخلاص في قوله عليه السلام: "ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله فيه وخلفه أو معه"(١).

وقال عليه السلام أيضاً في هذا المجال: "والله! لو كُشف لي الغطاء لما أزددت يقيناً"(٢).

فهذا، هو حقّ اليقين الذي عليه مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام ونقول ونحن على ثقة مُطلقة، بأنّه لا يُمكن أن يصل إلى هذه المرتبة السّامية (حقّ اليقين) نبيّ مُرسل، أو ملك مُقرّب، أو مؤمن أمتحن الله قلبه للإيمان، مهما علت وسمت رتبته، فهذه المرتبة السّامية مُنحصرة بهم عليهم السلام وغيرهم مهما على أو سما، لا يرتقي للمرتبة الأكمل، بل يدور إخلاصه وإيمانه مدار علم اليقين وعين اليقين فقط وفقط"!! **وفي ذلك بحث وتفصيل، سوف نتطرّق إليه في أبحاث أرقى؛ إذا حالفنا الحظ، وأمِنا فرعون وجنوده، ووفقنا إلى وعاة رُعاة، همّهم ومُبتغاهم اتّباع مواليهم، مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام فعند ذلك، سوف نرفع النّقاب، عن سرّ الأسرار، ومُبتغى الأبرار، للحقيقة المُحمّديّة العلويّة، التي هي محلّ ابتلاء واختبار، لأولياء وأصفياء الله الأخيار، وللجبابرة والطُغاة الأشرار.**

---

(١) شرح الأسماء الحُسنى: ١/ ١٨٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣١٧، مُنتهى المطلب:٣/٤٤.

الحديث الثّامن والعشرون

- ❖ الغاية من الخلق
- ❖ العُبوديّة سفر الأنبياء الرّبانيّين
- ❖ الأئمة عليهم السلام وسيلة المعرفة الإلهيّة
- ❖ التّكامل والقُرب من اللّه يتحقّقان بالعلم
- ❖ المُوالاة لمُحمّد وآله الطّاهرين

الحديث الثّامن والعشرون

حدّثنا أبو عليّ، الحسن بن عليّ بن مُحمّد بن عليّ بن عمرو العطّار ببلخ، قال: حدّثنا مُحمّد بن محمود، قال: حدّثنا حمران، عن مالك بن إبراهيم بن طهمان، عن أبي حُصين، عن الأسود بن هلال، عن معاذ بن جبل، قال: كُنت رديف النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: "يا معاذ، هل تدري ما حقّ الله عزّ وجلّ على العباد؟ - يقولها ثلاثاً - قال: قُلت: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حقّ الله عَزّ وجَلّ على العباد، أن لا يشركوا به شَيْئاً، ثُمّ قالَ صلى الله عليه وآله: هل تدري ما حقّ العباد على الله عَزّ وجَلّ إذا فَعلُوا ذلك؟ قال: قُلت: الله ورسوله أعلَم، قال: أن لا يُعذّبهم، أو قال: أن لا يُدخلهم النّار"[1].

الغاية من الخلق

خلق الله عزّ شأنه بحر الإمكان، بشراشره، من الذّرّة إلى المجرّة، وما ينطوي فيها من أمور معلومة أو مجهولة، وجعل فيه ما يُمكن أن يكون

(١) الحديث الشّريف ذكره العلامة المجلسي في البحار: ٣/ ١٠.

مُتعلّق الجعل الإلهي، والفيض السّرمدي؛ الذي هو خلق الإنسان، وجعله غاية الخلق، وأيضاً جعل للإنسان غاية، وهي العبادة، والتي هي غاية الغايات، قال تعالى شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)] ولا تكون العبادة تامّة خالصة، إلاّ بإعطاء الحقّ لله جلّ اسمه، والحقّ المطلوب، هو ألاّ يُشركوا به شيئاً، وهذا ما نتحدّث عنه في متون أبحاثنا في هذا الكتاب، ليكون من يحيا بها عن بيّنة، ويَهلك مَن هلك عن بيّنة.

ومن باب قاعدة اللّطف الإلهي والهداية الإلهيّة وغيرهما، أوجد الله تعالى للإنسان المُقدّمات والسّبل، التي توصله إلى هدفه التّكاملي؛ لكي يتخطّى مرحلة الابتلاء والاختبار، حيث وهب له القوى اللازمة لذلك، فقد جعل له الحقّ تعالى في أعماق فطرته، حُبّاً وعشقاً؛ لطي هذا الطّريق، ثمّ أوضح له السّبيل عن طريق الإلهام الفطري، المُعبر عنها بالهداية الفطريّة أو التّكوينيّة.

ومن جهة أخرى، بعث له الأدلاء الرّبانيّين، من الأنبياء العظام، والأولياء الكرام؛ ليُنيروا له الطّريق بالتّعليمات والقوانين النّيّرة السّماويّة، وهي المُعبّر عنها بالهداية التّشريعيّة.

إذاً، فمُقتضى الحكمة الإلهيّة، أن توفّر للبشر الوسائل والمُستلزمات الضّروريّة، للحُصول على مثل هذه المعارف والمُدركات؛ وإلاّ يكون خلق الإنسان عبثاً، ومُخالفاً للحكمة الإلهيّة، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، قال

(١) الذّاريات: ٥٦.

تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾(١).

فبمُقتضى هذا، لا يُمكن لأحد أنّ يدّعي، أنّ عالم الوجود وبحره المُتلاطم، وبناء الوجود العظيم لا هدف له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾(٢) ومهما كان الهدف من اختيار الإنسان من بين المخلوقات، فإنّه قطعاً قد أوجد لهدف أعلى، ومقام أسمى، ذلك المقام الذي لم تتحمّله الأرض بجبالها الشّاهقة، ولا السّماء بمنظومتها ومجرّتها، ولكن الإنسان تحمّله، كما عبّر سبحانه في مُحكم كتابه الكريم، حيث قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَات وَالأَرْض وَالْجبَال فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْملْنَهَا وَأَشْفَقْنَ منْهَا وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾(٣) فلم تستطع السّماء حمل ثقل الأمانة، وهي الولاية الحقّة، ولكن الإنسان حملها، وأسفاً! فإنّه كان ظلوماً جهولاً.

فالحكمة والغرض من خلق الإنسان، لابدّ أن يكون تابعاً لمُقتضيات الإرادة الإلهيّة، من الجلال والجمال والكمال له تعالى، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾(٤).

العُبوديّة سفر الأنبياء الرّبانيّين

فالعُبوديّة هذا السّرّ العجيب، الذي ظهر فيه جميع الجلال والجمال والكمال

(١) المُؤمنون: ١١٥.
(٢) الأنبياء: ١٦.
(٣) الأحزاب: ٧٢.
(٤) طه: ٤١.

الإلهـي، والـذي هـو سـفر الأنبـياء الـرّبانيّين، وعـشق الكُمّـل المُخلـصين، والـذي تحتـرق لهيبـته أصـحاب القُلـوب الطّاهـرة، وهـو طريق التّكامل لعلّة الخلق، الذي عبّر عنه تعالى، في مُحكم كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ وكـذلك ورد عـن أهـل بـيت العصمة والطّهارةعليهم السلام ما يشفي الغليل بهذا الصّدد، فقد روي عن مولانا الصّادقعليه السلام أنّه قال: "العُبوديّة جوهرة كُنهها الرّبوبيّة"[(١)].

فـاعلم، أيّـدك الله! أنّ العُـبوديّة، التـي هـي أعلى مراتب الكمال، وأرفع مقامـات الإنـسانيّة، لا تـتم إلاّ بـالعلم والمعرفة، وهذه المعرفة، لا تتحقّق إلاّ بالمعـرفة الكاملـة للحقـيقة المُحمّديّة والعصمة العلويّة، المُتمثّلة بالكُمّل من أهـل بـيت الرّسـولصلى الله عليه وآله وبـذلك يـتم الوصـول إلى جانب عزّته، في حظائر قُدسـه، بأجـنحة الكمـال، الـذي هـو الغايـة لخلـق الإنـسان، والمطلـوب مـنه والمأمـور بالـتّوجه والـسّير إلـيه بوجهه الحقيقي، كما أشار الحديث القُدسي إلـى ذلـك، حيث قال تعالى: "كُنْتُ كنزاً مخفيّاً، فأحببتُ أن أعرف، فخلقتُ الخلقَ لأُعرف"[(٢)].

وهـذه المعـرفة، هـي الوسيلة لتكامل الخلق، وبها يستوعب فيض رحمته كُلّ مكـان، ويكـون منـبعاً للكمـالات جمـيعاً، وهـذا لا يحـصل ويـتم إلاّ بهدايـتهم وطاعـتهمعليهم السلام فلولاهمّ لما خلق ما في الوجود، ولا أعطى لكُلّ خلق كماله، فهُم الأمـر الأثقـل، والأمـر المُستصعب، كما ورد ذلك عن أبي حمزة الثّمالي، عن أبي جعفـرعليه السلام قـال: سـمعته يقول: "إنّ حديثنا صعبٌ مُستصعب، لا يحتمله إلاّ ثلاث:

(١) شرح الأسماء الحُسنى: ١/ ٥.
(٢) مشارق أنوار اليقين: ٣٩.

نبيٌّ مُرسل، أو ملك مُقرّب، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، ثمّ قال: يا أبا حمزة، ألا ترى أنّه اختار لأمرنا من الملآئكة المُقرّبين، ومن النّبيّين المُرسلين، ومن المؤمنين المُمتحنين"[١].

الأئمة عليهم السلام وسيلة المعرفة الإلهيّة

فمعرفتهم عليهم السلام أساس الدّين والدّنيا، كما نصّ المُصطفى صلى الله عليه وآله على ذلك، حيث قال: "يا عليّ، ما عرف الله إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلاّ الله وأنت، وما عرفك إلاّ الله وأنا"[٢] وطبعاً، حُكم الذّريّة الصّالحة الشّريفة، حُكم أمير المؤمنين عليه السلام وحُكم رسول الله صلى الله عليه وآله لما تقدّم، فما عرفهُم وعرف فضلهُم إلاّ الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وهُم عليهم السلام.

فهُم عليهم السلام وسيلة المعرفة الإلهيّة، وهُم من علّم الملائكة الحمد والتّسبيح والتّهليل لله تعالى، في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن ملائكة الله الصّالحين، قالوا: "وأنتم أوّل خلق خلقه الله، خلقكُم أشباح نور من نوره تعالى ذكره، وجعل لكُم مقاعد في ملكوته، بتسبيح وتهليل وتكبير وتقديس وتمجيد، ثمّ خلق الملائكة، فلمّا خُلقنا كُنّا نمرّ بأرواحكُم فنُسبّح بتسبيحكُم، ونُحمّد بتحميدكُم، ونُهلّل بتهليلكُم، ونُكبّر بتكبيركُم، ونُقدّس بتقديسكُم، ونُمجّد بتمجيدكُم، فما نزل من عند الله فإليكُم، وما صعد إلى الله فمن عندكُم، إقرأ عليّاً منّا السّلام"[٣].

---

(١) بصائر الدّرجات: ٤٥.

(٢) مدينة المعاجز: ٢/ ٤٣٨.

(٣) المُحتضر: ٧٨.

وليس لأحد أن يقول، بأنّ هذا من قبيل الجبر أو التّفويض، كما يزعم البعض؟! بل جعلً سبحانه الطّاعة لهُم، من باب الوسيلة إليه، فإنّ حبّهُم وموالاتهُم طاعة لله عزّ شأنه، والتي أمر العباد بها، فكما أنّ الاعتقاد بالتّوحيد حقّ، وأنّ الأنبياء الذين بعثهُم الله، جاءوا بالحقّ من عنده سبحانه، وأنّ قولهُم قول الله، وأمرهُم أمر الله، وطاعتهُم طاعة الله، ومعصيتهُم معصية الله، وخُصوصاً خاتم الأنبياء مُحمّدﷺ فكذلك الحُكم لأوصياء الأنبياءعليهم السلام وبالخُصوص أوصياء نبيّنا الأعظم، صلوات الله عليهم، حيث جعلهُم الوسيلة الكُبرى لطاعته، وأنّهُم أحبّ الخلق إلى الله عزّ وجلّ، وأكرمهُم عليه.

فالله تعالى خلق الإنسان، وأعطاه قواه، وأمهله، وأودعه حكمته البالغة، وجعل له شيئاً آخر، يُسمّى بالاختيار، حيث جعل أعماله وأفعاله بيده، وليس مسلوب الاختيار منها؛ بل كُلّ ما يصدر عنه، فإنّما يصدر عنه باختياره، وهذا الأمر محسوس، لا يقبل الإنكار، فإنّ كُلّ فرد من أفراد الإنسان السّليم، يعلم ويدرك من نفسه، أنّه قادر على إيجاد أفعاله أو تركها، بخلاف غيره، مثلاً، فالجماد لا يقدر على ذلك، وليس له اختيار الفعل على التّرك، أو التّرك على الفعل، وترجيح أحدهما على الآخر، ولا يخفى أنّ إعطاء الله الإنسان الاختيار مُصحّح للمؤاخذة، وهو ملاك العقاب والثّواب، نعم، كون تعالى علّة وجود الإنسان وإرادته، وأنّ جميع قواه منه سبحانه، إلاّ أنّه مع ذلك كُلّه، له أن يفعل أو يترك، فتصحّ مؤاخذته على فعل القبيح، ولو لم يكُن كذلك لما كان لمؤاخذته وجه أبداً، كما لا وجه لمؤاخذة الأخرس في يوم القيامة على عدم إقراره بالشّهادتين؛ لأنّه لم يكن قادراً على التّكلّم والإقرار بهما، بخلاف من كان ناطقاً، طلق اللّسان، قادراً على الإقرار

وعدمه، فإنّه لو لم يقرّ بهما؛ لصحّ مؤاخذته عقلاً.

وكذلك الأمر مُسلّم بسفاهة من يقول، بأنّنا لا نوجب على الله شيئاً لخلقه، حتّى القول بإدخال الظّالم الفاسق الفاجر الجنّة، وإدخال المؤمن التّقي النّار، فهُم وقعوا بهذه الشّبهة؛ نتيجة ابتعادهم عن المنهل الحقيقي للمعرفة، والمُنحصر بطريق أهل البيت عليهم السلام لذا قالوا: بأنّه يُمكن أن يُدخل الله سبحانه وتعالى يزيد في الجنّة، والصّالحين في النّار، أنظروا إلى تفاهة هذه الأقوال والمُتبنّيات، فإنّهُم هُروباً من شُبهة العجز، أوقعهم في الظّلم لله، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، فإنّ الله أبى على نفسه إلاّ أن يُدخل الكافر النّار؛ إنفاذاً لوعده ووعيده؛ وإلاّ لزم العبث على الله، والعياذ بالله.

التّكامل والقُرب من الله يتحقّقان بالعلم

لا ينال الاعتقاد الصّحيح في مجالي العقيدة والعمل، إلاّ بمعرفة الموضوع معرفة صحيحة؛ حتّى لا يقع المُسلم في مغبّة الشّرك، وعبادة غيره تعالى، كما تحقّق ذلك في الأمم السّالفة، حيث عبدوا الأصنام والأوثان وغيرهما، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[1].

فالتّكامل والقُرب من الله لا يتحقّقان إلاّ بالعلم، وعن الطّريق المأخوذ من لدن مُحمّد وآله الطّاهرين عليهم السلام ولا يوجد خلق اتّصفوا بالصّفات الجلاليّة والجماليّة والكماليّة، إلاّ هُم عليهم السلام الذين تخلّقوا بأخلاق ربّهم وصفاته، وأسمائه، كما أشار إلى هذا الإمام الصّادق عليه السلام في قوله: "نحن

(١) البقرة: ١٧٠.

والله الأسماء الحُسنى، التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا"[١].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: "وبعبادتنا عُبد الله، ولولا نحن ما عُبد الله"[٢] أي، لولا نحن الحملة لعلمه، والمُنتجبون لمعرفته، ما عُبد الله حقّ عبادته، وتوصّلوا لمعرفته.

فإنّ العبد، إذا عرف الله حقّ المعرفة، أي، معرفته بمقام أسمائه الحُسنى، وصفاته العُليا، والمثل الأعلى، وأقرّ له بالوحدانيّة المُطلقة، والتّوحّد بالنّعم، والتّفرّد بالقدم، ولاشبيه يُشاكله، ولا عديل يُماثله، فكان حقّاً عليه تعالى أن يُجزيه بالمغفرة، ويُدخله الجنّة، ويُؤمنه سخطه، والفوز بجواره، ويكون مصداقاً للذين وصفهم في كتابه الكريم، حيث قال تعالى عنهُم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٣].

المُوالاة لمُحمّد وآله الطّاهرين عليهم السلام

لا يفوتك، أنّ الخلاص من عذاب الله الأليم، والفوز بما اعدّه الله لعباده من النّعيم، لا يتحقّق ويحصل إلاّ بالمُوالاة لمُحمّد وآله الطّاهرين المعصومين عليهم السلام وبالمعاداة والبرائة من أعدائهم، فإنّ المُوالاة لهم حصن الله المنيع، من كُلّ ما يُخاف ويُخشى، فهُم آيته الكُبرى، وأسماؤه الحُسنى، وعلايمهُ العُظمى، وصفوة الصّفوة، والحقّ مُتمثّل بهم، بل كُلّهم حقّ، وأنّ الحقّ يدور حيث ما داروا، وهذا يتّضح جليّاً، من قول خير الأنام، حبيب إله

(١) الكافي: ١/ ١٤٤، باب النّوادر.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) القمر: ٥٤ـ ٥٥.

ربّ العالمين، المُختار الأمينﷺ: "من رآني فقد رأى الحقّ"[١] أو قولهﷺ: "الحقّ بعدي مع عليّ، يدور معه حيثُ دار"[٢] باعتبارهم الأصل لتحقّق المشيئة الإلهيّة، فهُم الذين عرفوا الله حقّ معرفته، واتّصفوا بأسمائه، وتخلّقوا بأخلاقه، وقد ثبت لدينا، بل هو ثابت ومُسلّم، أنّهم أسماؤه الحُسنى، التي ورد التّصريح عليها، في خطاب ربّ العزّة والجلالة، حيث قال في مُحكم كتابه الكريم: ﴿وَلِلَّه الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الذين يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِه سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

إذاً، من عرف الطّريق الصّحيح للتّعبد لله عزّ شأنه، المُتمثّل باتّباع مُحمّد وآل مُحمّدعليهم السلام وعمل بذلك، فإنّه قد وحّد الله حقّ توحيده، ولم يُشرك به، وهذا هو التّوحيد الخالص الجليّ، الدّاحض والنّاسف لقواعد الشّرك الخفيّ، فيكون حقّاً على الله تعالى أن يُدخله الجنّة، ويُحرّم بدنه على النّار، وهذه من أفضل النّعم التي أنعم الله سبحانه بها على عباده.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٨/ ٢٣٥.
(٢) الأمالي للشّيخ الطّوسي: ٤٧٩.
(٣) الأعراف: ١٨٠.

الحديث التّاسع والعشرون

❖ معرفة الوحدانيّة

الحديث التّاسع والعشرون

حدّثـنا أبو أحمد، الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، قال: حدّثنا مُحمّـد بن أحمد بن حمران القُشيري، قال: حدّثنا أبو الجريش، أحمد بن عيـسى الكلابـي، قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن مُحمّـد بـن علـيّ بـن الحُسين بن عليّ بن أبي طالبعليهم السلام سنة خمسين ومئتـين، قـال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، جعفر بن مُحمّد، عن أبيه، عـن آبائـه، عن عليّعليهم السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإحْسَان إلاَّ الإحْـسَانُ﴾[1] قـال علـيّعليه السلام: سَمعتُ رسولَ اللهصلى الله عليه وآله يَقولُ: "إنّ اللهَ عَزّ وجَلّ قالَ: ما جزاءُ مَنْ أنعمت عَليه بالتّوحيد إلاّ الجَنّة"[2].

معرفة الوحدانيّة

إنّ أوّل مـا افترض الله على عباده، وأوجب على خلقه معرفة الوحدانيّة، والمُراد من المعرفة، هي: التّصديق والتّسليم والإخلاص، في السّرّ والعلانيّة.

---

(١) الرّحمن: ٦٠.

(٢) الحديث الشّريف ذكره الشّيخ الصّدوق في كتابه الأمالي: ٤٧١، والشّيخ المُفيد في الاختصاص: ٢٢٥، ونقله الشّيخ الطّوسي في أماليه: ٤٣٠.

فالإنسان المُخلص، المُوحّد الحقيقي، لا يرى للذّوات المُمكنة وجوداً، بل أنّ كُلّ ما في عالم الإمكان (مقام الأثر) مُتقوّم بأسمائه تعالى، بحيث لا يرى في سلوكه، وفي طريقه إلاّ الله سبحانه وتعالى، وتجلّياته وصفاته، ومظاهر أمره، وأنوار قُدسه، التي هي حقيقة الوجود وتكامله، حتّى يصل إلى مقام لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، أو قُل: مقام التّوحيد الخالص، الذي إذا نظر إلى حقائق الأشياء، فقد رأى الله فيها بحقائق الإيمان، والمُعبّر عنه بلسان أهل التّوحيد، بمقام الفناء، وما عدا ذلك فهو سراب بقيعة، لا حقيقة أو تحقّق له.

فاعلم، أصلح الله تعالى مكنون سريرتك! وفتح عين بصرك وبصيرتك! أنّ حقيقة وصول الإنسان إلى هذه المرتبة والمنزلة، هي إحسان من الله، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: "الإحسان، أن تعبد الله كأنّك تراه، فإنْ لم تكُن تراه فإنّه يراك"(١).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله فيه وخلفه أو معه"(٢).

فإنّ هذا الحديث الشّريف، قد فسّر الإحسان بالتّوحيد؛ لأنّ أساس التّوحيد، هو معرفة الله سبحانه، والفناء فيه(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ٦٢/ ١١٦.

(٢) شرح الأسماء الحُسنى: ١/ ١٨٩.

(٣) بحيث يتلاشى وجوده تحت نور وجوده تعالى، ويفنى فيه بالكُلّيّة، وهذا هو قرّة عيّن العارفين وغاية منى المُحبيّن، فإنّه عين الحياة الأبديّة والدّيمومة السّرمديّة (شرح الأسماء الحُسنى: ١ / ٢٢٨).

وأمّا قوله تعالى: "أنعمت عَليه بالتّوحيد" فهو نصّ صريح، على أنّ النّعمة من الله، وليس للعباد مدخليّة فيها.

إذاً، الوصول إلى التّوحيد الخالص، وإلى مقام التّوحيد والوحدة الحقّة، هو إحسان من الله تعالى، ولكن هذا الإحسان لا يتحقّق إلاّ بواسطة مقام الفعل، أو مقام المشيئة، أو النّور الأوّل، أو الصّادر الأوّل، الذي منه تُخلق الموجودات الأخرى؛ وذلك لأنّ معرفة التّوحيد، مُساوقة لمعرفة هذا المقام، الذي هو مقامهمعليهم السلام لأنّهُم أصل التّوحيد وفُروعه، كما أشار إلى ذلك الإمام المعصومعليه السلام في الزّيارة الجامعة الشّريفة، حيث قال: "من أراد الله بدأ بكُم، ومن وحّده قبل عنكُم، ومن قصده توجّه إليكُم"[1].

فهُم المثال والمثل الأعلى، الجامع لكُلّ الصّفات، التي أعطاها سبحانه لبقية مخلوقاته، التي لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً، فلا محالة أنّ العبد، إذا أراد الله وبدأ بهم، ووحّد الله وقبل عنهم، وقصد الله وتوجّه إليهمعليهم السلام فلابدّ أن ينال الجنّة.

---

(١) عُيون أخبار الرّضا: ١/ ٣٠٥.

الحديث الثّلاثون

- ❖ معاني الحقّ سبحانه وتعالى
- ❖ الجنّة منزلة أهل الحقّ
- ❖ الحقّ يتمثّل وينحصر بولاية عليّ وآل عليّ

الحديث الثّلاثون

حدّثـنا الحاكم، عبد الحميد بن عبد الرّحمن بن الحُسين، قال: حدّثنا أبـو يـزيد بـن محبوب المزني، قال: حدّثنا الحُسين بن عيسى البسطامي، قـال: حدّثَـنا عـبد الـصّمد بن عبد الوارث، قال: حدّثَنا شُعبة، عن خالد الحـذّاء، عن أبي بشر العنبري، عن حمران، عن عثمان بن عفّان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "مَنْ ماتَ وهو يَعلمُ أنّ الله حقّ دَخلَ الجنّة"[1].

معاني الحقّ سبحانه وتعالى

إنّ الحقّ هـو أحـد أسـماء الله الحُسنى، التي مدح بها نفسه، في كتابه المُبين، كمـا قـال عزّ شأنه: ﴿ذَلكَ بأنَّ اللَّهَ هُوَ الحقّ﴾[2] وكذلك قوله تعالى: ﴿أنَّ اللَّهَ هُوَ الحقّ الْمُبِينُ﴾[3] فعـندما تُطلـق كلمة الحقّ، لا تنطبق ولا تنصرف إلاّ لله تعالى، وقـد يُـراد مـنه الحـقّ المُقابل للباطل، وقد ذهب إلى المعنى الأوّل، العالم العارف

(١) الحديث الشّريف ذكره الشّيخ الصّدوق في كتابه الأمالي:٤٧١، والشّيخ المُفيد في الاختصاص: ٢٢٥، والشّيخ الطّوسي في أماليه: ٤٣٠.
(٢) الحج: ٦.
(٣) النّور: ٢٥.

القاضـي القُمّـي (أعلـى الله مقامـه الشّريف) حيث قال: "الحقّ المُطلق، هو الوجود الحقيقـي الـثّابت بذاتـه، المُـستغني عـن كُـلّ شيء في كُلّ شيء، ولا يستغنى عنه شـيء فـي شـيء، بـل الكُـلّ مـنه ولـه الكُلّ في وحدة؛ إذ لو احتاج في شيء إلى شـيء، أو استغنى عنه شيء، فليس حقّاً على الإطلاق، فهو الحقّ المُطلق، وكُلّ ما سواه باطل محتاج"(١).

نقــول: إنّ الحـقّ مُقابل الباطل، وكُلّ ما يُخبر عنه، فإمّا حقّ مُطلقاً، وإمّا باطـل مُطلقـاً، وإمّـا حـقّ مـن وجه وباطل من وجه، فالواجب بذاته هو الحقّ مُطلقـاً، والمُمتـنع بذاتـه، هـو الـباطل مُطلقـاً، وأمّا الحقّ من وجه والباطل من وجـه، فهـو المُمكـن بذاتـه الـواجب بغيـره؛ فمـن حيـث ذاتـه لا وجود له، فهو باطـل، ومـن جهة غيره، فهو مُستعدّ للوجود، فهو حقّ من الوجه الذي تحقّق فيه الوجـود، فمعنـى الحقّ المُطلق هو الموجود الحقيقي بذاته، الذي منه تُؤخذ كُلّ حقـيقة، ولـيس ذلـك إلاّ الله تعالـى، وهـذا هـو مُـراد القائل: إنّ الحقّ هو الثّابت الباقي، الذي لا فناء له.

قـال عـزّ مـن قائـل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحقّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِه الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّـهَ هُـوَ الْعلـيّ الْكَبِيـرُ﴾(٢) فهـو كُـلّ الوجـود وكُلّـه الوجـود، وكُـلّ البهاء والكمـال وكُلّـه الـبهاء والكمـال(٣) ومـا سـواه علـى الإطـلاق لمعـات نـوره، ورشـحات وجـوده، وظـلال ذاتـه؛ وذلـك باعتـبار أنّـه ليس في الوجود إلاّ عين

(١) شرح توحيد الصّدوق: ١/ ٥٥.

(٢) لُقمان: ٣٠.

(٣) وقد تجلّت هذه الحقيقة في فقرات دُعاء البهاء، المعروف بدُعاء السّحر، فتدبّر.

واحدة، أي، عين الوجود الحقّ المُطلق وحقيقته، وهو الموجود المشهود لا غيره، ولكن هذه الحقّيقة الواحدة، والعين الأحديّة، لها مراتب ظُهور في التّعيّن والتّشخّص لا تتناهى أبداً.

الجنّة منزلة أهل الحقّ

لا شكّ أنّ الإنسان العالم، بأنّ الله هو الحقّ، ومنه الحقّ، وإليه الحقّ، فهو من أهل الجنّة؛ لأنّ الجنّة منزلة أهل الحقّ، وهي التي وعدَ المُتّقون بها، حيث قال تعالى: ﴿تِلْكَ الجنّة التي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً﴾[1].

ولا يردّ علينا، بأنّ العلم وحده لا يكفي، فكيف يدخُل الجَنّة العالم غير العامل؟!

ففي مقام الجواب، نقول:

أوّلاً- الحديث أعلاه لم يشر إلى دُخول العالم غير العامل الجنّة، بل هذا على الأقل مسكوت عنه.

وثانياً- إذا علم الإنسان، بأنّ الله هو الحقّ ومنه الحقّ وإليه الحقّ، فمن البعيد أن يُحيد عنه، أو يتّخذ طريقاً إلى سواه، وما كان من إبليس اللّعين، أو بلعم بن باعوراء، أو أحبار اليهود، فهو نادر، أو يؤخذ من باب الاختبار والامتحان للبشريّة.

وفي هذا البحث مطالب واستدلالات سوف نبحثها في مباحث أرقى، إن شاء الله تعالى.

---

(١) مريم: ٦٣.

الحقّ يتمثّل وينحصر بولاية عليّ وآل عليّ

هناك نُكتة مُهمّة في هذا الحديث الشّريف، تجب الإشارة إليها، وهي أنّ الحقّ يتمثّل وينحصر مصداقه بولاية عليّ وآل عليّ عليهم السلام.

عن أمّ سلمة(رضوان الله عليها) قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول، وهو آخذ بكف عليّ عليه السلام: "الحقّ بعدي مع عليّ، يدور معه حيثُ دار"[(١)].

وهُنا أدلّة وشواهد تنصّ على هذه الحقيقة، قد تقدّم الكلام عنها مُفصّلاً في طيّات بحثنا هذا، أو سوف يأتي بحثها بصورة أكثر تفصيلاً إن شاء الله تعالى؛ وذلك لأنّها هي محور جميع أبحاثنا، بل هي أبحاثنا جميعاً، **فجميع أعمال العباد مُتوقفة على قبول ولاية الميامين الأطهار، فقبول ولايتهم هو عين قبول الحقّ تعالى، والذي به يستحقّ العبد الدّخول إلى الجنّة.**

(١) الأمالي للشّيخ الطّوسي: ٤٧٩.

الحديث الحادي والثّلاثون

- ❖ التّوحيد أعلى مراتب الكمال
- ❖ شفاعة أولياء اللّه
- ❖ معنى الشّفاعة
- ❖ الشّفاعة في الرّوايات

الحديث الحادي والثّلاثون

حدّثنا حمزة بن مُحمّد بن أحمد بن جعفر بن مُحمّد بن زيد بن عليّ بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: أخبرني عليّ بن إبراهيم بن هاشم، قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق النّهاوندي، عن عبد الله بن حمّاد الأنصاري، عن الحُسين بن يحيى بن الحُسين، عن عمرو بن طلحة، عن أسباط بن نصر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "والذي بعثني بالحقّ بشيراً! لا يُعذّب الله بالنّار مُوحّداً أبداً، وإنّ أهل التّوحيد ليشفعون فيشفعون، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: إنّه إذا كان يوم القيامَة، أمر الله تبارك وتعالى بقومٍ ساءت أعمالهم في دار الدّنيا إلى النّار، فيقولون: يا ربّنا! كيف تُدخلنا النّار، وقد كُنّا نوحدّك في دار الدّنيا؟ وكيْف تُحرق بالنّار ألسنتنا، وقد نطقت بتوحيدك في دار الدّنيا؟ وكيف تُحرق قُلوبنا، وقد عقدت على أنّ لا إلهَ إلاّ أنت؟ أمْ كيف تُحرق وجوهنا، وقد عفّرناها لك في التّراب؟ أمْ كيف تُحرق أيدينا، وقد رفعناها بالدّعاء إليك؟ فيقول الله جَلّ جلاله: عبادي، ساءت أعمالكم في دار الدّنيا، فجزاؤكم نار جهنّم،

فيقولون: يا ربّنا! عفوك أعظم أم خطيئتنا؟ فيقول عَزّ وجَلّ: بل عفوي، فيقولون: رحمتك أوسع أم ذُنوبنا؟ فيقول عَزَّ وجَلَّ: بل رحمتي، فيقولونَ: إقرارنا بتوحْيدكَ أعظم أم ذُنوبنا؟ فيقول عَزّ وجَلّ: بل إقراركم بتوحيدي أعظم، فيقولون: يا ربّنا! فليسعنا عفوك ورحمتكَ التي وسعت كُلّ شيء، فيقول الله جلّ جلاله: ملائكتي، وعزّتي وجلالي! ما خلقت خلقاً أحبُّ إليَّ من المُقرّين ليّ بتوحيدي، وأنْ لا إله غيري، وحقّ عليَّ أن لا أصلي بالنّارِ أهلَ تَوحيدي، ادخُلوا عِبادي الجنّة"[١].

التّوحيد أعلى مراتب الكمال

إنّ التّوحيد من أعلى مراتب الكمال، وأرفع مراتب العُبوديّة، وأسمى مقامات الإنسانيّة، والوصول إلى مقامات التّوحيد بالنّسبة لبني الإنسان، يكون طبق مراحل ومراتب، ولا يُمكن أن ينال مراتب التّوحيد الخالص إلاّ المعصومون عليهم السلام ويقف في مُقدّمتهم، بلا أدنى شكّ أو ريب، مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام فلهم هذا المقام بالأصالة، وللخُلّص الكُمّل من الأولياء بالتّبعيّة، وباقي النّاس من المؤمنين، فهُم لا يصلون إلى هذا المقام الرّفيع، بل يتدرجون في مراتب التّوحيد الأخرى، أمّا باقي النّاس، فهُم- في واقع الأمر- يخلطون بين الإيمان والشّرك، وأكثرهم مُشركون؛ للنصّ الصّريح، والبيان الفصيح: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

(١) الحديث الشّريف ذكره الشّيخ الصّدوق في أماليه، مع اختلاف في بعض ألفاظه: ٣٧٢، وكذلك ذكره العلامة المجلسي في البحار: ٨/ ٣٥٩.

فلابدّ للمُوحّد أن يُدرك بأنّ جميع أعماله، مُرتبطة بمعرفة توحيده، وإخلاصه للواحد الأحد، فإنّ قُلوب المُوحّدين مُختلفة بحسب الجبلّة والفطرة، فهُناك تفاوت بحسب المعرفة؛ باعتبار أنّ المعرفة الحقيقيّة، التي لا يُمكن لأيّ أحد أن يعرفها أو يطّلع عليها غير ذاته المُقدّسة، التي تُعرف بكُنه ذاته لذاته، كما أشار الحبيب المُصطفى ﷺ إلى ذلك، حيث قال: "ما عرفناك حقّ معرفتك، وما عبدناك حقّ عبادتك"(١).

وأنّه ﷺ قال أيضاً: "إنّ الله احتجب عن العُقول، كما احتجب عن الأبصار، وإنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنْتم"(٢).

إذاً، فالمُراد بمعرفة الله تعالى، الاطلاع على نعوته وصفاته الجلاليّة والجماليّة، بقدر الطّاقة البشريّة، وأمّا الاطلاع على حقيقة الذّات المُقدّسة، فلا مطمع فيه للملآئكة المُقربيّن، والأنبياء المُرسليّن، فضلاً عن غيرهم، ولذلك يُطلق على الذّات المُقدّسة، باعتبار الحضرة الأحديّة، غيب الغُيوب، والغيب المُطلق، والغيب المكنون، والغيب المصون، والمُنقطع الوحداني، ومنقطع الإشارات، والتّجلّي الذّاتي، والكنز المخفي، وغير ذلك.

واعلم، أنّ التّوحيد وأسراره العظيمة، التي تعجز عُقول البشر عن فهم حقائقه ودقائقه، قد تجلّى في الرّسول الخاتم ﷺ والأئمة الكُمّل من آله عليهم السلام لأنّ التّوحيد لا ينحصر بهذا المعنى، المُتضمّن للنّفي والإثبات،

---

(١) عوالي اللآلي: ٤/ ١٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٦/ ٢٩٣.

المُقتضي من كلمة (لا إله إلاّ الله) بل فيه حقائق وأسرار أخرى، لا يُدركها إلاّ من أوتي نصيباً من الرّحمة الرّبانيّة، والعناية المعصوميّة، من لدنهم عليهم السلام صحيح، أنّ مفاد التّوحيد، هو تنزيهه تعالى عن أنحاء التّركيب الذّهنيّة والخارجيّة جميعاً، إلاّ أنّ هُناك أسراراً أُخرى، لا يُحصيها إلاّ الرّاسخون في العلم عليهم السلام ومن انتهل من عُلومهم.

فمعرفة التّوحيد لا تتم، إلاّ بسلوك مراتبه ودرجاته، ولا يحصل ذلك إلاّ بالاتّباع والانقياد للحقيقة المُحمّديّة والعصمة العلويّة، التي هي نقاوة الإيمان؛ والذي ينال هذه المرتبة، هو الذي يُطلق عليه بالمُوحّد المُخلص، وحاشا لله! أن يُعذّب شخصاً قرن توحيده بالاتّباع والانقياد إلى ولايتهم عليهم السلام فهُم التّوحيد الخالص ومعرفته، والحسنة التي لا تضرّ معها سيئة، وهُم جواهر العُقول، وهُم الكلمات التّامّة، كما ورد عن الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله: "لو اجتمع النّاس على حُبّ عليّ عليه السلام لم يخلق الله النّار"[1].

ففي هذا الحديث الشّريف أسرار إلهيّة عظيمة، جامعة لمراتب التّوحيد جميعاً، فالتّدبر في مدلولات هذا الحديث الشّريف، مع ربطه بمدلول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾[2] نستخلص أنّ حبّ عليّ وآل عليّ مُساوق للتّوحيد. فالمُوحّد الحقيقي لا تمسّه النّار، وحاشا لله! أن يُعذّبه بناره، وكذا الموالي لعليّ وآل عليّ لا تمسّه النّار؛ وذلك للتّلازم والتّرابط الوثيق

(١) كشف اليقين: ٢٢٥.
(٢) النّساء: ٤٨.

بين الأمرين، وبتعبير أدقّ: لا توحيد حقيقي بدون ولاية الميامين، مُحمّد وآل مُحمّدعليهم السلام فهُم المعنيّون بالحديث الشّريف: "وإنَّ أهلَ التّوحيد لَيشفَعوُنَ فَيشَفعون"

شفاعة أولياء الله

لا شكّ أنّ العبد، إذا التزم بوظائف العُبوديّة لله عزّ وجلّ، وأطاع الله حقّ الطّاعة، تحصل له مرتبة عظيمة، ومنزلة كريمة، ممّا لا يصفها الواصفون، ولا يُحصي غايتها القائلون، وبواسطة هذه المرتبة السّامية، يُمكنه أن يشفع عند الله، وتكون شفاعته مَرضيّة، وقد تربّع على عرش هذه المرتبة، رسولنا الأعظم مُحمّدصلى الله عليه وآله فنال المقام المحمود، الذي لا يُضاهيه ولا يُعادله مقام آخر، وعندما نقول بأنّ هذا المقام قد ناله رسول اللهصلى الله عليه وآله فقطعاً يصدُق على آله المعصومينعليهم السلام بالضّرورة، إلاّ ما خرج بالدّليل، مثل مقام النّبوّة، وفي هذا البحث مطالب مُهمّة، نتطرق إليها إن شاء الله في محلّها المُناسب.

معنى الشّفاعة

ورد في صريح الكتاب، ومُنيف الخطاب، قول ربّ الأرباب، بأنّ الشّفاعة حاصلة لبعض الكُمّل من خلقه، قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[1] وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

(١) البقرة: ٢٥٥.

الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِه﴾[(١)].

وهُنا مسألة يحسُن الالتفات إليها، خلاصتها:

إنّ الله سبحانه عندما أنذر النّاس بالعذاب الأخروي، وكذلك بشّرهم وأمّلهم بشفاعة الصّالحين من عباده، فأهم هدف وغاية من ذلك هو أمران:

الأمر الأوّل: كي لا يتمادى النّاس في ارتكابهم للمعاصي والآثام.

الأمر الثّاني: عدم غلق وسّد باب العودة والتّوبة والإنابة والإصلاح بشكل كامل في وجه المُذنبين؛ بل لابدّ من فسح المجال لإصلاح أنفسهم، والعودة إلى الله تبارك وتعالى.

فالشّفاعة بمعناها الصّحيح، تهدف إلى حفظ هذا التّعادل، أي، إنّها وسيلة لعودة المُذنبين إلى الجادّة القويمة، وليس بمعناها الخاطئ، أي، التّشجع على ارتكاب الذّنوب والآثام، كما ذهب البعض إلى ذلك، فلم يُفرقوا بين المعنى الصّحيح والخاطئ للشّفاعة، فأنكروا هذه المسألة بشكل كامل[(٢)].

وقد فهم المُنكرون للشّفاعة بعض الآيات القُرآنيّة، والأحاديث على خلاف المعنى المُراد منها، مثلاً، استدلّ البعض بهذه الآية الكريمة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[(٣)].

---

(١) يونس: ٣.

(٢) كما ذهب إلى ذلك مجموعة من الوهابية والسّلفية، حيث اعتبروها شبيهة بالوساطات التي تُقدّم إلى السّلاطين والحُكام الظّالمين، فأنكروا الشّفاعة تماماً.

(٣) البقرة: ٤٨.

فقد فهموا من أنّ هذه الآية الكريمة تنفي الشّفاعة، واستندوا أيضاً على بعض الشّبهات الواهية، منها:

أوّلاً- إنّ الاعتقاد بالشّفاعة يُضعف القوّة الكامنة في نفس الإنسان على العمل بالطّاعات.

ثانياً- إنّ الشّفاعة تؤدّي إلى التّشجيع على ارتكاب الذّنوب والمعاصي.

ثالثاً- الاعتقاد بالشّفاعة، نوع من الشّرك بالله، وهو مُعارض للقُرآن!

وردّ هذه الإشكالات لا يحتاج إلى عناء، فردّها ظاهر، بل إنّ ردّها يكمُن في نفسها، ومع هذا وذاك، نقول: اشتقّت كلمة الشّفاعة من الشّفع، وهو بمعنى ضمّ الشّيء إلى مثله، والشّفاعة: الانضمام إلى آخر، ناصراً له، وسائلاً عنه[1] ولها في العُرف والشّرع معنيان.

المعنى الأوّل- هو المعنى المُتصوّر والسّائد من مكانة الشّفيع وشخصيّته ونفوذه، على تغيير حُكم الله في المشفوع له، وهذا النّوع من الشّفاعة لاقيمة له إزاء التّعاليم الدّينيّة الإلهيّة إطلاقاً؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يخطأ، حتّى يتوسّط الشّفيع في تغيير رأيه، وليس له عواطف حتّى يُمكن تحريكها وإثارتها، ولا يهاب نفوذ شخص كي ينصاع لأوامره، ولا يدور ثوابه وعقابه حول محور غير محور العدالة الإلهيّة المُطلقة.

المعنى الثّاني- المفهوم القائم في الشّفيع، ومكانته لدى المشفوع، لكن على أساس تغيير موقف المشفوع له، بتوفير الشّروط التي تؤهله للخُروج من وضعه السّيّء الموجب للعقاب، والإيمان بهذا النّوع من الشّفاعة يُربّي

(١) تاج العروس: ١١/ ٢٥٠.

الإنسان، ويُعطيه روح الأمل، في القُرب والرّضا الإلهيّين، ويبعث في الإنسان الصّحوة واليقظة.

والشّفاعة في الإسلام لها هذا المفهوم السّامي، وأنّ كُلّ الاعتراضات والانتقادات والحملات، التي توجه إلى مسألة الشّفاعة، إنّما تنطلق من فهم الشّفاعة بالمعنى الأوّل الخاطئ، ولا تلتفت إلى المعنى الثّاني المنطقي المعقول.

الشّفاعة في الرّوايات

جاء في الكافي الشّريف، عن الإمام جعفر بن مُحمّد الصّادقعليه السلام في رسالة كتبها إلى أصحابه، أنّه قال: "من سرّه أن ينفعه شفاعة الشّافعين عند الله، فليطلب إلى الله أن يرضى عنه"[(١)].

ومن المعلوم أنّ رضا الله عزّ شأنه، هو رضا أهل البيتعليهم السلام كما ورد ذلك عن سيّد الشّهداءعليه السلام أنّه قال:" رضا الله رضانا أهل البيت"[(٢)].

وسُئل الإمام الصّادقعليه السلام عن قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾[(٣)] فقال: "نحن والله! المأذون لهم يوم القيامة، والقائلون صواباً، وذلك الصّواب حمدُ ربّنا، والصّلاة على نبيّنا، والشّفاعة لشيعتنا، فلا يردّنا ربُّنا"[(٤)].

وعن عيسى بن داود، عن أبي الحسن موسىعليه السلام قال: "سمعتُ أبيعليه السلام يقول لرجل يسأله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ

(١) الكافي: ٨/ ١١، ما جاء في رسالة أبي عبد اللهعليه السلام إلى جماعة الشّيعة.

(٢) شرح الأخبار: ٣/ ١٤٧.

(٣) النبأ: ٣٨.

(٤) الكافي: ١/ ٤٣٥، باب، فيه نكت من التّنزيل على الولاية.

أذنَ لَـهُ الـرَّحْمَنُ وَرَضِـيَ لَهُ قَوْلاً﴾[١] قال: لا ينال شفاعة مُحمّد يوم القيامة، إلاّ من أذن لـه بطاعـة آل مُحمّـد، ورضـي له قولاً وعملاً فيهم، فحيي على مـودّتهم، ومـات عليها، فرضي الله قوله وعمله فيهم، ثمّ قال: وعنت الوجوه للحيّ القَيوم، وقد خاب من حمل ظُلماً لآل مُحمّد، كذا نزلت، ثمّ قال: ﴿وَمَـنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَات وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً﴾[٢] قال: مؤمن بمحبّة آل مُحمّد، مُبغض لعدوهم"[٣].

فالمُذنبون من أهل التّوحيد، فإنّهم يخرجون من النّار بالرّحمة التي تدركهم، والشّفاعة التي تنالهم منهُم عليهم السلام.

وروي أنّه، لا يُصيب أحداً من أهل التّوحيد ألم في النّار إذا دخلوها، وإنّما تصيبهم الآلام عند الخُروج منها، فتكون تلك الآلام جزاءً بما كسبت أيديهم.

والمُراد من ذكر الأعضاء، كاللّسان والقُلوب والوجوه والأيدي؛ وذلك لأنّ كُلّ واحدٍ منها قد سخّره الله في طاعته، وهُم قد صرفوها في معاصيه، فتشبّثوا بعفو الله ورحمته، فوسعتهم الرّحمة، وشملتهم شفاعة أولياء الله الصّالحين.

---

(١) طه: ١٠٩.

(٢) طه: ١١٢.

(٣) بحار الأنوار: ٢٤/ ٢٥٨.

الحديث الثّاني والثّلاثون

❖ قبول الأعمال وردّها

الحديث الثّاني والثّلاثون

حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان، حدّثنا الحسن بن عليّ السّكري، قال: حدّثنا مُحمّد بن زكريا الجوهري البصري، قال: حدّثنا جعفر بن مُحمّد بن عمارة، عن أبيه، عن جعفر بن مُحمّد، عن أبيه مُحمّد بن علـيّ، عن أبيه عليّ بن الحُسين، عن أبيه الحُسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالبعليه السلام قالَ: قالَ رسولُ اللهصلى الله عليه وآله: "مَنْ ماتَ وَلا يُشرك باللهِ شيئاًـ أحسن أو أساءـ دخلَ الجنّة"[1].

قبول الأعمال وردّها

قد تطرّقنا في الحديث الخامس من هذا الباب، إلى شرح بعض المعاني العظيمة، المُستوحاة من هذا الحديث الشّريف، فبيّنا هُناك، بأنّ التّوحيد هو

---

(١) قد تقدّم في الحديث الخامس من هذا الباب، نصّ هذا الحديث الشّريف، ولكن بسند آخر، هو: عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمدانيرضي الله عنه قال حدّثَنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن مُحمّد بن أبي عُمير، عن إبراهيم بن زياد الكرخي، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جدّهعليه السلام قالَ: قالَ رسولُ اللهصلى الله عليه وآله وساق نصّ الحديث أعلاه.

الفصل والمعيار لقبول الأعمال، صغيرها وكبيرها، وكذلك بيّنا بأنّ الشّرك، الذي يُقابل التّوحيد، هو الفصل والمعيار أيضاً لعدم قبول الأعمال، مهما صغُرت أو كبُرت.

وأيضاً تطرّقنا، إلى أنّ التّوحيد مُساوق لولاية الميامين عليهم السلام فالمُوحّد الحقيقي هو الموالي لعليّ وآل عليّ حقيقة، بلا أدنى شكّ أو ترديد، وسوف يُدخله الله عزّ شأنه الجنّة بلُطفه ومنّه، ويُقابله المُنكر لولايتهم عليهم السلام فهو مُشرك حقيقة، وحُكمه الخُلود في النّار؛ لعدم استحقاقه الجنّة، للتّلازم بين الأمرين[١].

نقل الشّيخ الكُليني، عن حسّان الجمال، عن عُميرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: "أُمر النّاس بمعرفتنا، والرّد إلينا، والتّسليم لنا، ثمّ قال: وإن صاموا وصلّوا وشهدوا أنّ لا إله إلاّ الله، وجعلوا في أنفسهم أن لا يردّوا إلينا، كانوا بذلك مُشركين"[٢].

(١) من رام التّفصيل أكثر، فليُراجع ما سطّره يراع سماحة المؤلّف، من أبحاث قيّمة وفريدة من نوعها، في معنى الشّرك والخُلود في النّار، وما إلى ذلك من أبحاث، يجدها في المُقدّمة وكذلك الحديث الخامس من هذا الباب، فليُراجع.

(٢) الكافي: ٢/ ٣٩٧، باب، الشّرك.

الحديث الثّالث والثّلاثون

- ❖ كلمة لا إله إلاّ الله، أعظم الكلمات
- ❖ ذكر الله سبحانه أصل كُلّ خير
- ❖ حقيقة الذّكر

الحديث الثّالث والثّلاثون

حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، قال: حدّثنا أحمد ابن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن مُحمّد بن أبي عُمير، عن هشام بن سالم وأبي أيوب، قالا: قالَ أبو عبد الله عليه السلام: "من قال: لا إله إلاّ الله مئة مرّة، كان أفضل النّاس ذلك اليوم عملاً، إلاّ من زاد"[1].

كلمة لا إله إلاّ الله أعظم الكلمات

في الحديث الشّريف إشارة إلى الفضل الذي خصّه الله سبحانه لهذه الكلمة العظيمة الشّريفة، التي هي بحسب الحقيقة، أسرع أذكار اللّسان وأمضاها إلى مشاهدة الأنوار اللامعة والأسرار المودعة؛ لأنّ كلمة لا إله إلاّ الله، أعظم الكلمات، بل هي تختزن جميع الأسرار الإلهيّة المودعة في الخلق، لذا عبّر عنها الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله بقوله: "ما قُلتُ ولا قالَ القائلُونَ قَبلي، مثلَ لا إلهَ إلاّ الله".

فهذه الكلمة العظيمة، جامعة لأعلى وأكمل مراتب التّوحيد، فهي وإنّ

(١) الحديث الشّريف ذكره الشّيخ الصّدوق في الأمالي: ١٢٨، وكذلك في كتابه ثواب الأعمال: ٤، ونقله الشّيخ الطّبرسي في المكارم: ٣٠٧.

كانت تُلفظ في طيّات اللّسان، ولكن إدراك معانيها يُنوّر القُلوب، ويُطهّر الذّنوب، فتوجّه العبد إلى المبدأ الأعلى، الذي يكون من منطلق الذّكر باللّسان، ومن ثمّ إلى القلب، فينفي جميع خواطر الظّهور، ويتوجّه إلى باطن النّور، الذي يتحقّق في قلبه، من أثر هذه الكلمة العظيمة، وبذلك يصبح قلبه عرشاً للتّجليات الإلهيّة، ومحلاً للمعارف النّورانيّة، فإن سكت اللّسان نطق القلب.

والمُراد بالذّكر المطلوب من العبد، هو أن يذكر الله باللّسان، وأن يكون هذا الذّكر حاضراً بقلبه وروحه وجميع قواه، بحيث يكون فانياً ومتوجّها بأكمله إلى ربّه، فينفي الخواطر، ويقطع أحاديث النّفس والأنا.

ذكر الله سبحانه أصل كُلّ خير

فإنّ الإنسان إذا ذكر الله بهذه الكيفيّة، ذكره الله تعالى برحمته الواسعة، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(١) ومن يذكره الله عزّ شأنه، فلا يضرّه شيء.

فالآية الكريمة، تُشير إلى أصل تربوي وتكويني، أي، ياعباد الله، ذكركم لله سبحانه وتعالى، يجعل قُلوبكُم أكثر إخلاصاً ومضاءً وقوّةً واتّحاداً؛ لأنّ الله أصل كُلّ خير، فذكركم له يكون تطهيراً لأنفسكم من الأرجاس والأدناس، وتكون قابلة لشمول الرّحمة الإلهيّة، ويتجلّى فيها الحقّ، فيكون الحقّ ذاكراً ومذكوراً، مع ارتفاع الاثنينيّة، وانكشاف الحقيقة الأسمائيّة.

فذكر الله، إمّا أن يكون تنويراً للقُلوب، أو تنزيهاً من الذّنوب، التي تطرأ على الإنسان؛ لأنّ قلب الإنسان قد يعتريه الشّكّ ووسوسة الشّيطان اللّعين الرّجيم، فيخرّج عن الفناء في الله ولله.

(١) البقرة: ١٥٢.

قال تعالى في مُحكم كتابه المُقدّس: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنْ الْغَافِلِينَ﴾[1].

فالآية الشّريفة، فيها تأكيد للأمر بالذّكر، والنّهي عن الدّخول في زُمرة الغافلين.

قال صادق آل مُحمّدعليهم السلام: "القلب حرم الله، فلا تُسكن حرم الله غير الله"[2].

وجاء في الخبر الشّريف: "النّاس في دار غفلة، يعملون ولا يعلمون، ويكسبون ويقترفون من حيث لا يدرون، فإذا صاروا إلى دار الآخرة، صاروا إلى دار يقين، يعلمون لا يعملون"[3].

وروى مُحمّد بن أبي عُمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: "إنّ الله تعالى يقول: من شغل بذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي من سألني"[4].

حقيقة الذّكر

اعلم، أيّدك الله بتأييده! أنّ حقيّقة الذّكر، عبارة عن وصفه تعالى بالصّفات الكماليّة، ونعته بالنّعوت الجلاليّة والجماليّة، كما شهد لذاته بذاته في قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[5].

(١) الأعراف: ٢٠٥.
(٢) معارج اليقين في أصول الدّين: ٥١٨.
(٣) دعائم الإسلام: ١/ ١٦٨.
(٤) عدّة الدّاعي: ٢٣٣.
(٥) آل عمران: ١٨.

فيجب أن يُذكر الله عزّ شأنه، بما يُناسب مقامه المُتعالي، من حيث الكمّ والكيف.

قال تعالى: ﴿الذين يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(١).

ولا يخفى عليك، أنّ أفضل الذّكر، هو الذي نصّ عليه أهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام لأنّهم باب الله الأعظم، ووسيلته الكُبرى، والدّخول إلى حضرته القُدسيّة، فلابدّ وأن يكون الذّكر من الباب الذي حثّ الله تعالى عليه، قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

---

(١) آل عمران: ١٩١.

(٢) البقرة: ١٨٩.

الحديث الرّابع والثّلاثون

- ❖ الآثار العباديّة والتّربويّة
- ❖ ميزان الأعمال
- ❖ الولاية ميزان كُلّ الأمم والدّيانات والشّرايع

الحديث الرّابع والثّلاثون

حدّثـنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، قال: حدّثَني أحمد بن هـلال، عـن أحمـد بـن صالح، عن عيسى بن عبد الله، من ولد عُمر بن عليّ، عن آبائه، عن أبي سعيد الخدري، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: "قال اللهُ جَلّ جَلالـه لموسـى: يا موسى، لو أنّ السّماوات وعامريهنّ، والأرَضينَ السّبع في كفّةٍ، ولا إله إلاّ الله في كَفّةٍ، مالت بهِنّ لا إله إلاّ الله"[1].

الآثار العباديّة والتّربويّة

إنّ لهـذه الكلمة آثاراً عباديّة تربويّة تكامليّة مُهمّة، لا يُحصي ثناءها إلاّ الله تـبارك وتعالـى، والـصّفوة التـي اخـتارها مـن خلقـه، وهُـم مُحمّـد المُـصطفى صلى الله عليه وآله والعتـرة الطّاهـرة عليهم السلام ونحـن ببـركتهم، نفهم بعض المعاني المـودعة فـيها، ونـستخرج بعـض الأسـرار الإلهيّة المكنونة في طيّاتها، فهذه الكلمـة الطّـيبة، تـدلّ علـى وجـوده سـبحانه، ووحدتـه واستجماعه للصّفات الحُسنى اللائقـة بـه جمـيعاً، فهي تجمع بينَ الذّكر الجليّ والخفيّ، وتشتمل

(١) الحـديث الـشّريف ذكـره الشّيخ الصّدوق في ثواب الأعمال: ٢، والحرّ العاملي في وسائل الشّيعة: ٧/ ٢١٠.

على الاسم المُقدّس (الله) وتدلّ على أنّ كُلّ ما في الوجود هو نابع من أظلّة نوره المُقدّس، ورشحات فيضه الأقدس.

والمُراد بعامريهن، يعني، الجن والإنس، وخلْق ما لا نرى وما لا نعلم، الذين يُعمرونهنّ بالعبادات والطّاعات، وألوان التّسبيحات والتّقديسات، فإنّهم يُسبحون اللّيل والنّهار لا يفترون، فشُبّه ذلك بالعمران في البلاد؛ لأنّ من شأن العمران أن توجد فيه النّعم، التي يحتاجها العباد، وقيل: المُراد بعامري السّماوات، النّفوس المُدبّرة لها، والملآئكة الموكّلة عليها.

ميزان الأعمال

ثمّ، إنّ الله سبحانه وتعالى، بيّن في مُقتضى الحديث الشّريف، أهمّية التّوحيد، المُتمثّل بهذه الكلمة العظيمة، حيث جعلها المعيار الحقيقي، لترجيح أحد الشّيئين على الآخر؛ وذلك لما تكنّه هذه الكلمة من معان، حيث لا يُقابلها ولا يُوازيها شيء من الأعمال والأفعال، فتوزن هذه الكلمة في ميزان يوم القيامة، فترجح كفّتها على الأعمال جميعاً، وبذلك يُغفر لمن كانت هذه الكلمة في ميزان أعماله، كما تضافرت الأخبار في ذلك، حيث ورد عن رسول اللهﷺ أنّه قال فيها: "كلمة خفيفة في اللّسان ثقيلة في الميزان"(١) بل هي الميزان بعينه؛ كما ورد ذلك عن النّبيّ المُصطفىﷺ حيث قال: "الميزان كلمة لا إله إلاّ الله"(٢).

(١) إقبال الأعمال: ٢/ ١٩٥.

(٢) علم اليقين: ٢/ ٩٤٣.

وبالجُملة، فميزان كُلّ شيء، هو المعيار الذي يُعرف به قدر ذلك الشّيء، فميزان النّاس يوم القيامة، ما يوزن به قدر كُلّ إنسان، وقيمته على حسب عقيدته وعمله، وحسن اتّباعه للأنبياء والأوصياءعليهم السلام إذ باتّباع شرائعهم، واقتفاء آثارهم، والسّير والثّبات على خُطاهم، توزن أعمال العباد.

الولاية ميزان كُلّ الأمم والدّيانات والشّرايع

ميزان كُلّ أمّة، هو نبيّ تلك الأمّة ووصيّ نبيّها، والشّريعة التي أتى بها، فمن ثقل ميزانه، فهو من المُؤمنين الفالحين، ومن خفّ ميزانه، فهو من المُشركين الضّالّين.

واعلم، أنّ مقام الخاتميّة العُظمى، والولاية الكُبرى، لمُحمّد وآل مُحمّدعليهم السلام هي ميزان كُلّ الأمم والدّيانات والشّرايع.

ورد في الكافي الشّريف، عن الإمام الصّادقعليه السلام أنّه سُئل عن قول الله عَزّ وجَلّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَة ﴾[1] قال: "هُم الأنبياء والأوصياء"[2].

وفي رواية أخرى، أنّه قال: "نحن الموازين القسط"[3].

وقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: "ألا ومن أحبّ آل مُحمّد، أمِن من الحساب والميزان والصّراط"[4].

---

(١) الأنبياء: ٤٧.
(٢) بحار الأنوار: ٧/ ٢٤٢.
(٣) علم اليقين: ٢/ ٦٠١.
(٤) فضائل الشّيعة: ٤٠.

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: "من أحبّنا أهل البيت، حشره الله تعالى آمناً يوم القيامة"(١).

وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: "حُبّي وحُبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن، أهوالهن عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النّشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصّراط"(٢).

وروي عن أبي سعيد الخدري، أنّه قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: "أيها النّاس، نحن أبواب الحكمة، ومفاتيح الرّحمة، وسادة الأئمة، وأمناء الكتاب، وفصل الخطاب، وبنا يُثيب الله، وبنا يُعاقب، من أحبّنا أهل البيت عظُم إحسانه، ورجح ميزانه، وقبل عمله، وغفر زلله، ومن أبغضنا لا ينفعه إسلامه، وإنّا أهل بيت خصّنا الله بالرّحمة والحكمة والنّبوّة والعصمة، ومنّا خاتم الأنبياء، ألا وإنّا راية الحقّ التي من تلاها سبق، ومن تأخّر عنها مرق، ألا وإنّنا خيرة الله، اصطفانا على خلقه، وائتمننا على وحيه، فنحن الهُداة المهديّون، ولقد علمت الكتاب، ولقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان وما يكون، وأنا أخو رسول الله، وخازن علمه، أنا الصّديق الأكبر، ولا يقولها غيري إلاّ مُفتر كذّاب، وأنا الفاروق الأعظم"(٣).

وروي عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام أنّه قال: "نحن قناديل النّبوّة، ومصابيح الرّسالة، ونحن نور الأنوار وكلمة الجبّار، ونحن راية الحقّ، التي

(١) عُيون أخبار الرّضا: ١/ ٦٤.
(٢) الأمالي للصّدوق: ٦٠.
(٣) مشارق أنوار اليقين: ٧٥.

من تبعها نجا، ومن تأخّر عنها هوى، ونحن أئمة الدّين، وقادة الغُرّ المُحجّلين، ونحن معدن النّبوّة، وموضع الرّسالة، وإلينا تختلف الملائكة، ونحن سراج لمن استضاء، والسّبيل لمن اهتدى، ونحن القادة إلى الجنّة، ونحن الجسور والقناطر، ونحن السّنام الأعظم، وبنا يُنزّل الغيث، وبنا يُنزّل الرّحمة، وبنا يُدفع العذاب والنّقمة، فمن سمع هذا الهُدى، فليتفقد في قلبه حُبّنا، فإن وجد فيه البُغض لنا، والإنكار لفضلنا، فقد ضلّ عن سواء السّبيل؛ لأنّا حُجّة المعبود، وترجمان وحيه، وعيبة علمه، وميزان قسطه"(١).

فالولاية تمام الصّلاة والزّكاة والصّيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصّدقات، وإمضاء الحُدود والأحكام، ومنع الثّغور والأطراف، فبها يُحلّ حلال الله، ويُحرّم حرام الله، وتُقام حُدود الله، ويُذب عن دين الله، والدّعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة، فهي كالشّمس السّاطعة، المُجلّلة بنورها للعالم، وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار، وهي كالنّور الجليّ، الظّاهر بنفسه، والمُظهر لغيره.

وهذا يدلّل ما للإمامة من شرفٍ ومنزلة عظيمة عند الله، فإنّها خلاصة رسالة الأنبياء، وإرث الأوصياء، وزمام الدّين، ونظام المُسلمين، وصلاح الدّين والدّنيا، وعزّ المؤمنين، وأسّ الإسلام النّامي، وفرعه السّامي، ولا يخفى على البصير، ما مدى العلاقة والرّبط والأثر القائم، بين مقام الخاتميّة العُظمى لنبيّنا الأعظم، ومقام الولاية الكُبرى لمولانا عليّ والأئمة الطّاهرين عليهم السلام.

(١) بحار الأنوار: ٣٦/ ٢٥٩.

إذاً، فمن تمسّك بولاية مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام رجحت كفّة ميزان أعماله، ونجتْ سفينة قلبه، بمرساة لا إله إلاّ الله، من مهاوي الهلكة، والأمواج المهيبة، والمُنكر لولاية مُحمّد وآل مُحمّد عليهم السلام خفّت كفّة ميزان أعماله، ولو كانت بثقل الجبال الرّواسي.

جعلنا الله من المشمولين بفيضهم الأقدس! حتّى نرتفع من حضيض النّفس البهيميّة، إلى ذروة المجد والمراتب الكماليّة، وهذه هي الكرامة التي خُلق الإنسان من أجلها.

الحديث الخامس والثّلاثون

- ❖ التّوحيد أصل للعبادات جميعاً
- ❖ عقدي النّفي والإثبات
- ❖ المُراد من أحديته تعالى
- ❖ المُراد من الصّمد

الحديث الخامس والثّلاثون

حدّثنا أبي رضي الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن مُحمّد بـن عيسى، عن عبد الرّحمن بن أبي نجران، عن عبد العزيز العبدي، عـن عُمـر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: "مَنْ قالَ في يوم: أشَهدُ أن لا إله إلاّ الله، وحدهُ لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً صـمداً، لـم يـتّخذ صـاحبة ولا ولـداً، كـتب الله عزّ وجلّ له خمساً وأربعين ألف ألف حسنة، ومحى عنه خمساً وأربعين ألف ألف سيّئة، ورَفَـع لـهُ في الجنّة خَمساً وأربعين ألف ألف درجة، وكان كمن قرأ القُرآن اثنتي عشرة مرّة، وبنى الله له بيتاً في الجنّة"[1].

التّوحيد أصل للعبادات جميعاً

إنّ مـن مظاهـر وتجلّيات هـذا الحديث الشّريف، هو إخلاص التّوحيد، ونفـي الـشّريك والأنـداد لـه، ووصـفه بالصّفات التي وصف بها نفسه سبحانه

---

(١) الحديث الشّريف ذكره الشّيخ الصّدوق في كتابه ثواب الأعمال: ٨، ونقله ابن فهد الحلّي في العدّة: ٢٤٧، وكذلك نقله العلامة المجلسي في البحار: ٩٠/ ٢٠٦.

وتعالى، ويحكُم باحتياج كُلّ موجود سواه إليه؛ فهو أصل للعبادات جميعاً؛ لاشتمالها على نفي إلوهيّة غيره، وإثبات إلوهيّته عزّ شأنه.

والطّريق الوسط لارتقاء مراتب الكمال، هو أن يتعبّد الإنسان لله تعالى، خالصاً لوجهه الكريم، مُخلّصاً نفسه البهيميّة عن الشّوائب جميعاً، للوصول إلى كمال النّفس الإنسانيّة، ومنها يتدرّج إلى مرتبة الكمال الإلهي، وذلك بالارتباط بالحضرة القُدسيّة، عن طريق الأذكار التي هي أصل العبادات، بل هي الغاية القُصوى من الخلقة، وإلى هذا المقام أشار الإمام أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام بقوله: "وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إنّ زكّاها بالعلم والعمل، فقد شابهت أوائل جواهر عللها"(١).

وقال عليه السلام أيضاً: "وإذا اعتدل مزاجها، وفارقت الأضداد، فقد شارك بها السّبع الشّداد"(٢).

وهذا هو المعنى الذي يقصده أرباب المُجاهدة والسّلوك، من كونه تعالى أهلاً للعبادة، وإليه أشار سيّد البُلغاء والعارفين، أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "ما عبدتُك طمعاً في جنّتك، ولا خوفاً من نارك، ولكن وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتُك"(٣).

عقدي النّفي والإثبات

إنّ هذه الأذكار الواردة في حديث المعصوم عليه السلام مُشتملة على عقدين:

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٢٧.

(٢) نفس المصدر.

(٣) زُبدة البيان: ٦٩٦.

عقـد النّفـي، وعقـد الإثـبات، بمعنـى، نفـي إلوهيّة غيره، وإثبات إلوهيّته عزّ شأنه، وهـذا واضـح لمـن أمعـن النّظـر بكـلام أميـر المؤمنـينعليه السلام عـندما قـال: "كمـال التّوحـيد المُطلـق، والإخـلاص المُحقّـق، لا يتقـرّر إلاّ بـنفض جمـيع ما عداه عنه، ونفي مُشابهته بالغير"(١) وهذا بعينه مقام التّخلّي، كما ورد ذلك في ألسنّة العُرفاء.

المُراد من أحديته تعالى

المُـراد مـن أحديـته تعالـى، الـوارد ذكـرها في الحديث الشّريف: "إلهاً واحَـداً أحَـداً" بمعنـى، أنّـه لا ثاني له في الوجود، ولا كثرة في ذاته وصفاته ذهـناً وخارجـاً، كمـا ورد ذلـك فـي دُعـاء الإمام السّجادعليه السلام في يوم عرفة، حيث قال: "أنت الله، لا إله إلاّ أنت، الأحد المُتوحّد، الفرد المُتفرّد"(٢).

قـال العلامـة الطّباطبائـي فـي تفـسير الميـزان: "وإثبات توحّده تعالى في ذاتـه وصـفاته وأفعالـه، بمعنـى، أنّـه واحـد لا يُناظره شيء، ولا يشبهه، فذاته تعالـى بذاتـه ولذاتـه، من غير استناد إلى غيره، واحتياج إلى من سواه، وكذا صـفاته وأفعالـه، وذوات مـن سـواه، وصـفاتهم وأفعالهم، بإفاضة منه على ما يليق بساحة كبريائه وعظمته"(٣).

أُنظـر إلى قول الإمام أمير المؤمنين وسيّد الوصيّينعليه السلام في نهج البلاغة، حيث قال: "ولا يُقال له حدّ ولا نهاية"(٤).

---

(١) شرح أصول الكافي: ٣/ ٨٢.
(٢) الصّحيفة السّجاديّة: ٢٤٤.
(٣) تفسير الميزان: ٢٠/ ٣٨٩.
(٤) نهج البلاغة: ٢/ ١٢٢، الخُطبة، ١٨٦.

وبتعبير فقيه العصر، آية الله العُظمى، شيخنا الأستاذ، الوحيد الخراساني (مُدّ ظلّه الوارف): "إنّ كُلّ محدود مُركّب من الوجود، وحدّ ذلك الوجود، وحدّ الوجود، هو فُقدان الكمال الزّائد على ذلك الوجود، وهذا التّركيب أسوأ أنواع التّركيب، حيث إنّ التّركيب، إمّا من وجودين، أو من عدم ووجود، وهذا التّركيب المزعوم، من وجود وعدم، وكُلّ أنواع التّركيب، محال على الله تعالى، والموجود الذي لا حدّ له، فهو واحد لا يتصوّر له ثان؛ لأنّ تصوّر الثّاني له مُستلزم لتحديده بعدم الثّاني، والمحدود مُركّب من الوجود والعدم، وكُلّ مُركّب محتاج إلى ما يتركّب منه، فهو سبحانه أحدي الذّات والصّفات، فليس له ثان مُتحقّق ولا مُتصوّر"[(١)].

وروي أنّ أعرابيّاً، قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أتقول إنّ الله واحد؟ قال: فحمل النّاس عليه، وقالوا: يا أعرابي، أما ترى ما فيه أمير المؤمنين عليه السلام من تقسّم القلب، **فقال أمير المؤمنين** عليه السلام: "**دعوه، فإنّ الذي يُريده الإعرابي، هو الذي نُريده من القوم،** ثمّ قال: يا إعرابي، إنّ القول في أنّ الله واحد، على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ، ووجهان يثبتان فيه. فأمّا اللّذان لا يجوزان عليه، فقول القائل: واحد. يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز؛ لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، ألا ترى أنّه كفر من قال: ثالث ثلاثة؟ وقول

(١) هذا خلاصة الإشكال الذي ذكره سماحة آية الله العُظمى، الشّيخ الوحيد الخراساني، في مُقدّمة كتابه المنهاج.

القائل، هو واحد من النّاس، يُريد النّوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز؛ لأنّه تشبيه، وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالى.

وأمّا الوجهان اللّذان يثبتان فيه، فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربّنا، وقول القائل: إنّه عزّ وجلّ أحديّ المعنى، يعني به، أنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربّنا عزّ وجلّ"[1].

المُراد من الصّمد

الصّمد، هو أحد أسمائه تعالى، فهو كناية عن عدم الانفعال والتّأثّر، وكونه محلاً للحوادث، كما فسّره إمامنا الباقر عليه السلام حيث قال: "الصّمد، القائم بنفسه، الغني عن غيره"[2].

وروي عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام أنّه قال: "السيّد المصمود إليه في كُلّ شيء، قليله وكثيره"[3].

أي، الذي عنده كُلّ ما يحتاج إليه كُلّ شيء، ويكون رفع حاجة الكُلّ إليه، ولم يفقد في ذاته شيئاً، ممّا يحتاج إليه الكُلّ.

وسأل مُحمّد بن أمير المؤمنين أباه عليه السلام عن معنى الصّمد، فقال له الإمام عليه السلام: "تأويل الصّمد؛ لا اسم ولا جسم، ولا مثل ولا شبه، ولا صورة ولا تمثال، ولا حدّ ولا حُدود، ولا موضع ولا مكان، ولا كيف ولا أين، ولا هُنا ولا ثمّة، ولا ملأ ولا خلأ، ولا قيام ولا قعود، ولا سُكون ولا حركة، ولا

(١) معاني الأخبار: ٥.
(٢) المصدر السّابق: ٧.
(٣) الحاشية على أصول الكافي: ٤١٤.

ظلماني ولا نوراني، ولا روحاني ولا نفساني، ولا يخلو منه موضع، لا يسعه موضع، ولا على لون، ولا على خطر قلب، ولا على شم رائحة، منفيّ عنه هذه الأشياء"(١).

أمّا سرّ العدد، الذي أشار إليه الإمام الصّادقعليه السلام بقوله: "خَمساً وأربْعينَ ألْف ألْف حَسنة" إنّما هو مؤشّر هامّ لمعان واقعيّة، لا يُدركها إلاّ أهلها الرّاسخون في العلمعليهم السلام أو من انتهل من ماء عذبهم، فهي ليست قوالب جامدة، بل فيها أسرار عظيمة، فالحُروف والأعداد من مخلوقات الله عزّ وجلّ، فأسرار الحُروف في الأعداد، وتجلّيات الأعداد في الحُروف، فالعدد للرّوحانيّات، والحُروف للدّوائر الجسمانيّة والملكوتيّة، وبمعنى آخر، إنّ الأعداد سرّ الأقوال، والحُروف سرّ الأفعال، فإنّ عالم العرش أعداد، وعالم الكرسي حُروف، فنسبة الأعداد للحُروف، كنسبة الكرسي للعرش، فبواسطة سرّ الأعداد فُهمت القُدرة، كما مدح الله نفسه في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(٢).

وأمّا سرّ كَونه، كمن قرأ القُرآن اثنتي عشرة مرّة، فلعلّه لأجل أن تلك الكلمة، إنّما تُفيد ما أفادته سورة التّوحيد، فلا تغفل(٣).

بحمد الله ومنّه! وبعناية المعصومينعليهم السلام سيّما وليّ الله الأعظم،

(١) الهداية للصّدوق: ٧.

(٢) الأنبياء: ٤٧.

(٣) وإن أردت المزيد من التّفصيل، فراجع كتاب (أسرار الحُروف والأعداد) للأستاذ عليّ بو صخر.

الإمـام الحُجّة بن الحسن العسكري (عجّل الله تعالى فرجه الشّريف) نُنهي شرح الباب الأوّل من كتاب التّوحيد للشّيخ الصّدوق (أعلى الله مقامـه الـشّريف) وقـد كـان الفراغ منه في أيام مولد النّور، ومَجْلى الظّهـور، مُحمّـد بـن عبد الله ﷺ ومولد حفيده، قُطب دائرة العُلوم، الإمـام جعفـر بن مُحمّد الصّادق عليه السلام من ربيع الأوّل، سنة ألف وأربع مئة وواحد وثلاثين من الهجرة المُباركة.

وسوف نشرع إن شاء الله في شرح الباب الثّاني منه.

عبد الكريم العُقيلي

الفهارس العامّة

فهرس الآيات القُرآنيّة

سُورة البقرة -٢

الآية	رقم الآية	الصّفحة
اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ...	١٥	١٦٥
وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثمّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ...	٣١	١٦٦
فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ...	٣٧	١٤٤
وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً...	٤٨	٤٤٤
وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ...	٨١	٣٠٢
وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ...	١١٥	١٠٦و٢٨٩
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ...	١٥٢	٤٥٦
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ...	١٥٦	٢٨٨
وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ...	١٦٣	٢٠٦
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَ...	١٦٤	٣٨٧
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ...	١٧٠	٤٢١
وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا...	١٨٩	٤٥٨
مَنْ ذَا الذي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ...	٢٤٥	٣٢٦
تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...	٢٥٥	١٤٤و١٧٥
فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ...	٢٥٦	٢٠٤

سُورة المائدة-٥

سُورة الأنعام-٦

سُورة الأعراف-٧

الآية	رقم الآية	الصّفحة
كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ...	٢٩	٢٨٨
وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ...	١٤٣	١٠٧
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ...	١٧٢	٢٣٦
وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...	١٨٠	١٢٦و١٦١
وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ...	٢٠٥	٤٥٧

سُورة الأنفال-٨

الآية	رقم الآية	الصّفحة
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ...	٣٣	١٦٧
لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَة...	٤٢	

سُورة التّوبة-٩

الآية	رقم الآية	الصّفحة
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّه...	٣١	١٠١
وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ و...	١٠٥	١٣٤
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ...	١١٥	٨٦
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...	١٢٩	١٠٢

سُورة يونس-١٠

الآية	رقم الآية	الصّفحة

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّة رَسُولاً...	٣٦	٢١٦
وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ...	٥١	٢٤٦

سُورة الإسراء-١٧

الآية	رقم الآية	الصّفحة
سُبْحَانَ الذي أَسْرَى بِعَبْده لَيْلاً ...	١	١٢٤و١٧٨
وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ...	٢٣	٢١٦
قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...	١١٠	٨٩و٢٤٧
وَقُلِ الْحَمْدُ للَّه الذي لَمْ يَتَّخذْ وَلَداً...	١١١	١٠٠

سُورة الكهف-١٨

الآية	رقم الآية	الصّفحة
فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالحاً وَلاَ يُشْرِكْ...	١١٠	٣٢٨و٤١٠

سُورة مريم-١٩

الآية	رقم الآية	الصّفحة
وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئاً...	٩	٣٦٠
تِلْكَ الجنّة التي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا...	٦٣	٤٣٥
هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً...	٦٥	٨٣

سُورة طه-٢٠

الآية	رقم الآية	الصّفحة
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي...	٤١	٤١٧

سُورة الأنبياء-٢١

سُورة الحج-٢٢

سُورة المؤمنون-٢٣

الآية	رقم الآية	الصّفحة

سُورة القصص–٢٨

سُورة العنكبوت–٢٩

سُورة الرّوم–٣٠

سُورة لُقمان–٣١

سُورة السّجدة-٣٢

الآية	رقم الآية	الصّفحة
الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ...	٧	١٠٥
ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ...	٨	١٠٥

سُورة الأحزاب-٣٣

الآية	رقم الآية	الصّفحة
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ...	٣٦	٣٦٢
يَا أَيُّهَا النَّبِيّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ...	٤٥	١١٢
إِنَّ الذين يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...	٥٧	١٣٢
إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَ...	٧٢	٣٧٠و٤١٧

سُورة سبأ-٣٤

الآية	رقم الآية	الصّفحة
قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ...	٤٦	٣١٦

سُورة فاطر-٣٥

الآية	رقم الآية	الصّفحة
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ....	١٥	٩٤

سُورة الصّافات-٣٧

الآية	رقم الآية	الصّفحة
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ...	١٨٠	٨٣

سُورة الزّمر-٣٩

الآية	رقم الآية	الصّفحة
ألاَ للَّه الدِّينُ الْخَالصُ...	٣	٢٩٦
وَأَشْرَقَت الأَرْضُ بنُور ربِّهَا ووُضِعَ الْكتَابُ...	٦٩	٢٨٨

سُورة غافر-٤٠

الآية	رقم الآية	الصّفحة
فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلصينَ لَهُ الدِّينَ وَ...	١٤	٢٩٥

سُورة فُصّلت-٤١

الآية	رقم الآية	الصّفحة
وَقَالُوا لجُلُودهمْ لمَ شَهدْتُمْ عَلَيْنَا....	٢١	١٤٢
أوَلَمْ يَكْف بربِّكَ أنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ...	٥٣	٣٨٦

سُورة الشّورى-٤٢

الآية	رقم الآية	الصّفحة
لَيْسَ كَمثْله شَيْءٌ وَهُوَ السَّميعُ...	١١	٨٣و١٠٠

سُورة الزّخُرف-٤٣

الآية	رقم الآية	الصّفحة
وَإذْ قَالَ إبْرَاهيمُ لأَبيه...	٢٦	٢٠٤
وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا منْ قَبْلكَ منْ رُسُلنَا...	٤٥	١٧٨
إنْ هُوَ إلاَّ عَبْدٌ أنْعَمْنَا عَلَيْه...	٥٦	١٦٧

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً...	٥٧	١٦٧
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...	٨٧	٢٣٧

سُورة الجاثية–٤٥

الآية	رقم الآية	الصّفحة
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ...	٦	١٢٥و١٧٣

سُورة مُحمّد–٤٧

الآية	رقم الآية	الصّفحة
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ...	٣١	١٣٢

سُورة الفتح–٤٨

الآية	رقم الآية	الصّفحة
إِنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...	١٠	١٠٦
وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى...	٢٦	٢٦٢

سُورة الذّاريات–٥١

الآية	رقم الآية	الصّفحة
وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ...	٢١	٢٣٥
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ...	٥٦	٣٩١و٤١٦

سُورة الطّور–٥٢

الآية	رقم الآية	الصّفحة

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ...	٣٥	٣٩٢

سورة النّجم-٥٣

الآية	رقم الآية	الصّفحة
ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى...	٨	١٧٤
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى...	٩	١٧٤
لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ...	١١	١٢٤
وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى...	١٣	١٢٤
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى...	١٨	١٢٤و١٧٢
وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى...	٤٢	٣١٠

سُورة القمر-٥٤

الآية	رقم الآية	الصّفحة
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ...	٥٤	٤٢٢
فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ...	٥٥	٤٢٢

سُورة الرّحمن-٥٥

الآية	رقم الآية	الصّفحة
هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ...	٦٠	٤٢٧

سُورة الواقعة-٥٦

الآية	رقم الآية	الصّفحة
أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ...	٦٤	١٦٥

سُورة الطّلاق- ٦٥

الآية	رقم الآية	الصّفحة
اللَّهُ الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ...	١٢	٣٩٠

سُورة المعارج-٧٠

الآية	رقم الآية	الصّفحة
سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ...	١	١٦٨
لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ...	٢	١٦٨
مِنْ اللَّهِ ذي الْمَعَارِجِ...	٣	١٦٨

سُورة المُدثّر-٧٤

الآية	رقم الآية	الصّفحة
هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ...	٥٦	٢٥٥و٢٦١

سُورة الإنسان-٧٦

الآية	رقم الآية	الصّفحة
هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ...	١	١٢٠

سُورة المُرسلات-٧٧

الآية	رقم الآية	الصّفحة
أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ...	٢٠	١٠٥
فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ...	٢١	١٠٥

سُورة النّبأ-٧٨

الآية	رقم الآية	الصّفحة
إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً...	٣٨	٤٤٦

سُورة النّازعات-٧٩

الآية	رقم الآية	الصّفحة
فَالْمُدَبِّرَات أَمْراً...	٥	٨٨و١١٨

سُورة الانفطار-٨٢

الآية	رقم الآية	الصّفحة
يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ...	٦	٣٩١
الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ...	٧	٣٩٢
فِي أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ...	٨	٣٩٢

سُورة الغاشية-٨٨

الآية	رقم الآية	الصّفحة
أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ...	١٧	٣٩٠
وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ...	١٨	٣٩٠
وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ...	١٩	٣٩٠
وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ...	٢٠	٣٩٠

سُورة الفجر-٨٩

الآية	رقم الآية	الصّفحة
يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ...	٢٧	٢٨٨

ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً...	٢٨	٢٨٨
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي...	٢٩	٢٨٨
وَادْخُلِي جَنَّتِي...	٣٠	٢٨٨

سُورة البيّنة-٩٨

الآية	رقم الآية	الصّفحة
وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...	٥	٢٩٥و٤١١

سُورة الزّلزلة-٩٩

الآية	رقم الآية	الصّفحة
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه...	٧	٢٤٩

فهرس المصادر والمراجع

- القُرآن الكريم

- نهج البلاغة، الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ط١، دار الذّخائر قُم.

- الصّحيفة السّجاديّة، الإمام زين العابدين، عليّ بن الحُسين عليهما السلام تحقيق، السّيد الأبطحي، النّاشر، مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام ط١- ١٤١١ هـ إيران.

- الاحتجاج، الشّيخ الطّبرسي، تحقيق، السيّد مُحمّد باقر الخرسان، النّاشر، دار النّعمان للطّباعة والنّشر، النّجف الأشرف، ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م.

- الاختصاص، الشّيخ المُفيد، تحقيق، عليّ أكبر الغفاري والسيّد محمود الزّرندي، النّاشر، دار المُفيد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط الثّانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣ م.

- أسرار الحُروف والأعداد، عليّ بو صخر،إشراف، الشّيخ عبد الكريم العُقيلي، تحقيق ونشر، مؤسّسة بضعة المُصطفى صلى الله عليه وآله.

- الأسرار الفاطمية، الشّيخ مُحمّد فاضل المسعودي، النّاشر، مؤسّسة

الزّائر في الرّوضة المُقدّسة لفاطمة المعصومة عليها السلام للطّباعة والنّشر، رابطة الصّداقة الإسلامية، ط الثّانية- ١٤٢٠هـ

-الإصابة، ابن حجر، تحقيق، الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود والشّيخ عليّ مُحمّد مُعوض، النّاشر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط الأولى- ١٤١٥هـ

- إقبال الأعمال، السيّد ابن طاووس، تحقيق، جواد القيومي الأصفهاني، النّاشر، مكتب الإعلام الإسلامي، ط الأولى- ١٤١٤هـ

- الأمالي، الشّيخ الصّدوق، تحقيق، قسم الدّراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، النّاشر، دار الثّقافة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، قُم، ط الأولى-١٤١٧هـ

- الأمالي، الشّيخ الطّوسي، تحقيق، قسم الدّراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، النّاشر، دار الثّقافة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، قُم، ط الأولى-١٤١٤هـ

- الأنوار اللامعة في شرح الزّيارة الجامعة، السيّد عبد الله شبّر، النّاشر، مؤسّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط الأولى- ١٤٠٣هـ

- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، النّاشر، مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطّبعة الثّانية -١٤٠٣هـ

- بصائر الدّرجات، مُحمّد بن الحسن الصّفار، تحقيق، الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، النّاشر، منشورات الأعلمي، طهران -١٤٠٤هـ

- بيت الأحزان، الشّيخ عبّاس القمّي، النّاشر، دار الحكمة، قُم، إيران، ط الأولى-١٤١٢هـ

- تاج العروس، الزّبيدي، تحقيق، عليّ شيري، النّاشر، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت- ١٤١٤هـ

- التّبيان، الشّيخ الطّوسي، تحقيق، أحمد حبيب قصير العاملي، النّاشر، مكتب الإعلام الإسلامي، ط الأولى- ١٤٠٩هـ

- تُحف العُقول، ابن شُعبة الحرّاني، تحقيق، عليّ أكبر الغفاري، النّاشر، مؤسّسة النّشر الإسلامي التّابعة لجماعة المُدرسين بقمّ المُشرّفة، ط الثّانية- ١٤٠٤هـ

- تفسير الآلوسي، الآلوسي، دار إحياء التُراث العربي، بيروت.

- التّفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام تحقيق ونشر، مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام قُم، ط الأولى- ١٤٠٩هـ

- تفسير الثّعلبي، الثّعلبي، تحقيق، ابن عاشور ، مراجعة وتدقيق، الأستاذ نظير السّاعدي، النّاشر، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط الأولى- ١٤٢٢هـ

- تفسير الرّازي، الرّازي، ط٣.

- التّفسير الصّافي، الفيض الكاشاني، النّاشر، مكتبة الصّدر، طهران، ط الثّانية- ١٤١٦هـ

- تفسير العياشي، مُحمّد بن مسعود العياشي، تحقيق، الحاج السيّد هاشم الرّسولي المحلاتي، النّاشر، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران.

- تفسير القمّي، عليّ بن إبراهيم القمّي، تحقيق، السيّد طيب الموسوي الجزائري، النّاشر، مؤسّسة دار الكتاب للطّباعة والنّشر، قُم، إيران، ط الثّالثة- ١٤٠٤هـ

- تفسير مجمع البيان، الشّيخ الطّبرسي، تحقيق، لجنة من العُلماء والمُحقّقين الأخصائيّين، النّاشر، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط الأولى- ١٤١٥هـ

- تفسير الميزان، السيّد الطّباطبائي، النّاشر، منشورات جماعة المُدرسين في الحوزة العلميّة، قُم المُقدّسة.

- تفسير نور الثّقلين،الشّيخ الحويزي، تحقيق، السيّد هاشم الرّسولي المحلاتي، النّاشر، مؤسّسة إسماعيليان للطّباعة والنّشر والتّوزيع، قُم، ط الرّابعة- ١٤١٢هـ

- التّوحيد، الشّيخ الصّدوق، تحقيق، السيّد هاشم الحُسيني الطّهراني، النّاشر، منشورات جماعة المُدرسين في الحوزة العلميّة في قُم المُقدّسة.

- ثواب الأعمال، الشّيخ الصّدوق، تحقيق، السيّد مُحمّد مهدي السيّد حسن الخرسان، النّاشر، منشورات الشّريف الرّضي، قُم، ط الثّانية- ١٤١١هـ

- جامع البيان، ابن جرير الطّبري، تحقيق، الشّيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج، صدقي جميل العطار، النّاشر، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ

- جامع السّعادات، مُحمّد مهدي النّراقي، تحقيق، السيّد مُحمّد كلانتر، الشّيخ مُحمّد رضا المُظفر، النّاشر، دار النّعمان للطّباعة والنّشر، النّجف الأشرف.

- الجواهر السّنيّة، الحرّ العاملي، المطبعة، النّعمان، النّجف الأشرف، ١٣٨٤- ١٩٦٤م.

- الحاشية على أصول الكافي، السيد بدر الدّين بن أحمد الحُسيني العاملي، تحقيق، عليّ الفاضلي، ط الأولى- ١٤٢٥هـ

- الحكمة المُتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة، صدر الدّين مُحمّد الشّيرازي، النّاشر، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٣_ ١٩٨١م.

- الخرائج والجرائح، قطب الدّين الرّاوندي، تحقيق ونشر، مؤسّسة الإمام المهدي، بإشراف السيّد مُحمّد باقر المُوحّد الأبطحي، قُم المُقدّسة، ط١ - ١٤٠٩هـ

- الخصال، الشّيخ الصّدوق، تحقيق، عليّ أكبر الغفاري، النّاشر، منشورات جماعة المُدرسين في الحوزة العلميّة في قُم المُقدّسة، ١٤٠٣هـ

- دعائم الإسلام، القاضي النّعمان المغربي، تحقيق، آصف بن عليّ أصغر فيضي، النّاشر، دار المعارف، القاهرة - ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.

- دلائل الإمامة، مُحمّد بن جرير الطّبري الشّيعي، تحقيق، قسم الدّراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، قُم، ط الأولى -١٤١٣هـ

- الرّوضة في فضائل أمير المؤمنين، شاذان بن جبرئيل القمّي، تحقيق، عليّ الشّكرچي، ط الأولى - ١٤٢٣هـ

- الرّوضة المُختارة، شرح القصائد الهاشميات، الكميت بن زيد الأسدي، النّاشر، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

- روضة الواعظين، الفتال النّيسابوري، تحقيق، السيّد مُحمّد مهدي السيّد حسن الخرسان، النّاشر، منشورات الشّريف الرّضي، قُم.

- رياض السّالكين في شرح صحيفة سيّد السّاجدين، السدي عليّ خان المدني الشّيرازي، تحقيق، السيّد مُحسن الحُسيني الأميني، النّاشر، مؤسّسة النّشر الإسلامي، ط الرّابعة - ١٤١٥هـ

- زبدة البيان، المُحقّق الأردبيلي، تحقيق، مُحمّد الباقر البهبودي، النّاشر، المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة، طهران.

- سبل الهُدى والرّشاد، الصّالحي الشّامي، تحقيق، الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود والشّيخ عليّ مُحمّد مُعوض، النّاشر، دار الكُتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط الأولى- ١٤١٤هـ

- السّيرة الحلبيّة، الحلبي، النّاشر، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٠هـ

- شرح إحقاق الحقّ، السيّد المرعشي، تحقيق، السيّد شهاب الدّين المرعشي النّجفي، تصحيح، السيّد إبراهيم الميانجي، النّاشر، منشورات مكتبة آية الله العُظمى المرعشي النّجفي ، قُم، إيران.

- شرح الأخبار، القاضي النّعمان المغربي، تحقيق، السيّد مُحمّد الحُسيني الجلالي، النّاشر، مؤسّسة النّشر الإسلامي التّابعة لجماعة المُدرسين بقمّ المُشرّفة، ط الثّانية- ١٤١٤هـ

- شرح الأسماء الحُسنى، الملا هادى السّبزواري، ط حجريّة، النّاشر منشورات مكتبة بصيرتي، قُم، إيران.

- شرح أصول الكافي، المولي مُحمّد صالح المازندراني، تحقيق، الميرزا أبو الحسن الشّعراني، ضبط وتصحيح، السيّد عليّ عاشور، النّاشر، دار إحياء التّراث العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط الأولى- ١٤٢١هـ

- شرح توحيد الصّدوق، القاضي سعيد القمّي، تصحيح وتعليق، الدّكتور نجف قلي حبيبي، نشر، مؤسّسة الطّباعة والنّشر في وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط الأولى- ١٤١٥هـ

- شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين عليه السلام تحقيق وشرح، حسن

السيّد عليّ القبانچي، النّاشر، مؤسّسة إسماعيليان للطّباعة والنّشر، ط الثّانية– ١٤٠٦هـ

– شرح فُصوص الحكم، مُحمّد داوود القيصري الرّومي، النّاشر، شركة انتشارات علمي، ط الأولى– ١٤١٧هـ

– صحيح البخاري، البخاري، النّاشر، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ١٤٠١هـ

– صحيح مُسلم، مُسلم النّيسابوري، النّاشر، دار الفكر، بيروت، لبنان.

– صفات الشّيعة، الشّيخ الصّدوق، النّاشر، كانون انتشارات عابدي، طهران.

– ظُلامات فاطمة الزّهراء، الشّيخ عبد الكريم العُقيلي، النّاشر، مؤسّسة بضعة المُصطفى صلى الله عليه وآله.

– عدّة الدّاعي، ابن فهد الحلّي، تصحيح، أحمد الموحدي القمّي، النّاشر، مكتبة وجداني، قُم.

– علل الشّرائع، الشّيخ الصّدوق، تحقيق، السيّد مُحمّد صادق بحر العُلوم، النّاشر، منشورات المكتبة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ١٩٦٦ م.

– عُمدة القاري، العيني، النّاشر، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.

– عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي، تقديم، السيّد شهاب الدّين النّجفي المرعشي، تحقيق، الحاج آقا مُجتبى العراقي، ط الأولى– ١٤٠٣هـ

– عُيون أخبار الرّضا عليه السلام الشّيخ الصّدوق، تصحيح، الشّيخ حسين الأعلمي، النّاشر، مؤسّسة الأعلمي بيروت – ١٤٠٤ هـ.

- عُيون المُعجزات، حُسين بن عبد الوهاب، تحقيق، المرحوم فلاح الشّريفي، إشراف، سماحة الشّيخ عبد الكريم العُقيلي، النّاشر، مؤسّسة بضعة المُصطفى صَلَّالله عليه وآله.

- الغيبة، الشّيخ الطّوسي، تحقيق، الشّيخ عباد الله الطّهراني، والشّيخ عليّ أحمد ناصح، النّاشر، مؤسسة المعارف الإسلامية، قُم المُقدّسة، ط١- ١٤١١هـ

- فتح الباري، ابن حجر، النّاشر، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان.

- الفتوحات المكيّة، ابن عربي، النّاشر، دار صادر، بيروت، لبنان.

- فضائل الشّيعة، الشّيخ الصّدوق، النّاشر، كانون انتشارات عابدي، طهران.

- فضل الكوفة ومساجدها، مُحمّد بن جعفر المشهدي، النّاشر، دار المُرتضى، بيروت.

- فيض القدير شرح الجامع الصّغير، المناوي، تحقيق، أحمد عبد السّلام، النّاشر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١- ١٤١٥ - ١٩٩٤ م.

- القاموس المُحيط، مجد الدّين الفيروز آبادي، نشر دار الفكر، بيروت.

- الكافي، الشّيخ مُحمّد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني الرّازي، نشر دار الكُتب الاسلاميّة، طهران، ط الثّالثة- ١٣٨٨هـ

- كامل الزّيارات،جعفر بن مُحمّد بن قولويه، تحقيق، الشّيخ جواد القيومي، النّاشر، مؤسّسة نشر الفقاهة، ط الأولى- ١٤١٧هـ

- كتاب الأربعين، الشّيخ الماحوزي، تحقيق، السيّد مهدى رجائي، ط الأولى-١٤١٧هـ

- كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي، تحقيق، مُحمّد باقر الأنصاري.

- كشف اليقين، العلامة الحلّي، تحقيق، حُسين الدّرگاهي، ط الأولى- ١٤١١هـ

- كفاية الأثر، الخزاز القمّي، تحقيق، السيّد عبد اللّطيف الحُسيني الكوهكمري الخوئي، النّاشر، انتشارات بيدار- ١٤٠١هـ

- كنز العمال، المُتقي الهندي، تحقيق، الشّيخ بكري حياني، تصحيح وفهرس، الشّيخ صفوة السّقا، النّاشر، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان-١٤٠٩هـ

- لسان العرب، ابن منظور، النّاشر، نشر أدب الحوزة، قم، إيران-١٤٠٥هـ

- المحاسن، أحمد بن مُحمّد بن خالد البرقي، تحقيق، السيّد جلال الدّين الحُسيني المُحدّث، النّاشر، دار الكُتب الإسلاميّة، طهران- ١٣٧٠هـ

- المُحتضر، الحسن بن سُليمان الحلّي، النّاشر، انتشارات المكتبة الحيدريّة- ١٤٢٤هـ

- مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، تحقيق، الشّيخ عزّة الله المولائي الهمداني، النّاشر، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، قُم، إيران، ط الأولى- ١٤١٣هـ

- مُستدرك سفينة البحار، الشّيخ عليّ النّمازي الشّاهرودي، تحقيق، الشّيخ حسن بن عليّ النّمازي، النّاشر، مؤسّسة النّشر الإسلامي التّابعة لجماعة المُدرسين بقمّ المُشرّفة- ١٤٠٥هـ

- مُستدرك الوسائل، الميرزا النّوري، تحقيق ونشر، مؤسّسة آل

البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، ط الأولى- ١٤٠٨هـ

- المُسترشد، مُحمّد بن جرير الطّبري الشّيعي، تحقيق، الشّيخ أحمد المحمودي، النّاشر، مؤسّسة الثّقافة الإسلاميّة لكوشانبور، ط الأولى- ١٤١٥هـ

- مُسند أحمد، أحمد بن حنبل، النّاشر، دار صادر، بيروت — لبنان.

- مُسند الإمام الرّضا، داود بن سُليمان الغازي، تحقيق، مُحمّد جواد الحُسيني الجلالي، النّاشر، مركز النّشر التّابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ط الأولى-١٤١٨هـ

- مشارق أنوار اليقين، الحافظ رجب البرسي، تحقيق، السيّد عليّ عاشور، النّاشر، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط الأولى- ١٤١٩هـ

- مشارق الشّموس، المُحقّق الخُوانساري، النّاشر، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، طبعة حجريّة.

- مشرق الشّمسين، البهائي العاملي، طبعة حجريّة، النّاشر، منشورات مكتبة بصيرتي، قُم.

- مشكاة الأنوار، عليّ الطّبرسي، تحقيق، مهدي هوشمند، النّاشر، دار الحديث، ط الأولى- ١٤١٨هـ

- المصباح، الكفعمي، النّاشر، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٣- ١٤٠٣هـ

- مصباح المُتهجد، الشّيخ الطّوسي، النّاشر، مؤسّسة فقه الشّيعة، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١م.

- معارج اليقين في أصول الدّين، الشّيخ مُحمّد السّبزواري، تحقيق، علاء آل جعفر، النّاشر، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، قُم، ط الأولى- ١٤١٠هـ

- معاني الأخبار، الشّيخ الصّدوق، تحقيق، عليّ أكبر الغفاري، النّاشر، مؤسّسة النّشر الإسلامي التّابعة لجماعة المُدرسين بقمّ المُشرّفة-١٣٧٩هـ

- مُقدّمة في أصول الدّين، الشّيخ الوحيد الخراساني.

- مكارم الأخلاق، الشّيخ الطّبرسي، النّاشر، منشورات الشّريف الرّضي، ط السّادسة- ١٩٧٢م.

- من لا يحضره الفقيه، الشّيخ الصّدوق، تحقيق، عليّ أكبر الغفاري، النّاشر، مؤسّسة النّشر الإسلامي التّابعة لجماعة المُدرسين بقمّ المُشرّفة، ط الثّانية.

- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تحقيق وتصحيح وشرح ومقابلة، لجنة من أساتذة النّجف الأشرف، النّاشر، المكتبة الحيدريّة، النّجف الأشرف-١٣٧٦ - ١٩٥٦م.

- النّهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق، طاهر أحمد الزّاوي ومحمود مُحمّد الطّناحي، النّاشر، مؤسّسة إسماعيليان للطّباعة والنّشر والتّوزيع، قُم، إيران، ط ٤- ١٤٠٧هـ

- نهج الإيمان، ابن جبر، تحقيق، السيّد أحمد الحُسيني، النّاشر، مجتمع الإمام الهادي، مشهد، ط الأولى- ١٤١٨هـ

- نهج السّعادة، الشّيخ المحمودي، النّاشر، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

- نوادر المُعجزات، مُحمّد بن جرير الطّبري الشّيعي، تحقيق ونشر، مؤسّسة الإمام المهدي، ط الأولى- ١٤١٠هـ

- نور البراهين، السيّد نعمة الله الجزائري، تحقيق، السيّد مهدي الرّجائي، النّاشر، مؤسّسة النّشر الإسلامي التّابعة لجماعة المُدرسين بقمّ المُشرّفة، ط الأولى- ١٤١٧هـ

- الهداية، الشّيخ الصّدوق، تحقيق ونشر، مؤسّسة الإمام الهادي، ط الأولى- ١٤١٨هـ

- الهداية الكُبرى، الحُسين بن حمدان الخصيبي، النّاشر، مؤسّسة البلاغ للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط الرّابعة- ١٤١١هـ

- وسائل الشّيعة، الحرّ العاملي، تحقيق ونشر، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، ط الثّانية- ١٤١٤هـ

- ينابيع المودّة لذوي القُربى، القندوزي الحنفي، تحقيق، سيّد عليّ جمال أشرف الحُسيني، النّاشر، دار الأسوة للطّباعة والنّشر، ط الأولى- ١٤١٦هـ

فهرس الموضوعات